



**CONTRIBUTION OF AL-IKHWAN AL-MUSLIMEEN IN
THE DEVELOPMENT OF CONTEMPORARY
ARABIC LITERATURE**

**ABSTRACT
THESIS**

SUBMITTED FOR THE AWARD OF THE DEGREE OF

Doctor of Philosophy

IN

ARABIC

BY

AHSANULLAH KHAN

UNDER THE SUPERVISION OF

DR. M. SALAHUDDIN UMARI

(Reader)

DEPARTMENT OF ARABIC
ALIGARH MUSLIM UNIVERSITY
ALIGARH (INDIA)

2004



مساهمة الإخوان المسلمين

في

تطوير الأدب العربي المعاصر

تلخيص

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

تحت إشراف

د / محمد صلاح الدين العمري

(الأستاذ المشارك)

تقديم

إحسان الله خان

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة علي كره الإسلامية، علي كره (الهند)

٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذا تأسست جمعية الإخوان المسلمين كانت الحملة الفرنسية قد أنشأت الشعور القومى عند المصريين وإحساسهم العميق بحقوقهم المشروعة فى حكم بلادهم واطلعوا على بعض وجوه الحياة الأوربية وحين أقلعت الحملة عن ديارهم فبدؤا تاريخا جديدا لأمة مجاهدة متحررة، وأسند الأمر إلى محمد على، فحاول أن يحول مصر من مكانتها المتخلفة إلى أقوى سلطة وانتهج لتقوية الحكومة والقوات المسلحة أن يدعو الأساتذة والخبراء من الغرب فى ميدان الصناعات، وطلب أن ينظم الجيل فى صورة جديدة للتعليم والتنظيم الاجتماعى، وبعث الطلبة إلى أوروبا للدراسات العليا، وأسس مدرسة الألسن-

وتولى أبناء محمد على ولم يتمكنوا على القيادة حتى سيطرت انجلترا على مصر، وقبضت على جميع البنوك والمعاهد التجارية والمراكز الصناعية والمصانع العامة، واستغلت جميع الموارد البشرية والوسائل الإنسانية حتى نشبت الثورة العرابية ضد الاستعمار والقوات الخارجية وتأسس الحزب الوطنى وما زال يتطور ويتقدم إلى أن حصلت لمصر الحرية والاستقلال بأكمل معناه فى سنة ١٩٥٢م-

رغم هذا الانقلاب والتغير إذ دهرت العلوم والفنون، وأنشئت المدارس، وصدرت المحلات والجرائد، وترجمت القصص والروايات وأثرت على الحياة المصرية من حيث الثقافة والآداب والاجتماع -

وفى هذه الأوضاع قام الأستاذ حسن البنا بتأسيس جمعية الإخوان المسلمين كى يلعب دورا عمليا فى إصلاح الحياة والمجتمع، ولم يحدد دعوته إلى النهار، بل يدعو الناس ليلاً ونهاراً، ويلقى على الناس محاضرات وخطبات تجذب إليه عددا كبيرا من الذين يتأثرون ويعجبون به ويقدرون إخلاصه ونصحه للدين والمسلمين واجتمع عدد من الأشخاص المعجبين لدعوة الشيخ البنا وبايع الله على أن يكون لدعوة الإسلام وفيها حياة الوطن وعزة الأمة-

وجاءت بغتة وذهبت مثلاً وولدت أول تشكيلة للإخوان المسلمين بيد ستة أشخاص
اجتمعوا للتفكر وتبادل الآراء حول هذه الفكرة، وسموا أنفسهم "الإخوان المسلمين" وصارت
هذه التسمية تسمية الجمعية، وجعلت من غايتها تحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعى
لكل مواطن والمساهمة فى الخدمة الشعبية ومكافحة الجهل والمرض والفكر والرذيلة وتشجيع
أعمال البر والخير.

وتواصلت الجمعية من الإسماعلية إلى القاهرة وازدادت حيويتها ونشاطاتها، فقامت
بنشر الرسائل، وأبدت هيكل الجمعية وصرحت أمورا أساسية وشئون إدارية، واهتمت بكل
حركة سياسية وقيادة دينية ومنظمات إسلامية أخرى توجد فى ذلك الحين، وعقدت مؤتمرات
عامة لبحث الأمور وتخطيط الأعمال ودعت القادة والحكماء إلى طريق الإسلام وأصوله
وقواعده وحضارته ومدنيته ناقدا طريق الغرب ومظاهره فى الحياة والمجتمع ووضحت أن
الإسلام كفيل بإمداد الأمة الناهضة لما تحتاج إليه فى الجندية والصحة والنظام والاقتصاد،
وطلبت القضاء على الحزبية وتوجيه قوى الأمة السياسية وجهة واحدة وصفا واحدا.

ولعبت هذه الجمعية دورا مهما خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ولهذا لقيت
الجماعة مقاومة فى غاية العنف من قبل الحكومة التى وليت الحكم بعد الحرب، فلقى المرشد
العام حسن البنا رئيس الوزراء وأهاب به أن يسرع بالعمل فى سبيل الحقوق القومية واستكمال
وادی النيل ووحدته، وإلا فليدع الأمة إلى الجهاد، ويتقدمها فى سبيله. ولكن الحكومة أنكرت
هذه المتطلبات وإذا اشتدت التظاهرات، فاستقالت الحكومة وتغيرت الوزارة، فدعى البنا جميع
الهيئات لتأليف لجنة قومية ولكنه لم يجد موازنة من الأحزاب، فرأى أن يجنح إلى النصح يقدمه
إلى صدقي باشا.

واشتركت الجمعية بالجهاد فى فلسطين وأدت خدمات جليلة فى سبيل الله وحصل لهم
التسلح والتمرن على القتال، أدى هذا الاشتراك إلى موامرات عديدة ضدهم، من حل
الجمعية وإغلاق جميع المكاتب، وقبول الوحدات واستمرت الموامرات السياسية حتى فاز

أعداء الجمعية بقتل الشيخ البنا المرشد العالم لأنه كان رجلا موهوبا يفرغ النشاط الديني والعاطفة الإسلامية في نفوس الشباب المسلمين، فمن لقيه أعجبه من أعماق قلبه، واسترشد به واتبعه في جميع الشئون، وإذا قتل المرشد العام بلغت محنة الإخوان الذروة حتى ظن بعض المراقبين أنه لن تقوم لهم قائمة، ولكن الواقع أنه كانت كالنار صهرتهم وصفت معدنهم، فخرج منهم عدد وبقي على الدعوة عدد زادت المحنة صلابة وتماسكا. وانتخب الإخوان حسن الهضيبي مرشدا جديدا، بدأت به حياة جديدة للجمعية وعادت نشاطات وإذا أرادت القيادة العسكرية أن تقلب الحكومة فبذلت الجمعية وإخوانها من مجهودات جبارة، واشتركت في إثارة الثورة بشرط أن تنفذ الشريعة الإسلامية في مصر وضغطت على الملك فاروق أن يوقع على أوراق الإقالة كما كتب الملك فاروق "إن الإخوان المسلمين هم الذين قلبوا العرش، وما كان ضباط الثورة إلا ألعوبة في أيديهم، ولقد أراد الإخوان ضربى في عرض البحر لولا أنى أمرت ركبنا السفينة الفقير اتجاها" ووقعت الثورة ولكن مكتب الإرشاد قرر عدم الاشتراك في الوزارة لكيلا يقال إن للوزارة لونا خاصا.

وإذا عقدت الجمعة حفلة بمناسبة المولد النبوى ﷺ زارها الرئيس محمد نجيب وجمال عبد الناصر، وإذا حلت الذكرى الرابعة لاستشهاد الأستاذ حسن البنا ذهب الرئيس وبصحبه جمع من الوزراء وضباط الثورة إلى قبره زائرين معزين وقال الرئيس أن الشيخ البنا لم يعيش لنفسه بل عاش للناس ولم يعمل لمنعته الخاصة بل عمل للمصالح العامة.

ولكن هذه الأوضاع لم تقم إلى مدة طويلة، بل وجدت القيادة العسكرية على الجمعية وأقال الرئيس النجيب وجاء من بعده البكباشى جمال عبد الناصر، ورأى الإخوان ضد حكومته فأعلن الحرب ضدهم حتى اعتقل عدد كبير من الإخوان، وأعدم سيد قطب وغيره من الإخوان بآتهام إثارة الثورة وانهاب الحكومة ولكن الجمعية ودعوتها لن تنطفئ، بل وصلت إلى بلاد أخرى، فرأت بلاد سوريا والسودان والعراق وفلسطين أثارها وتحركت حركات بإسمها أو بأسماء أخرى ولكن مع دعوتها وغايتها حتى أثرت هذه الدعوة على حركات في الهند وباكستان.

هذه الجمعية لم تحدد عملها إلى المجال السياسى بل أدت دورا ملموسا فى ميدان

الصحافة والأدب، فأنشأت "جريدة الإخوان المسلمين" و"النذير" و"المنار" و"التعارف" و"الشباب" و"منبر الشرق" و"المباحث" و"الدعوة" و"المسلمون" و"مجلة الإخوان المسلمين" و"إلى الإخوان" و"رسالة الإخوان" و"الكفاح الإسلامى" وبرز فى مجال الكتابة الأدبية والثقافية عدد كبير من الكتاب والمثقفين مثلاً حسن البنا وسيد قطب ومحمد الغزالي ومصطفى السباعى وزينب الغزالي وسعيد رمضان وغيرهم أثروا على الجيل الناشئ ووجهوا شطرهم إلى الدين والثقافة الإسلامية، وحاولوا أن يجعل الشباب المسلمون مسلمين فكرة وحمية وغيرة.

فهذا الشيخ حسن البنا قام ورفع راية الإسلام، أنقذ التائه وأخذ بيد المريض ودأواه، ونادى الأمة من جديد، بعث فيها الأمل، وردّها إلى قرآنها وتاريخها وحضارتها وإصالتها وألف الرسائل وأنشأ الصحف ورتب المذكرات بأسلوب رائع أدبى يستفيد القارى من خلال دراستها. وهذا سيد قطب مفكر إسلامى، أديب وشاعر دينى، وأحد من فحول الدعوة الإسلامية فى القرن العشرين، وفكرته وكتابته إكاديمية منهجية، تدور فى رحاب الفكر الإسلامى: شرحاً وتاريخياً ومنهاجاً، فأضاف بذلك إضافات بناءة إلى تاريخ الفكر الإنسانى وعبر عن جمال الإسلام وكماله كمنهج حياة وهداية من الله سبحانه وتعالى.

فكتاباته "فى ظلال القرآن" و"مشاهد القيامة فى القرآن" و"التصوير الفنى فى القرآن" و"النقد الأدبى أصوله ومناهجه" و"طفل من القرية" و"المدينة المسحورة" و"قافلة الرقيق" تصور صورة واضحة، نابضة بالحياة، وتقدم من مشاهد تتوافر فيه الصورة والحركة والإيقاع.

وكذلك كل عضو كاتب من الإخوان المسلمين كتب وألف فى كل موضوع بطراز أدبى دينى وساهم بكتابته الدنية والأدبية فى تطوير اللغة والأدب فى هذا العصر الراهن مثلاً محمد الغزالي ومصطفى السباعى وعبد القادر عودة وسعيد رمضان وغيرهم من الكتاب الإخوانيين.

وإذا تجلّى هؤلاء الكتاب والمثقفين الإسلاميين كانت مدارس أدبية مختلفة، فإحداها كانت تمثل مدرسة غربية وتقتدى فكرة غربية وتقدم من الأدب الحر وتنظر الإسلام بنظرة التصغير والتضييق ولا ترى لائقاً أن يكون له أدب، وإذا كان له أدب فى حال من الأحوال، فليس لائقاً بأن

يعد أدبا حيا مقبولا ، وتدعوا بكل قواها إلى التغريب والتشكيك فى العقائد الدينية وإضعاف ثقة الأمة الإسلامية فى ثقافتها واحترامها للشخصيات الإسلامية والأسس الاجتماعية وكانت هذه الطبقة تنوب عنها د/ طه حسين وقاسم أمين وسلامة موسى وعلى عبدالرزاق وغيرهم-

وثانيها كانت تمثل الإسلام بكتابات ومؤلفاتها، وتحاول أن تقضى على المفسدات والبدعات التى تضعف القوى الإسلامية وتسبب التشكيك فى الآداب الإسلامية والحضارة الإسلامية ولكنها كانت جهود هؤلاء الكتاب منفردة وحيدة مثلا د/ مصطفى صادق الرافعى وشكيب أرسلان ومصطفى لطفى المنفلوطى وغيرهم-

ولكن الإخوان المسلمين إذا قاموا، فقاوموا من أول يوم الاستعمار وما نتجت عن السفور والتعليم اللاديني والأدب الإباحي والثقافة الغربية، ونقدوا بكل قواهم الحضارة الغربية ومن دعا إليها من المفكرين والمثقفين، ولم يتركوا أى مكان للشعب أن يقلدوا غير الإسلام ويتركوا مآثرهم الجليلة وراء ظهورهم -

وجعلت هذه الجمعية "جمعية الإخوان المسلمين" مدرسة أدبية إسلامية، لأنها قدمت نماذج رائعة تتكون وتستمطر موادها من أى مكان ولكن تطرز فى طراز الإسلام وفى الأسلوب الذى يليق بالأدب الإسلامى طاهرا نقياً من دنسات الجنس والإباحية والثقافة الغربية - يجد فيها القارى حمية دينية وغير إسلامية فى صورة الأدب ولا يستطيع أن ينسى دينه حتى دراسته الأدبية والفنية-

وأثرت هذه الجمعية على جمعيات ورابطات عديدة صارت على منوالها فى الأدب الإسلامى مثلا "رابطة الأدب الإسلامى العالمية" و"حلقة الأدب الإسلامى"، واليوم ما نرى من آثار أدبية إسلامية، فهى ثمرة تلك الضحايا التى قدمتها جمعية الإخوان المسلمين-



**CONTRIBUTION OF AL-IKHWAN AL-MUSLIMEEN IN
THE DEVELOPMENT OF CONTEMPORARY
ARABIC LITERATURE**

THESIS

SUBMITTED FOR THE AWARD OF THE DEGREE OF

Doctor of Philosophy

IN

ARABIC

BY

AHSANULLAH KHAN

UNDER THE SUPERVISION OF

DR. M. SALAHUDDIN UMARI

(Reader)

DEPARTMENT OF ARABIC
ALIGARH MUSLIM UNIVERSITY
ALIGARH (INDIA)

2004



مساهمة الإخوان المسلمين في تطوير الأدب العربي المعاصر

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

تحت إشراف
د / محمد صلاح الدين العمري
(الأستاذ المشارك)

تقديم
إحسان الله خان

قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة علي كره الإسلامية، علي كره (الهند)

٢٠٠٤م



Dr. M. Salahuddin Umari

(0571) 2709062 - Off
1300/1301 - Int.

SUPERVISOR

DEPARTMENT OF ARABIC

Dated: 25.5.2004

TO WHOM IT MAY CONCERN

This is to certify that **Mr. Ahsanullah Khan**, Registration No. 949542 and Enrolment No. Z-7729 has completed his Ph.D. work entitled "**Contribution of al-Ikhwan al-Muslimeen in the development of Contemporary Arabic Literature**". The thesis embodies the findings and results of investigations conducted under my supervision. The work is an original contribution and entirely his own. It is now forwarded for necessary formalities for the award of Ph.D. Degree in Arabic.


(Dr. M. Salahuddin Umari)
SUPERVISOR

الہدء

إلى

أمى وأبى

”ربى ارہمہما کما ربیانى صغیراً“

محتويات البحث

كلمة الباحث ٤ - ١

الباب الأول : أوضاع مصر عند تأسيس جمعية الإخوان المسلمين

الفصل الأول : الأوضاع السياسية ١٤ - ٦

الفصل الثانى : الأوضاع العلمية والأدبية ١٩ - ١٥

الفصل الثالث : الأوضاع الاقتصادية ٢٧ - ٢٠

الباب الثانى : جمعية الإخوان المسلمين عبر التاريخ

جمعية الإخوان المسلمين: نشأتها وتأسيسها ٣٢ - ٢٧

أهداف الجمعية وأغراضها ٣٤ - ٣٣

الإخوان المسلمون فى الإسماعيلية ٣٨ - ٣٥

الإخوان المسلمون فى القاهرة ٤٢ - ٣٩

جمعية الإخوان المسلمين خلال الحرب العالمية الثانية ٤٦ - ٤٣

جمعية الإخوان المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية ٤٩ - ٤٧

الجهاد فى فلسطين ٤٩

مواقف ضد الإخوان المسلمين ٦٠ - ٥٠

حياة جديدة لجمعية الإخوان المسلمين ٦٣ - ٦١

جمعية الإخوان المسلمين والثورة ٧٢ - ٦٤

موقف جمال عبد الناصر تجاه الإخوان ٧٤ - ٧٢

جمعية الإخوان المسلمين خارج مصر ٨١ - ٧٤

الباب الثالث: مساهمة الإخوان المسلمين فى تطوير الأدب العربى المعاصر

الفصل الأول: مساهمة الإخوان المسلمين فى الصحافة العربية ٨٨ - ٨٢

الفصل الثانى: دراسة شخصيات أدبية مهمة

١١٥ - ٨٩	حسن البنا
١٥٥ - ١١٦	سيد قطب
١٧١ - ١٥٦	محمد الغزالى
١٨٤ - ١٧٢	مصطفى السباعى
١٩٢ - ١٨٥	عبد القادر عوده
١٩٩ - ١٩٣	عمر التلمسانى
٢٠٤ - ٢٠٠	مصطفى محمد الطحان
٢١٠ - ٢٠٥	سعيد رمضان
٢١٣ - ٢١١	زينب الغزالى

الباب الرابع: المدارس الأدبية ومدرسة الإخوان

(دراسة مقارنة)

٢١٩ - ٢١٤	الفصل الأول: مدرسة المستغربين
٢٢٤ - ٢١٩	الفصل الثانى: مدرسة دينية
٢٣١ - ٢٢٤	الفصل الثالث: جمعية الإخوان المسلمين مدرسة أدبية دينية
٢٣٥ - ٢٣٣	خلاصة البحث
٢٤٢ - ٢٣٦	فهرس المصادر والمراجع

كلمة الباحث

الحمد لله رب العالمين - والصلوة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه

أجمعين وبعد؛

فهذا لى شرف عظيم أن أتيت لى فرصة دراسة إحدى كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحاضر، وهى جمعية الإخوان المسلمين ، وإذا تأسست فقد كان العالم العربى فى غيوبة سادسة، وكانت مهمة المفكرين أن يزيلوا الغشاوة عن عقول الشعب، فقام كل فرد بنصيبه من نشر المعرفة ومصاولة الاستبداد، منهم من اتخذ الأدب وسيلة لبعث آراءه ، فكتب وخطب وقرض الشعر وأصدر الصحف ، وألف الكتب ، ومنهم من دخل غمار السياسة ، ومنهم من انتظم فى سلك رجالات الحكم ، فكان أداة لخدمة بنى قومه.

وكثيرون هم الذين لمع إسمهم فى تلك الفترة فتركوا أثرا بينا فى التطور الدينى واليقظة الإسلامية الشاملة أظهرهم كما ألمعنا حسن البنا الشهيد، وسيد قطب الشهيد ، وعبد القادر عودة ، ود/مصطفى السباعى ، ود/سعيد رمضان وغيرهم من رجالات الفكر من البلاد العربية، وكان لمصر نصيبها فى هذا المضمار ، فظهر فى تلك الفترة المظلمة من حياة الفكر رجالات وهبوا أنفسهم لرفعة وطنهم وإيقاظ أمتهم سواء ككل مفكر يعمل فى عهود الاستبداد والمظالم والاضطهاد ، ولم يمنعهم هذا عن أداء رسالتهم، فظلوا يعملون حتى آخر لحظة من حياتهم بالرغم كما لاقوة من نفى وتشريد -

هؤلاء الكتاب والمثقفون الغيرون الأعلام الذين أثر والتاريخ العربى الإسلامى بأعمالهم

المجيدة بين أدباء القرن الراهن، وقد مضت حياتهم ومرت بألوان مختلفة من الصراع وسنحاول في رسالتنا هذه أن نذكر خطوط حياتهم بالاستناد إلى ما كتبوا وألفوا، وسنرى في ذكرهم من صفحات تدلنا على نشاطاتهم الأدبية وحركاتهم الدينية في سبيل المجد والشرف.

ويشمل هذا البحث أربعة أبواب وخاتمة.

فالباب الأول: ذكر فيه من أحوال مصر العلمية والاجتماعية والسياسية.

وبالباب الثاني: يبحث من تأسيس جمعية الإخوان المسلمين، وما كانت من منظمات ومؤسسات قبل تأسيسها، وذكر أيضا من أغراض الإخوان المسلمين أن من غايات الإخوان تحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعي لكل مواطن والمساهمة في الخدمة الشعبية ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة وتشجيع أعمال البر والخير، وذكرت المراحل التي مرت بها الجمعية عبر السنوات والحكومات، وذيعها خارج البلاد العربية.

وبالباب الثالث: يلقي الضوء على مساهمة الإخوان المسلمين في الصحافة العربية والمشاركة في تطوير الأدب العربي المعاصر، ويوضح مكانة الكتاب والمثقفين من الإخوان مثلاً حسن البنا الشهيد، وسيد قطب، ومحمد الغزالي، وسعيد رمضان، وعبدالقادر عودة وغيرهم مع بيان شخصياتهم المرموقة، وكتاباتهم التي قد توفر مواد ضخمة لإثبات مساهمتهم في مجال اللغة والأدب.

وفى الباب الرابع: ذكرنا من طبقات موجودة في المجتمع المصري، وقسمنا إلى طبقة لادينية وطبقة دينية، وكانت هاتان الطبقتان توديان من فرائضهما وواجباتهما تجاه الشعب والمجتمع، ولكن الإخوان ظهوروا كطبقة أخرى وأسسوا مدرسة منفردة أسست على الدين وأحكامه وفروعه، وكتب كل عضو ومن تأثر به في طراز ديني كل ما كتب حول أي موضوع

وعنوان-

وجعلت هذه المدرسة قلوة لكل من أراد أن يقلد ويختار له منها دينيا وشمل هذه المنهج والأسلوب الهند، والباكستان، وسودان وغيرها من البلاد النائية من الأصل والمركز-

واستخلصت في خاتمة البحث أن الأدب الإسلامي لم يحصل له درجة المدرسة حتى استعمل هؤلاء الإخوان، لأنهم بذلوا من مجهودات مشكورة لإيضاح هذا المنهج في كتاباتهم ومنشوراتهم، وأثرت فيما بعد على "رابطة الأدب الإسلامي العالمية" "وحلقة الأدب الإسلامي"

وأقدم من خالص الشكر وصادق الامتنان للأستاذ الدكتور محمد صلاح الدين العمري الذي أشرف على هذه الرسالة ورغب في كل حين ومهد بتوجيهاته الرشيدة وآراءه العلمية التي كانت خير عون في إكمال هذه الرسالة، فإليه يرجع الفضل كله فيما وفقت له، ولا أنسى فضل الأستاذ سيد كفيل أحمد القاسمي، رئيس القسم الذي حرص دائما على الدرس والمطالعة، وكذلك لأنسى عناية الأساتذة الآخرين مثلاً الأستاذ محمد راشد الندوي، ود/مسعود انور العلوي، ود/سفيان أحمد الإصلاحي، ود/فيضان أحمد بيك، ود/سميع أختر والشيخ عبدالمعبد عبد الجليل-

وكذلك يجب أن أشكر هيئة الدراسات الموضوعية (Institute of objective studies, Aligarh chapter) التي وهبتني منحة دراسية وقدمت مساعدة مادية، إن لم تكن هذه المساعدة لما استطعت الاستمرار في البحث والدراسة، وأشكر رئيس هذه الهيئة في عليجهره الأستاذ محمد مقيم ومساعدته الأخ محمد سراج الدين خان، ود/جاويد أحمد خان، شجعوا كل أوان-

وأرى من الواجب أن أشكر شقيقين حبيين فيض الله خا وطه حسين خا والأخوات شاهده، وسنجيده المرحومة، وفرخنده، دعوا لي دائما أن يمنح الله من النجاح والتوفيق-

وأشكر أيضا جميع الأصدقاء خاصة د/منظور أحمد خان، ود/نور محمد، والأخ شهاب الدين، والأخ عبد الحكيم، والأخ محمد اختر والأخ أحمد سعيد، والأخ نسيم أحمد خان الذين تعاونوا في مراحل الكتابة والإخراج.

ويجب أن أشكر مسئول مكتبة القسم كبير احمد خان، ومحمد خالد حميد وفرا جميع الكتب والمصادر المطلوبة عند الاحتياج بلاتردد، وأشكر أيضا مركز الجماعة الإسلامية بدلهي ومكتبة العلامة شبلى النعماني بدارالعلوم ندوة العلماء استفدت بهما خلال البحث.

وأخيراً أدعو الله أن يقبل هذا الجهد المتواضع ويجعله لنا مثوبة في الآخرة، إنه سميع

مجيب.

بإحسان
إحسان الله خان

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة علي جراه الإسلامية

٢٠٠٤/٥/١٠

الباب الأول

أوضاع مصر عند تأسيس

جمعية الإخوان المسلمين

الفصل الأول

الأوضاع السياسية

تبدأ النهضة السياسية في مصر في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وكانت مصر في ذلك العهد تحت سلطان العثمانيين حكما وتحت سيطرة المماليك فعلا، وكانت الأهواء المختلفة والقوي المتضاربة والأجناس المتباينة تنخر في هيكل هذه الأمة البائسة، فكان عددها لا يبلغ ثلاثة ملايين، فشت فيهم الأمية واستولى عليهم الجهل وألحت عليهم الأوباء والسنون. واستغلهم الظلم واستعبدهم الحكام ووقفوا عن السير بأنفسهم، وتحرك الفلك فغزاهم على هذه الحالة الأليمة نابليون.^١

غزا نابليون مصر سنة ١٧٩٨ من الميلاد وقضى بحملته الصليبية التي غزت مصر على أكبر قوة مقاتلة في دار الإسلام بعد قوة دار الخلافة، قضى على بأس المماليك المصرية وشتهم ومزقهم كل ممزق، تتبعهم ينهب القرى في الأقاليم ويبيد من أهلها ما يبيد، وبقي جمهور الأمة في القاهرة أعزل بلا سلاح، يدفع به عن نفسه، وبلا حكومة تدير شئونه، واضطرب أمر الناس، وماج، فأنشأ حكومة جديدة، سماها الديوان، ودعا بعض العلماء من الجامع الأزهر والتجار وأصحاب الحول والطول ووهبهم من خيار القضاء والحكم. وقدم نفسه إلى الجماهير أنه جاء ليخرجهم من قسوة المماليك والعثمانيين.^٢

بقى هذا القائد المفتون نحو سبعة أشهر في القاهرة يخرب ويفعل الأفاعيل، وفي فبراير سنة ١٧٩٩م خرج منها ليدوخ سورية بقوته التي لا تقهر ولكن لم يفلح في تفكيره واضطر إلى رفع الحصار بكون هزيمته هزيمة منكرة، فأب إلى القاهرة وفي قلبه من الخوف واستشف ببصيرته وذكاءه أن أمر الحملة قد انتهى إلى غير رجعة واتخذ الليل حجرا وكر راجعا إلى فرنسا في أغسطس ١٧٩٩م واستقر على عرش نابليون كليبر، فافقت القاهرة من ذهولها واستعدت لمقاومة الغزاة وانفجرت الثورة

شهرًا كاملاً و ارتكب كليبر في إخمادها من الفظائع و الشنائع تقشعر منها الجلود و بما فعل انقض عليه عقاب كاسر و مجاهد سليمان الحلبي فعالجه بطعنة خنجر في قلبه و خلف كليبر على عرش نابليون في مصر القائد الميكافلي الشقي الكذاب و شهد أنه أسلم و تزوج من مطلقة و بقي هذا الشرس إلى ٣١ أغسطس ١٨٠١م حتى قذله الجلاء الأخير و خرجت فرنسا من مصر على عجل.^٣

و قد اعتبر عدد كبير من المتأثرين و المؤرخين الجدد أن هذه الحملة الفرنسية كانت من رسول الحضارة الذي جاء ليخرج مصر و العالم الإسلامي من ظلمات الجهل إلى عصر النور، فكتب الأستاذ أحمد حسن الزيات "فان الجماعة العلمية التي صحبت هذا القائد العظيم لم تصدها القلاقل و الحرب عن غرس بزور الحضارة في مصر، فأنشأ مدرستين و جريدتين و مسرحاً للتمثيل و مجمعا علميا و مكتبة و مطبعة و معامل كيمياوية و مراصد فلكية و سهلوا للناس النظر إليها و الوقوف عليها، فكان صنيع هذه الجماعة أشبه بالقبس الوضاء سطع في ذلك الغيب الذي احلوا لك في سماء مصر فبدده و استطاع الناس أن ينظروا و لكن ماذا راؤا؟ راؤا أنهم في القرن التاسع عشر و أن الغرب واقف منهم موقف الإنسان العاقل من الحيوان الأعجم يرميهم بنظرات السخرية و هو دائب في سبيل الحياة الصحيحة، مجد في تضليل المادة فبهتوا و دهشوا".^٤

و أما الأستاذ محمود محمد شاكر ذهب إلى أن هذه الحملة كانت من أسباب الخسران و الخراب و الدمار، فيكتب عن نابليون و جماعته "كان هدف هذا البربري المتحضر أن يخرب عاصمة من أكبر عواصم دار الإسلام و أجملها فسرقت جماعته كل نفيس من الكتب و كانت القاهرة يومئذ أغنى بلاد العالم بالكتب و كان هجمهم الأكبر يومئذ هو السطو على كتب علوم الحضارة أو لاثم كتب التاريخ، ثم على كتب الأدب، كلها بلا تميز"^٥ و أيد الجبرتي أيضاً هذا الرأي، فكتب في تاريخه "أن الفرنسيين يستصحبون معهم ما يحتاجون من أوراقهم و كتبهم ولوا التي سرقوها من مصر".^٦

و ما كانت غاية هذه الحملة الفرنسية و غرضها، فالأستاذ محمود شاكر يكتب "و كانت الغاية

الأولى المقومة على كل غاية هي تجريد دار الإسلام في القاهرة من أسباب اليقظة التي جاءت الحملة الفرنسية لوأدها في مهدها وللقضاء عليها قبل أن تتفاقم ووفرة هذه الكتب النفيسة في القاهرة هي التي يسرت الطريق إلى هذه اليقظة^٧ و يكتب أيضا "فارتكب في قمع دار الإسلام من القسوة والنذير و ذبح الرجال والنساء أيضا و سفح الدماء الغزيرة ما ارتكب و لكنه نذر و أوفى بنذره أن يزيد فيضحي عند شرق كل شمس خمسة و ستة تقطع رؤسهم و يطاف فيها في أنحاء القاهرة، ولا شك أن هؤلاء الخمسة و الستة هم من طلاب العلم في الأزهر"^٨

فما كانت من الغاية و ما وقعت من الوقعة و لكن هذه الحملة الفرنسية قد أنشأت الشعور القومي عند المصريين و إحساسهم العميق بحقوقهم المشروعة في حكم بلادهم و اطلعوا على بعض وجوه الحياة الأوروبية كما يكتب الأستاذ شوقي ضيف " و قد اطلع الشعب المصري من خلال هذه الحملة على بعض وجوه الحياة الأوروبية قد رأى المصريون أفرادها يتناولون حياتهم المادية بصور لم يكونوا يألونها سواء في أكلهم و شربهم أو في لهوهم و ما كانوا يقيمون من حفلات التمثيل و الغناء و الرقص و الموسيقى- و كان يرون نساءهم يمشين متأبطات لأزعرهم"^٩ و أضاءت لهم من ضوءات العلم و الفن كالمجمع العلمي و معامل و مكتبة و مطبعة، و لم يكن للمصريين عهد، لا بالمطبعة و لا بما تطبع من منشورات و كتب و صحف، فكان ذلك كله جديدا لهم-

و لقد ظن المصريون حين أقلعت الحملة عن ديارهم أنهم يبدأون تاريخا جديدا الأمة مجاهدة متحررة و استقر رأى المشائخ و القادة على إسناد الأمر إلى محمد علي واليا عليهم، و كان الشعب وزعماءه مؤيدين و لكن المماليك دبروا الهجوم على القاهرة ليستولوا على زمام الحكم من جديد و بادروا إلى إنفاذه في شهر أغسطس سنة ١٨٠٥ م^{١٠} يوم الاحتفال بوفاء النيل اذ يكون محمد علي باشا و الجمع الحاشد من الجنود و الأهالي مشغولين بالاحتفال في مصر القديمة بعيدا عن المدينة و لكن الزعامة الشعبية لم تؤيدهم فانقلبوا خائبين خاسرين و دب الفشل و الارتباك في صفوفهم و صفوف

و أراد محمد علي أن يحول مصر من مكانتها المختلفة إلى أقوى سلطة تعزز حكومة مستقلة من الخلافة العثمانية و انتهج لتقوية الحكومة القوات المسلمة أن يدعو الأساتذة و الخبراء من الغرب في ميدان الصناعات و خاض في خمس حروب باستخدام هذه القوة الجديدة، و طلب أن ينظم الجيل في صورة جديدة للتعليم و التنظيم الاجتماعي، كي يكون وسيلة لجميع الحيوانات، و ضعف معاهد متوسطة بين الفلاح و موظفي الدولة لهذه الحكومة، و بعث الطلبة إلى أوروبا للدراسات العليا، و أسس مدرسة الألسن تحت إشراف رفاة الطهطاوى-

و كانت هذه الخدمات الجليلة التي أدت محمد علي إلى مصاف عظماء الرجال، كما يكتب الأستاذ شوقي ضيف "و قد سما محمد علي بأعماله الجليلة إلى مصاف عظماء الرجال و تتمثل لك عظمة من كونه نشأ نشأة متواضعة، و تدرج من جندي بسيط إلى أن ارتقى عرش مصر، فأسس ملكا عريضا، و غالب دولا كبارا، و أنشأ دولة عظيمة و حكومة ثانية، و بعث حضارة زاهرة، و أنبت ثقافة كان لها الفضل في نشر لواء العلم و العرفان في وادي النيل" - ١٢

توفي محمد علي في سنة ١٨٤٩م، ١٣ و تولى منصبه سعيد باشا، هو بن محمد علي الكبير، و لو سنة ١٨٣٣م، ١٤ و نشأ في حجر أبيه، محوطا بعطفه و رعايته، و كان أبوه يعزه و يعنى بتربيته و تثقيفه و تنشئته النشأة الحسنة، و اختار له السلك البحري، فدربه على الفنون البحرية، و لما أتم دراسته انتظم في خدمة الأسطول-

و كانت من صفات سعيد و أخلاقه، طيبة قلبه، و سلامة قصده، و كرمه، و شجاعته و صراحته و ميله للخير، و تسامحه، و حبه للعدل، و نفوره من الظلم و الإرهاق-

و قام سعد باشا بإصلاحات زراعية، و خفف عن الأهالي عبء الضرائب و سن لائحة المعاشات للموظفين المتقاعدين، و أتم الخط الحديدي و التلغرافات و غنى بترقية حالة الجنود و الترفيه عليهم من

جهة الغذاء والمسكن، و حسن المعاملة، و أسس الشركة الملاحية و لكن ضعفت إرادته، و قلت عزيمته و ثقته و زاد التدخل الأجنبي حتى لم يكن يقوى على أن يخالف لهم رأياً، أو يرد لهم طلباً،^{١٥} و أيد مشروع قناة السويس، و أجاز الدول الأوروبية أن تقوم بحفرتها، فقد أفادت هذه القناة التجارية الأوروبية والاستعمار الأوروبي، حتى كتب عبد الرحمن الرافعي "و من المحقق أن مساعي إنجلترا خاصة في إحتلال مصر قد تضاعفت و اشتدت بعد أن شقت القناة أرض مصر، فأنجلترا بعد فتح القناة صارت أكثر تطلعا و أقوى تحفزا إلى إحتلال مصر، فلا عجب أن كانت مصر ضحية قناة السويس".^{١٦}

و بدأت إنجلترا في إرساء المعاهد التجارية و الكتاتيب و المحاكم المنفردة، و سارعت إلى إخفاض المصنوعات البلدية بإيراد المصنوعات الخارجية، و أضافت من التدخلات الأجنبية على مصر، و في هذه الأوضاع بدأ عهد القروض و ثبت نذير الكوارث المالية و الأحداث السياسية التي أصابت البلاد في عهد اسماعيل و توفيق.

و توفي سعيد باشا في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣م في عمر ٤٣ سنة و قد بلغت الديون السائرة.....،
١١، ١٦٠ جنيه حين وفاته.

واستولى على الحكم اسماعيل باشا (١٨٦٣-١٨٧٩) و إن كان من مقدمة الثورة العربية، لأنه يعد من ناحية عهد تقدم و عمران، و يعد في ناحية أخرى عهد القروض المشثومة و الأغلط المتلاحقة التي عصفت استقلال البلاد.^{١٧}

و اشتد خلاف الشعب و غيظهم عليه و اشتعلت نار النفور حتى نزل في العرش لإبنه توفيق باشا.

الثورة العربية

و اذا تولى توفيق باشا على العرش، كان الناس يؤملون خيراً في توفيق، اذ كان يجتمع بالسيد جمال الدين الأفغاني، و يرى منه للأخذ بنظام الشورى، و يسمع منه نقده لسياسة أبيه و إسرافه، غير أن

توفيق لم يعف بعهدده بعد أن تولى الحكم و سرعان ما تنكر لمبادئه و لأصدقائه، فلم يدخل نظام الشورى، ولم يحسن معاملة السيد جمال الدين، بل استمع لأقوال الوشاة من الإنجليز و ساهم، إذ حرصوه على إخراجهم من مصر، فاستجاب لهم، و استعمل منه غاية الغلظة و الجفاف، و خاصهم الحكم النيابي، و حكم البلاد و حكما مطلقا استجابة لرغبة الأجانب^{١٨} و تدخلهم في شئون البلاد، ففر ذلك على كثير من رجال مصر، و رؤوا الزما عليهم أن يضعوا أحدا لهذا التيار الفاسد، و الاستبداد و الرشوة، و السخرة، و العبودية-

ثم كانت حركة الجيش، و المطالبة بتولية المصريين المناصب العليا فيه، و قد كانت قبل وقفا على الجراكسة و الأتراك، و كانوا في منتهى الغلظة و القسوة، و قررت إحالة ٢٥٠٠ ضابط إلى الاستيداع بلا عذر و سبب،^{١٩} فثار الجيش ثورته العتيدة بقيادة عرابي في أول سنة ١٨٨١م، و أحرز أول انتصاراته في فبراير من تلك السنة بعزل وزير الحرية الجركسى المستبد "عثمان رفقى" و أسندها إلى نصراءه محمود سامي البارودي، و بلغت الثورة أوجها في ستمبر سنة ١٨٨١م حين اشتد الجيش في ميدان عابدين، و تظاهر أمام الخديو توفيق و أعلن على إسقاط وزارة رياض، و تأليف وزارة محمد شريف، غير أن وزارة شريف باشا لم تمكث إلا يسيرا، و هنا تولى البارودي رئاسة الوزراء، و حاول أن يصلح الأمور في الجيش بالرفق و الهوادة، و لكن الأمور سارت على غير ما قدر، و طالب الجيش بعزل توفيق باشا، و خاض البارودي الثورة مع الخائضين و لكن الاستعمار قامت لحماية توفيق و ضربت ضربتها في يولييه سنة ١٨٨٢م- و احتلت إنجلترا مدينة الأسكندرية، و كانت مواقع بين إنجلترا و جيش عرابي الذي لم يكن على استعداد لخوض غمار حرب مع دولة قوية كانجلترا، ثم كانت معركة 'التل الكبير' و هزيمة عرابي، و إخفاق الثورة و احتلال الإنجليز لمصر-^{٢٠}

لقد تطورت الثورة العرابية إلى ثورة عامة حمل لوائها الجيش، و نهضت مصر على أثره، تويده و تشجعه، لولا أن مصر في ذلك الوقت كانت ضعيفة، و كانت مواردها استنزفها إسراف اسماعيل، و لم

تكن الأمة قد اكتملت يقظتها، و كانت إنجلترا في أوج عصرها الاستعماري، و لها نفوذ قوي بين الدول، ولهذا كله أخفقت الثورة، و نفى زعمائها إلى سرنديب، إحدى جزر الهند و هي من مستعمرات إنجلترا.^{٢١}

الاحتلال البريطاني على مصر

احتلت بريطانيا على مصر في ١١ يوليو سنة ١٨٨١م و سيطرت بقواتها المسلحة على البلاد، و بدأت في تنظيم كل الإمكانيات لاستغلالها استغلا لا رأسماليا، و تنفيذ الأهداف التي كانت تسعى لها في أواخر القرن الثامن عشر و طوال القرن التاسع عشر، و أصبحت قلة من الموظفين البريطانيين تسيطر على السلطة و تدبر الحكم و وفقا لرغبات حكومتهم.

و كانت السلطة لانجلترا و كان الخديو عباس الحلبي الثاني العوبة في أيدي الإنجليز على جميع المناصب، و سيطرت إنجلترا على جميع البنوك و المعاهد التجارية و المراكز الصناعية و المصانع العامة حتى أنشئت في الفترة ما بين ١٩٠٠ - ١٩٠٧م أكثر من ١٦٠ شركة.^{٢٢}

و تطورت الثورة العربية إلى ثورة عامة ضد الاستعمار و القوات الخارجية و أثارت من حب الوطن و استقلاله من نفوذ الأجانب، و أنارت هذه الخواطر العامة شخصيات كبرى، و ساهمت في إشعالها و حرقها كالأستاذ جمال الدين الأفغاني، و الشيخ محمد عبده، و عبدالله النديم، و مصطفى كامل وغيرهم.

و كان السيد جمال الدين الأفغاني مخالفا للاستعمار بقوة و شدة، و لقد طوف في فارس و الهند و الحجاز و الآستانة، و أقام فيها و حاول لتأسيس الوحدة الإسلامية، كي تكون البلاد الإسلامية حرة من أغلال الاستعمار و الإنجليز، و نفى من قبل الثورة العربية، و إذا حكم على الأستاذ محمد عبده بالنفي ثلاث سنوات، فدعاه الأستاذ جمال الدين الأفغاني إلى باريس، فلبى دعوته و اشترك في إخراج مجلة "العروة الوثقى"، أثارت الأفكار و أخافت الإنجليز و الفرنسيين، و أقلق راحتهم، لأنها

دعت إلى وحدة العالم الإسلامي و”كانت تقصد أول ما تقصد إلى مناهضة الاحتلال الأجنبي بجميع أشكاله، وتهدف إلى نيره عن العالم الإسلامي كله عن طريق ثورة الشعوب، و بث روح العزة القومية بواسطة العقيدة الدينية الصحيحة، و خلت الأمل في النجاح مكان اليأس، و توثيق الصلات بين الشعوب الإسلامية كلها لتتعاون على رفع أذى الأجنبي عنها، و التخلص من المستبدين الظالمين من أهلها، و تأسيس الحياة الاجتماعية و الدينية و السياسية على أسس أصول الإسلام”- ٢٣

و اذا اضطهدت ”العروة الوثقى“ بعد ثمانية أشهر، فسافر إلى لندن، ثم رجع إلى بيروت، فدرس و كتب مقالات في مجلات عديدة حول المصالح العامة للدول الإسلامية، و إذا عاد إلى مصر، فولى وجهه شطر إصلاح العقيدة و المؤسسات الإسلامية كالأزهر و الأوقاف و المحاكم الشرعية- ٢٤

و كذلك كان عبد الله النديم خطيب الثورة يائسا و مخفيا عن أعين الناس بعد انتهاء الثورة العربية و لكنه لم يصبر على ذلك الحال، فخرج و دخل في ميدان السياسة و أصدر الجريدة ”الأستاذ“ و بدأ يكتب بما تصلح الميدان السياسى، و يقوم بمناصرة الحركة الوطنية، و موازنة الخديو عباس، و لم تصدر أعداد حتى توقفت-

قال عبد الله النديم عن الجريدة ”إنها جريدة علمية تهذيبية فكاهية“ تصدر يوم الثلاثاء من كل أسبوع، و ظهر العدد الأول منها في أول صفر سنة ١٣١٠ هـ / ٢٣ أغسطس سنة ١٨٩٢ م، يتولى تحريرها و يتولى أخوه إدارتها، و قد كتب في أول عدد منها، ”إنها لاتعرض للسياسة العلمية الإدارية- أما السياسة من حيث هي فن فإنها تدخل في موضوعها العلمى“ - ٢٥

و لكن الجريدة لم تعمر، و لم تطل حياة النديم، فكان يخبو و يرمي إلى الحكومة، و لاقت نفسها بر بها فى العاشر من أكتوبر سنة ١٨٩٦ - ٢٦

ولا يستطيع أحد أن ينسى مصطفى كامل باشا (١٨٧٤-١٩٠٨ م) و خدماته الجليلة في مقاومة الاحتلال البريطاني، و إشعال الحمية الوطنية، بخطبه و مقالاته و كتبه، و كان فصيحاً، ساحر البيان،

انصرف إلى تحرير بلاده مصر، ونشرت دعوته السياسية في صحف فرنسا و مجلاتها، وأنشأ في مصر جريدة يومية سماها "اللواء" سنة ١٩٠٥م، وجعل يتنقل في البلاد المصرية و الفرنسية و الإنجليزية، لا يكاد يستقر سعيًا وراءه استقلال بلاده، وأنشأ جريدتين إحداهما بالإنجليزية و الثانية بالفرنسية، و سمي كلا منها "اللواء" فأخذت آراءه تفيض من آليته الثلاثة، و دعا إلى إنشاء الحزب الوطني، فانعقد أول إجتماع له سنة ١٩٠٧م بدار اللواء و انتخب رئيسه طول حياته و توفي شاباً. ٢٧

و لكن هذه الحركة الوطنية تتقدم و تتطور في إشراف الحزب الوطني و رئيسه الجديد محمد فريد، و لم تزل تسير إلى أن حصلت للبلاد من الحرية و الاستقلال في سنة ١٩٥٢م بأكمل الصورة و أجمل معناها. ٢٨

الفصل الثاني

الأوضاع العلمية والأدبية

كانت مصر والبلاد العربية تحت حكم الأتراك والمماليك ثلاثة قرون، ولم تتطور اللغة العربية وآدابها والفن والثقافة، بل كانت "في ظلام داحس، و جهل فاضح، تعاني حرارة الظلم، وقسوة الحرمان، فقد جرمها الأتراك أعلى كنوزها، فنقلوا كثيرا من العلماء والأدباء والأمراء والمهندسين، والوراقين، وأرباب الحرف إلى بلادهم كما نقلوا أكثر الكتب التي بخزائن المدارس، ونهبوا أموال الأوقاف التي كانت محبوسة على العلماء و طلبة العلم، فتفرق الطلاب، وانفضت سوق العلم، ولم يبق منه إلا ذمء يسير بالأزهر"^{٢٩}.

ظلت مصر على هذه الحال، فأنت حملة فرنسية، وقضت على دنيا الأتراك والمماليك وما فيها من جهل وذلة وانحلال واصطحبت معها كل عدد الاستعمار والاستقلال والإيقاظ، فأنشأ نابليون مسرحا للتمثيل، ومدارس لأولاد الفرنسيين وجريدتين، ومصانع ومعملا للورق، ومطبعة، ومرصد فلكية، وأماكن للأبحاث الرياضية، ومكتبة عامة، وأنشأ المجمع العلمي المصري على نظام المجمع العلمي الفرنسي.

و إذا وصلت السلطة في أيدي محمد علي، فلم يدهش بالغرب ولم يبهت، بل علم أن ما في الغرب من عمارة وحضارة، إنما أساسه العلم، فأنشأ المدارس المختلفة الدرجات والغايات في المدائن والقرى، واستقدم طائفة من علماء فرنسا للتدريس والتأليف. و بعث بمن أنجبت تلك المدارس إلى فرنسا سنة ١٨٢٦م ليستفيدوا ويستزيدوا^{٣٠}. وكانت هذه الطائفة العلمية في رئاسة رفاعة الطهطاوي، فاختلط هو و جماعته بحياة الغربيين^{٣١}، وأخذت تقرأ هناك في الأدب الغربي وتحتني اللذة الفنية الخاصة.

و عاد رفاعة، فشارك في حركة الترجمة العلمية التي أوجدتها الضرورة المدرسية حتى يعرف

المصريون العلم الأوربي- ثم أنشأ محمد على مدرسة الألسن لتخدم هذه الحاجة و عين رفاة ناظرالها، و لم يلبث أن تأسس قلم للترجمة سنة ١٨٤٢م و تولى رفاة رئاسته-^{٣٢}

وما زال يتطور هذا التيار العلمي و الأدبي حتى و لى الأمر عباس، ثم سعيد، فحبا أواره، و وقف تياره لرغبة هذين الأميرين عن العلم و التعليم-

فلما جلس إسماعيل على عرش الحكومة سنة ١٨٦٣م فتح ما أغلق من المعاهد، و زاد عليها، كما يكتب المؤرخ أحمد حسن الزيات "فأنشأ المدارس للعلوم و الهندسة و الطب و الحرب، و عاد إلى إرسال البعث إلى أوربا، و أسس نظارة المعارف، و عهد إليها أمر التعليم، و أنشأ المكتبة الخديوية، و بنى مدرسة المعلمين و بسط يده للمؤلفين، و نشر ألوية المدنية و السكينة على ربوع البلاد، فنرح إليها الأجانب للكسب و التجارة، و وفرة المدارس، و انتشار الصحافة، و اقتباس التمثيل، و ترجمة العلوم، و الأندية الأدبية، و المجامع العلمية، و تعلم اللغات الأجنبية، و نقل الحضارة الأوروبية، و الحرية الشخصية، كان كل أولئك سببا في خصب القرائح، و سعة المدارك، و نهوض اللغة، و حياة الأدب"-^{٣٣}

فأنشئت دار العلوم، و أسست الجامعة المصرية، و مدرسة اليوفية أول مدرسة للبنات سنة ١٨٧٣م، و أعيد ديوان المدارس، و قام الشيخ رفاة الطهطاوي و علي مبارك بتطوير العلوم و الفنون و ترجمة الكتب الإنجليزية و الفرنسية إلى اللغة العربية، و أقيمت المطابع، و تقدمت الصحافة في ذلك العهد تقدما عظيما، لأن مصر لم تظهر فيها من الصحف المصرية سوى "الوقائع المصرية" التي أنشأها محمد علي، و لم يظهر غيرها من الصحف العربية-

و إذا نشطت الحياة العلمية و الأدبية في عصر إسماعيل، فكان من مظاهرها تأسيس الصحف العلمية و الأدبية و السياسية، و قد نهض بالصحافة في ذلك العصر طائفة من العلماء و الأدباء المصريين-

و كانت من الصحف العلمية و الأدبية و السياسية مجلة "اليعسوب الشهرية" أنشأها محمد علي باشا البعكي و إبراهيم الدسوقي، و مجلة "روضة المدارس" أنشأها العلامة علي مبارك باشا، و جريدة

أركان حرب الجيش المصري و الجريدة العسكرية المصرية، و صحيفة "وادي النيل" أنشأ الشاعر الناصر عبد الله أبو السعود أفندي، و جريدة "نزهة الأفكار" أنشأها إبراهيم بك المويلحي و محمد بك عثمان جلال، و مجلة "الوطن" لميخائيل أفندي، و جريدة "مصر" لأديب إسحاق، و جريدة "روضة الأخبار" لمحمد بك أنسي، و جريدة "الكوكب الشرقي" لسليم باشا، و جريدة "الأهرام" لسليم بك و بشاره باشا، و جريدة "الإسكندرية" و "الكواكب المصري" و "مرأة الشرق" لسليم مخموري، و أنشأ الشيخ يعقوب صنوع "مرأة الأحوال"، و "الموید" للشيخ علي يوسف، و "التنكيث و التبيكيت" و "الأستاذ" لعبد الله النديم، و "اللواء" لمصطفى كامل-^{٣٤}

و ما كان الفضل و الأثر لهذه الصحف، فيلقي الأستاذ عبد الرحمن الرافعي ضوا عليه، فهو يكتب "و كان لهذه الصحف عامة فضل كبير في إنارة البصائر و الأفكار، توجيه الأنظار إلى العناية بشئون البلاد العامة و انتقاد الأعمال الضارة التي تصدر عن الحكومة، فكانت أداة لظهور حرية الآراء السياسية، و لها الفضل أيضا في نشر العلوم و المعارف، و تهذيب لغة الكتابة، و ترقية أساليب الإنشاء، فكانت من هذه الناحية من عوامل النهضة الأدبية في العصر الحديث" -^{٣٥}

و أفادت الجمعيات و المجامع بتطور العلم و الفن، لأنها تكون من الوسائل الفعالة إلى نشر العلوم و الفنون و المعارف و من مظاهر تقدم الأفكار و الثقافة في المجتمع-

فالمجمع العلمي هو الهيئة العلمية التي أنشأ نابليون في مصر سنة ١٧٩٧م لنشر المباحث العلمية، و جمعية المعارف أسست سنة ١٨٦٣م، و هي أول جمعية علمية ظهرت في مصر لنشر الثقافة بواسطة التأليف و الطباعة و النشر، و الجمعية الجغرافية الخديوية أسست سنة ١٨٧٥م، و هي من أهم المنشآت العلمية في مصر، أسسها إسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ و الغرض منها العناية بالأبحاث الجغرافية و العلمية، و تدوينها و نشرها، و كذلك أنشئت الجمعية الخيرية الإسلامية بالأسكندرية سنة ١٨٧٨م، أسست هذه الجمعية لفتح المدارس الحرة لتعليم البنين و البنات، و تهذيب الأخلاق، و إعانة الفقراء-^{٣٦}

و أتيحت لمصر الفرصة في أن تواصل أمد التطور و التقدم بما ترجم أعلامه من كتب و ما أدخلوه من مصطلحات، و عنى رفاعة الطهطاوى بكتب الفلسفة و الأدب و التاريخ و الجغرافية و ترجم من باريس كتابه "قلائد المفآخر فى غريب عوائد الأوائل و الأواخر" و عرب "تخليص الابريز" دستور فرنسا فى ذلك الحين، و هو الذى أشار بإنشاء مدرسة الألسن، و فيها تخرج على يديه صفوة من العلماء و المترجمين الذين ملئوا مصر بعلمهم و تلاميذهم حتى بلغ ما ترجموه زهاء ألفى كتاب، و هو أول من كتب فى المسائل الوطنية القومية، و واجب المواطن، و ترجم رواية "تليماك" و هي أول رواية تنقل إلى الأدب العربى الحديث- ٣٧

و أضاف الأستاذ شوقي ضيف قائلا "فكان محمد عثمان جلال و غيره من المصريين يترجمون لمولير و غير مولير، و كان نجيب حداد و غيره من هولاء المهاجرين يترجمون لكورني، شكسبير و غيرهما من الفرنسيين، و ترجم سليمان البستاني "الإلياذة" لهوميروس مزاجا فيها بين البحور العربية و مبقيا على كل سماتها و خصائصها الملحمية-

و كثرت حينئذ الترجمة للمسرحيات و القصص الغريبة، حتى بلغت مئات، و فى فهارس دارالكتب المصرية ما يصور هذا النشاط- و من غير شك كانت هذه الروايات المترجمة و المصرية تغير فى ذوق الجمهور، و تصله بالآداب الأوربية، و تعده لكي يفتح ميادينها مولفا كما اقتحمها مترجما و معربا"- ٣٨

و عنيت النهضة بالطباعة فأسست مطبعة بولاق سنة ١٨٣٤م، و هى إلى اليوم تعد أكبر مطبعة عربية فى العالم، ولما كان إتجاه مصر فى ذلك الوقت حربيا علميا، فان هذه المطبعة لم تعنى فى أول الأمر إلا بالكتب العلمية، و المترجمة التي يقدمها أعضاء البعثات العائلون إلى مصر، ثم انتشرت بعد ذلك المطابع فى مصر، فسهلت سبيل الأدب و أدنت قطوف العلم، و ساعدت على انتشار القراءة- ٣٩

و إذا احتلت إنجلترا على مصر سنة ١٨٨٢م فزارت موجة الترجمة و إساعة الآداب الغربية و

هضمها و تمثلها تمثلاً دقيقاً، وإذا اغتصب الإنجليز السلطان أخذوا يقطعون أسباب النهضة، وأهملوا اللغة العربية، وجعلوا التعليم كله بالإنجليزية، قصروه على تخريب عمال للحكومة، لا إعداد رجال الشعب.

ولكن الأمة المصرية قد استطاعت أن تقف على رجليها، وأن تمسح عينيها بيديها، فلم ترض النكوص، والعالم يتقدم، فهب رجالها يطلبون سيادة لغتهم في بلادهم. ويقومون هم بتعليم أولادهم، فعادت اللغة إلى المدارس، ورجعت البعث إلى أوروبا، وكثرت المدارس الأهلية والأميرية، وشبت ثورة الاستقلال في وجه الاحتلال سنة ١٩١٩م وردد العالم العربي صداها، فأيقظت ما بقي من شعور خامد، ودفعت النفوس الخائفة إلى طلب الحرية في الحكم، والرأي، والقول، والعقيدة حتى ظفرت مصر من ذلك بقسط موفور في دستورها الذي نالته سنة ١٩٣٣م - ٤٠

الفصل الثالث

الأوضاع الاجتماعية

كانت مصر في عهد محمد علي أشبه بمزرعة كبيرة خاصة به و بحاشيته، يديرها المشرفون من قبله يسمون "الملتزمين" يجيبون له من خيرات البلاد، يفرضه عليهم، فيرهبون الفلاحين بالطلب، و يأخذونهم بالعنف و القسوة حتى يحصلوا منهم ما التزموا به، يوفروا لأنفسهم ما يهني لهم من العيش الرغد، و كان محمد علي منصرفا إلى الجيش ليوطبه أركان ملكه، و يوسع رقعته، و في سبيل الجيش و نهضته أسست مدرسة الطب، و الهندسة و الصيدلة و غيرها في المدارس العليا، و المدارس الثانوية و الابتدائية التي توصل إليها، و لهذا لم يكن لعامة الشعب نصيب كبير من هذه النهضة، بل لم يلتفت محمد علي إلى إصلاح حال الشعب، و لاهتم بمعالجة فقره، و مرضه، و رفع مستوى معيشته، و مطاردة الأوهام و الخرافات المسيطرة على عقليته.

ثم كان عهد عباس الأول و سعيد أسوأ من عهد محمد علي، فقد أصيبت مصر في عهدها بنكسة في التعليم و الجيش، ثم جاء إسماعيل و سار على سنة جده، و اهتم بمظاهر المدنية الأوروبية اهتماما عظيما، و أسرف و بذر في أموال مصر، و أهرق الناس بالضرائب حتى وصلوا إلى الدرك الأسفل من الفاقة، فهجروا الأرض و فروا بأبدانهم من سباط الحياة.^{٤١}

و قد ذكر الأستاذ محمد عبده واصفا حال عامة المصريين في ذلك العهد "كان أهالي بلادنا محملين من الأثقال النقدية مالا يطيقون من ضرائب على الأراضي متنوعة مكدسة، تتجدد على الدوام بتجدد الأشهر و الأعوام، و غرائم تفرض على الأنفس و توابعها من غير نظام، لاتنتهي عند غاية، و لا تقف عند حد، حتى بلغت نهاية لا يستطيعونها معها الأداء لشي مما فرض عليهم، ثم لا يمكن لاقتضاء هذه الفرائض الثقيلة منهم، وقت معين، و لا قاعدة معروفة، بل كان ذلك على حسب اشتها الحاكم و إرادته غير المرتبة، فتارة تجبرون على أداء جميع أموال السنة بأنواعها في أول شهر منها، و تارة يطالبون بأموال

السنة القابلة في منتصف السنة الحاضرة، و لا محيص لهم عن الأداء، فان من تأخر عنه عومل بالضرب المهلك، و الحبس المؤبد، أو انتزع منه جميع ما بيده قهرا، و ما شاكل ذلك من المعاملات الخشنة“^{٤٢}.

و كان هذا الظلم و الجلد و السخرة و الضرائب تتواصل حتى و صل كرومر، و من على مصر حين ألغى كل هذه المظالم، و قد صور في كتابه ”مصر الحديثة Modern Egypt“ ما قدمه لمصر في هذا الميدان ”لقد سرت بالتدريج روح جديد إلى سكان مصر، و تعلم الفلاح كيف يمعن النظر في حقوقه، و تعلم الباشا أن لمن يجاوره من الفلاحين حقوقا تجب إحترامها. و على الرغم من أن السوط كان لا يزال معلقا على جوار المديرية، فإن المدير لم يجرؤ على رفعه و استعماله فوق ظهر الفلاح.

و اختفت السخرة البغيضة من مصر، و ذهب الرق عمليا من الوجود و انقضى أجل الأيام السعيدة كان يتمتع فيها المرابون باستنزاف دماء المصريين، و أصبح للقانون الكلمة العليا في كل مكان، بعد أن كان القضاء يباع و يشتري، و ابتدأ المصريون يحبون أرضهم و يعملون بها بعد أن كانوا يحتقرونها، لتمنحهم هباتها و خيراتها فاستجابت لدعوتهم كريمة معطاء.

و قد أحكم توزيع مياه النيل بالعدل و القسطاس المستقيم بين أرض الأمير و الفلاح الصغير، و نظمت وسائل النقل و اتسع نطاقها و أصبح المرضى يعالجون في مستشفيات جيدة الإدارة، و لم يعد المجرمون و المجانين يعاملون الآن معاملة الوحوش الضارية، بل أن الحيوان الأعجم قد مسته يد الرفق، فوجد من يعنى به“^{٤٣}.

و كانت المرأة في المجتمع المصري ممنوعة التعليم و الخروج عن البيوت، و محكومة. كما يكتب محمد حسين هيكل في مذكرته ”و كان تعليم المرأة يومئذ أمرا ادا، لا يقدم عليه رجل حريص على احترام الجمهور المصري له. أما رفع الحجاب و خروج المرأة سافرة إلى المجتمعات، فكان القول به أدنى الأشياء إلى تحليل ما حرم الله، ان لم يكن إلى الشرك بالله، فقد كانت المرأة يومئذ محكومة عليها أن لا تتعلم، و أن لا تخرج من بيتها، إلا لضرورة ملحة، و إلا محجوبة الوجه، و المرأة المصرية التي كان

يجرى عليها هذا الحكم، لم تكن المرأة الفلاحة المضطربة بحكم الحياة إلى مشاركة زوجها في عمله، بل المرأة التي يستطيع زوجها أو أهلها أن يعفوها في مشقة الخروج من البيت“ - ٤٤

أما سواد الشعب و هم أبناء العامة، فالتعلمون منهم، سواء هؤلاء الذين تعلموا في الأزهر أو في مدارس الحكومة، يمثلون العنصر الصالح في الأمة، و كانت تغلب عليهم المحافظة على التقليد و الامتثال لأوامر الدين، و قد كانوا فيما بعد عماد الحركات القومية و عدة مصر في جهادها، أما غير المتعلمين و هم الغالبة العظمى في الريف و في المدن، فكانت تسود بينهم الخرافات، و إن كانوا على شيء من الطيبة و التحفظ، إلا أن الجهل كان يفعل بعقولهم الأفاعيل، ترى ذلك في الحفلات الدينية -

و كان كثير منهم يدمن على المخدرات و لاسيما الحشيش و الأفيون في جلسات خاصة أو عامة، و كانوا يقضون أوقات فراغهم أحيانا في المقاهي يلتفون حول قاص من القصاص يحكى لهم سيرة عنترة و أبي زيد الهلالي، و يزيد عليها من عنده و قد أوقعهم الجهل فريسة للمرابين المحتالين من الأجانب -

و كانت المراقص و المعازف معمورة و الناس مشغولون في الملاعب الهزلية كما يصور الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي تصوير مرقص في ذلك العهد ”رأيت الدنانير ذائبة في الكؤوس، و العقل جامدة في الرؤس، و الحبائل منصوبة لاستلاب الجيوب، و السهام مسددة لاصطياد القلوب، و رأيت من كنت أحسبه أواخر الناس عقلا، و أذكاهم قلبا، و من كنت أراه فاغضى بين يديه إجلالا و إكبارا واقعا في حباله بفي تعيمه و تقعده، و تطويه و تنشره، و تبعث به عبث الطفلة بلعبتها، و هو في غير هذا المكان قيصر الرومان عنترة و فخارا، و كسرى فارس أنفة و استكبارا“ - ٤٥

أما الأزهر الشريف، فكان قد آل إلى حال من الفساد المادي و العقلي يستحيل معها أن يخرج رجلا حرا كريما صالحا يجيب الناس في الدين، و يزين في قلوبهم الإيمان كما يكتب الشيخ رشيد رضا في وصف الأزهر ”كانت أمكنة الجامع الأزهر من صحنه إلى مقاصير إلى أروقه إلى مفاطسه و ميضاته و

كنفه مجتمع أو ساخ و مهب روائح عفنته، و منبع و خامة، و بورة أمراض معدته۔ فاذا دخل الداخل إلى الصحن وجد فيها بقايا الكرات و الفجل و قشور البصل و فضلات الخبز المعفنة و جلود الفسيخ و قمادات الكسن في مواضع النوم أكواما۔

و كان طلبة الجامع الأزهر لا نصيب لهم في صناعة الكتابة و الإنشاء۔ و كان الواحد منهم اذا كتب لأبيه يستمخه إرسال الزاد و النفقة فصرت صحيحفته عن بيان المطلوب له، و لم ينفعه ما حصله من قواعد العربية بشئ، و جاء خطه في مكتوبه نقشا مكر الخطوط ناقص الحروف، و اذا أراد ألف بين ما صرفه و ما يلزمه عبر عن ذلك باللفظ لا بالرقم، لعدم معرفته به۔^{٤٦}

و كانت هذه الأوضاع الإجتماعية فقام عدد من المصلحين لإصلاح هذه الحالة البشعة، و كان على رأسهم السيد جمال الدين الأفغاني الذي زار مصر في سنة ١٨٧١م، و أثار حركة دينية و سياسية و إصلاحية، فالتف حوله الشيخ محمد عبده، و الشيخ عبد الكريم سلمان، و الشيخ إبراهيم اللقاني، و الشيخ سعد زغلول، و الشيخ إبراهيم الهلباوي، يأخذون عنه، و يقتدون به، فذاعت شهرته، و نبغ من تلاميذه طبقة من الأحرار، و أهل الجرأة في السياسة و الأدب و الإصلاح۔

و إذا رجع الشيخ محمد عبده في المنفى، فقام بإصلاح حال المصريين، كما يقول الأستاذ بنفسه "ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظمين: الأول تحرير الفكر من قيد التقليد و فهم الدين على طريقة السلف الأمة قبل ظهور الخلاف، و الأمر الثاني: إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير، و هناك أمر آخر كنت من دعائه و الناس جميعا في عى عنه، و لكنه الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية. و أصابهم الوهن و الضعف و الذل لإبخلو مجتمعهم منه، و ذلك هو التميز بين ماللحكومة من حق الطاعة على الشعب، و ما للشعب من حق العدالة على الحكومة"۔^{٤٧}

و كذلك اتجه إلى إصلاح الأزهر ليخرج قوما غيراً على الدين، متنورين، لأنه يرى أن إصلاح الأزهر أعظم خدمة للإسلام، فإصلاحه إصلاح لجميع المسلمين، فساد فساد لهم، لأنه عنوان الدين۔

فالناس لا يعرفون من أمر الإسلام إلا ما يقوله رجل الأزهر^{٤٨}، واتخذ أهم وسيلة لإصلاح العقيدة تفسير القرآن الكريم، لأنه كان يرى أن الفساد دخل على العقيدة من فساد بالإشراك مع الله الأولياء و عبادة الأضرحة والتشفع بأهل القبور، وإقامة الموالد و نذر النذور، و حاول في تفسيره أن يوفق بين الإسلام و نظريات العلم.

و دعا الشيخ رفاعه الطهطاوي و على مبارك باشا و أحمد فارس الشدياق إلى تعليم المرأة و إقامة المدارس للبنات و إعطاء هن الفرص للدراسات العليا، و لكن قاسم أمين، محمود المرأة، أثار ضجة شديدة حول المرأة بكتابه و هما "تحرير المرأة" و "المرأة الجديدة" و بحث فيه الحجاب السائد ليس من الإسلام، و تبقى أن تشتغل المرأة بالشئون العامة و منع عن تعدد الأزواج، و الطلاق محظور إلا لعارض يبيحه.^{٤٩}

و حاول بهذا الكتاب التوفيق بين الإسلام و بين حاجات العصر، و يعرض في خلال كلامه لبيان المضار الناشئة عن الجهل و الحجاب.

و يدعو قاسم أمين في آخر كتابه دعوة صريحة للأخذ بأساليب الحضارة الغربية و هو يقول "هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، و ليس له دواء إلا أننا نربي أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية و يقفوا على أصولها و فروعها و آثارها. و إذا أتى ذلك الحين. و نرجو أن لا يكون بعيدا. انحلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس، و عرفنا قيمة التمدن الغربي، و تيقنا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة".^{٥٠}

و يختتم قاسم أمين كتابه بالإشارة إلى أن ما انبعث في الشرقيين من شوق إلى مجارات الغربيين، بعد أن اختلطوا بهم، فتبين سوء حالتهم الاجتماعية حين قاسوها بحالة الغربيين، و يقول إن الكتاب المرشدين قد فاتهم أن كلامهم لا يترك أثرا إلا أن وصل إلى النساء اللاتي هن حجر الزاوية في تربية الأجيال، فاذا أراد المصريون أن يصلحوا حالهم، فعليهم أن يبدؤا الإصلاح من أوله.^{٥١}

و قد كان من أشد ما افزع أصحاب هذا المذهب، أن شباب المسلمين ممن فتنهم المدنية الغربية قد استقر في وهمهم أن النسبة إلى الدين سبة، و أن الظهور بالمحافظة عليه معرة. حتى لقد احتاج بعض الأدباء إلى توجيه شطرهم إلى الغرب رفضاً للدين و الأدب كما نرى في "اليوم و الغد" لسلامة موسى، و "مستقبل الثقافة في مصر" و "في الشعر الجاهلي" للدكتور طه حسين.

و إلى جانب هذه الطائفة التي كانت تحاول النهضة بمصر و بالشرق و بالمسلمين عن طريق الأخذ بأساليب الحضارة الغربية التي أثبتت نجاحها و تفوقها، و كان فريق آخر يرى أن الأمم الإسلامية التي سقطت تحت أقدام الغرب لا يمكن أن تنهض على أساس اعتناق مبادئ الغرب، لأن هذا لا يؤدي إلا إلى أفناء نفسها فيه، و لا ينتهي إلا إلى أعجابها بالمستعمرين، و سكونها إليهم، و أنسابهم، و عذر ذلك لاتجد في نفسها ما يحفزها للتخلص منهم لأنها ستفقد إحساسها بأنهم غرباء عنها، و لذلك هذا الفريق من المصلحين بأن النهضة الصحيحة لا تقوم إلا على التمسك بديننا و تقاليدنا.

٥٢

و قام عبد الله النديم، و عبد الرحمن الكواكبي، رفيق العظيم، و عبد العزيز جويش و غيرهم لإصلاح المفااسد الاجتماعية و المعايير الخليفة التي توجد في المجتمع المصري آنذاك.

الهوامش:

- ١- احمد حسن الزيات: تاريخ الادب العربي، ٤١٥
- ٢- محمود محمد شاكر: مقدمة المتنبي، ٩٣
- ٣- محمود محمد شاكر: مقدمة المتنبي، ٩٥
- ٤- احمد حسن الزيات: تاريخ الادب العربي، ٤١٥
- ٥- محمود محمد شاكر: مقدمة المتنبي، ٩٧
- ٦- محمود محمد شاكر: مقدمة المتنبي، ٩٨
- ٧- محمود محمد شاكر: مقدمة المتنبي، ٩٩
- ٨- محمود محمد شاكر: مقدمة المتنبي، ١٠٤

- ٩- شوقي ضيف: الادب العربي المعاصر في مصر، ص ١٢،
- ١٠- عبد الرحمن الراجحي: عصر محمد علي، ص ١٩،
- ١١- عبد الرحمن الراجحي: عصر محمد علي، ص ٢٠،
- ١٢- شوقي ضيف: الادب العربي المعاصر في مصر
- ١٣- عبد الرحمن الراجحي، عصر محمد علي، ٦٧٣
- ١٤- عبد الرحمن الراجحي: عصر اسماعيل، ٢٣
- ١٥- عبد الرحمن الراجحي: عصر اسماعيل، ٥١
- ١٦- عبد الرحمن الراجحي: عصر اسماعيل، ٥٢
- ١٧- عبد الرحمن الراجحي: عصر اسماعيل، ٧١
- ١٨- عبد الرحمن الراجحي: عصر اسماعيل، ٢١٦/٢
- ١٩- فوزي جرجيس: دراسات في تاريخ مصر السياسي منذ العصر المملوكي، ٨٧
- ٢٠- عمر الدسوقي: محمود سامي البارودي، ص: ٧-٨
- ٢١- انظر للتفاصيل: عبد الرحمن الراجحي، الثورة العربية
- ٢٢- فوزي جرجيس: دراسات في تاريخ مصر السياسي منذ العصر المملوكي، ٨٧
- ٢٣- د/ احمد امين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ٣٠٦
- ٢٤- د/ احمد امين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ١٦-٣١٢
- ٢٥- د/ احمد امين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ٢٣٦
- ٢٦- د/ احمد امين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ٢٤٥
- ٢٧- خير الدين الزركلي: الاعلام، ٧/ ٤٩-٢٤٨
- ٢٨- أنظر للتفاصيل: احمد رشاد: مصطفى كامل حياته و كفاحه
- ٢٩- أنظر للتفاصيل: عبد الرحمن الراجحي: مصطفى كامل باعثة الحركة الوطنية
- ٣٠- عمر الدسوقي: محمود سامي البارودي، ٩
- ٣١- احمد حسن الزيات: تاريخ الادب العربي، ٤١٦
- ٣٢- شوقي ضيف: الادب العربي الحديث في مصر، ٢٢
- ٣٣- احمد حسن الزيات: تاريخ الادب العربي، ٤١٨
- ٣٤- أنظر للتفاصيل: دكتور عبد اللطيف حمزة: الصحافة و الادب في مصر ص: ٢٦-٢٧، و دكتور ابراهيم عبده، اعلام الصحافة العربية: و مستقبل الصحافة في مصر لدكتور عبد اللطيف حمزة و جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ٤/ ٤١١
- ٣٥- عبد الرحمن الراجحي، عصر اسماعيل، ٢٦٥/١

- ٣٦- أنظر للتفاصيل: الراجعي، عصر اسماعيل، ج ١/٢٥٦-٢٥٩
- ٣٧- عمر الدسوقي: محمود سامي البارودي، ١١
- ٣٨- شوقي ضيف: الادب العربي المعاصر في مصر، ٢٥-٢٦
- ٣٩- احمد حسن الزيات، تاريخ الادب العربي، ٤٢٥، ايضا عمر الدسوقي، محمود سامي البارودي، ١١-١٢
- ٤٠- احمد حسن الزيات: تاريخ الادب العربي، ٤١٨-٤١٩
- ٤١- أنظر للتفاصيل، الراجعي: عصر محمد علي، ٦٤٦-٦٤٨
- ٤٢- رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ١٧٠/٢-١٧٤
- ٤٣- عمر الدسوقي: في الادب الحديث، ١٤/٢
- ٤٤- محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، ٢٤/١
- ٤٥- مصطفى لطفى المنفلوطي: النظرات، ٢٠٣/٣
- ٤٦- د/محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، ٢٨٣/١
- ٤٧- د/احمد امين: عماء الإصلاح، ٢٨-٣٢٧
- ٤٨- أنظر للتفاصيل: د/محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، ٣١١/١
- ٤٩- أنظر للتفاصيل: د/محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، ٢٨٣/١
- ٥٠- قاسم امين: المرأة الجديدة، ١٨٥
- ٥١- د/محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، ٣١١/١
- ٥٢- د/محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، ٣١٢/١

الباب الثاني

جمعية الإخوان المسلمين عبر التاريخ

فى بداية القرن العشرين تأسست جمعيات و مؤسسات دينية فى مصر، و قد أثر فى بروزها المؤثرات الخارجية من ثقافية و سياسية و اقتصادية، و الاستعمار البريطانى استبد بأمرها حتى نهاية النصف الأول من القرن الصارم-

و كانت لهذه الجمعيات أهداف شتى و برامج مختلفة، و كانت نقطة الإنطلاق و التلاقى أن تحكم الشريعة المحمدية على الفرد و المجتمع، و كانت ميزة هذه المؤسسات أنها لعبت دورا هاما فى حياة مصر السياسية، و خاصة جمعية الإخوان المسلمين و جماعة شباب محمد، و جمعية الشبان المسلمين، و يرى بعض الباحثين أن الرابطة العربية التى أسسها أمين سعيد كانت من الجمعيات التى وقفت نفسها على أن تكون كلمة الله هى العليا من خلال تعايشها مع الواقع السياسى، و لكن يصعب على باحث الإعراف بهذا الرأى، لأن الرابطة كانت موجهة شطر الوطنية تاركة النشاطات الدينية وراء ظهرها-

إن القيادة الوطنية بمصر أسست جمعيات و مؤسسات و أندية متعددة فى ذلك الوقت كى يفهم الناس الإسلام و تعاليمه و يشمروا عن ساق الجد لمحاربة الاستعمار البريطانى، و هذه الجهود لتأسيسها كانت من متطلبات العصر و نتيجة الضغوط الطبيعية البشرية التى معتادة فى أوان الاستهان و الإذلال أن تندفع لإزالتها و طردها، و هى كانت مضطرة إلى أن تتحد على نقطة محاربة الاستعمار-

و لعب كل من الوطنيين و الشيوعيين و العلماء و المخلصين للدين و غيرهم دورا هاما لبناء المجتمع وفق عقيدتهم و وجهة نظرهم و كان إصرارهم على إحياء التراث العربى و الإسلامى الذى ابتلى بالجمود و الذوبان خلال فساد الغرب و محاولته الخبيثة-

و إن جمعية الإخوان المسلمين كانت متحمسة و متيقظة لآلامها و كانت تتدفق حيوية و نشاطا، فكان العملاق البريطانى يجد نفسه حائرا أمام هذه القوة المتدفقة، فبدأ يكرر إهدارها و

فنائها و تشتيت رجالها و أعوانها، و عاونها الاستعماريون فى العالم كلهم فأفلح فى هذا التخطيط بعد مدة طويلة.

و كانت آنذاك ١٣٥ من الجمعيات الدينية التى بدأت أعمالها قبل الحرب العالمية الأولى^١، وأكثرها كانت تهدف تنفيذ الشريعة الإسلامية فى بلدها، و نال بعضها من إعجاب الناس و بعضها لم يقبل، ينبغى أن يسجل كشفا للحركات الدينية التى أسست للوصول إلى هذا الهدف، و هذه الحركات تطورت لتطوير المجتمع الإنسانى و خطط لمحاربة الاستعمار البريطانى، و حاولت إلى إقناع الشعب كله بهذه الأفكار و الأهداف النبيلة.

١- جماعة الكشف الأهلية المصرية ٢- رابطة الإصلاح الإجتماعية

٣- جماعة الاتحاد الساعى ٤- جمعية التعاونية المنزلية

٥- الجمعية التعاونية للبتروى ٦- الجمعية التعاونية لتوريد التقوى

٧- رابطة التعليم الإلزامى ٨- جمعية المهندسين الملكية

٩- جمعية الخرجين المعلمين ١٠- الجماعة الشرعية لتعاون العاملين

بالكتاب و السنة المحمدية

١١- جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ١٢- جمعية الأمة و الكتاب

١٣- جمعية الإصلاح الدينى ١٤- الجمعية الخيرية الإسلامية

١٥- جمعية المواساة الإسلامية ١٦- جمعية عائلة السكر

١٧- جمعية إحياء مجد الإسلام ١٨- جمعية غزوة بدر

- ١٩- جمعية الوفاء الإسلامى
٢٠- جمعية النشر الفاضل والأدب الإسلامية
٢١- جمعية الشبان الحجازيين
٢٢- جمعية المناداة بالصلاة
٢٣- جمعية إحياء القرآن الكريم
٢٤- جمعية مصر الفتاة
٢٥- جمعية الرابطة الإسلامية
٢٦- جمعية الأمة و المحافظة على القرآن الكريم
٢٧- جمعية العروة الوثقى الإسلامية
٢٨- جمعية أنصار السنة المحمدية
٢٩- جمعية إحياء السنة المحمدية
٣٠- جمعية الأخ الإسلامى
٣١- جمعية المسلم العامل
٣٢- جمعية التقوى
٣٣- جمعية الشبان المسلمين
٣٤- جمعية الإخوان المسلمين
٣٥- جمعية الرابطة العربية
٣٦- جماعة شباب محمد
٣٧- جمعية الجهاد الإسلامى
٣٨- جمعية الهداية الإسلامية

فكان بعض الجمعيات المذكورة نشيطا و لعب دورا مهما فى تطوير المجتمع إلى المجتمع الدينى الإسلامى، و يليق بالذكر 'جمعية الشبان المسلمين' التى كان يساهم فيها الشيخ حسن البنا الشهيد.

و لكن الأهم خلال هذه الجمعيات كانت "جمعية الإخوان المسلمين" احتلت مكانة مرموقة فى تاريخ العالم لتكوين المجتمع الذى يقوم على العقيدة الصحيحة للإسلام. أحاول أن أقدم من تاريخ هذه الحركة موجزا و أهدافها المعروفة.

جمعية الإخوان المسلمين، نشأتها و تأسيسها

بدأ الأستاذ حسن البنا يلعب دوراً عملياً في إصلاح الحياة و المجتمع بالإسماعيلية مدينة معروفة في بلدة مصر- و كان يرغب إلى لقاء الشخصيات الدينية في المدارس و المساجد، و لم يحدد دعوته و عمله في النهار، بل يدعوا الناس ليلاً و نهاراً، و يلقي على الناس محاضرات و خطبات تجذب إليه عدداً كبيراً من الناس الذين يتاثرون و يعجبون به و يقدرون إخلاصه و نصحه للدين و المسلمين-

في ذى القعدة ١٣٤٨ من الهجرة المصادف مارس ١٩٢٨ في الميلاد زار وفد ستة أشخاص الذين كانوا ينتمون إلى الجيش البريطاني منزل الأستاذ البنا، و هم كانوا الحافظ عبد الحميد المصري، فواد إبراهيم، عبد الرحمن حسب الله، إسماعيل عز، زكي المغربي، و هؤلاء الأشخاص كانوا معجبين بالأستاذ أشد إعجاباً و يحبون أفكاره و آراءه و تعاليمه و دروسه فجلسوا و تناقشوا فيما بينهم عن المجتمع المعاصر و مفسده و بلوغه على شفا حفرة من الهلاك و كانت في صوتهم قوة و في عيونهم بريق و على وجوههم سنا الإيمان و العزم، فألقى الأستاذ البناء عما يجيش في صدره و قلبه، فأيدوا كلهم فكرة الأستاذ و قالوا إنا نحن معك يا أستاذ، نقوم بإعانتكم في سبيل هذه الدعوة بأنفسنا و أموالنا و قالوا "لقد سمعنا و عينا و تأثرنا و لا ندرى ما الطريق العملية إلى عزة الإسلام و خير المسلمين، و لقد سئنا هذه الحياة- حياة الذلة و القيود- و ها أنت ترى العرب و المسلمين في هذا البلد لا حظالهم من منزلة و كرامة و أنهم لا يعدون مرتبة الأجواء التابعين لهؤلاء الأجانب، و نحن لا نملك إلا هذه الدماء تجري جادة بالعزة في عروقنا، و هذه الأرواح ترى مشرفة بالإيمان و الكرامة مع أنفسنا و هذه الدراهم القليلة من قوة أبناءنا و لا نستطيع أن ندرك الطريق إلى العمل كما تدرك أو نتعرف السبيل إلى خدمة الوطن و الدين و الأمة كما تعرف، و كل الذي نريده الآن أن نقدم لك ما نملك لنبرأ من التبعة بين يدي الله و تكون أنت

المسئول بين يديه عنا و عما يجب أن نعمل، و أن جماعة تعاهد الله مخلصه على أن تحيا لدينه و تموت في سبيله، لا تبغى بذلك إلا وجهه لجديرة أن تنتصره، و إن قل عددها و ضعفت عددها.^٣

هذه الأفكار الناصحة المخلصة أدت الأستاذ البناء إلى إنشاء هذه الحركة اذا وجد هذا التعاون و النصره المويده، ففكر و تدبر ثم أعلن في حضور هولاء الأشخاص الستة "شكر الله لكم و بارك هذه النية الصالحة و وفقنا إلى عمل صالح يرضى الله و ينفع الناس، و علينا العمل و على الله النجاح فلنباع الله على أن نكون لدعوة الإسلام جندا و فيها حياة الوطن و عزة الأمة".^٤

و قال قائلهم بما نسمى أنفسنا؟ جمعية، نادى، طريقة، نقابة حتى نأخذ الشكل الرسمي؟ فرد الأستاذ البناء: لا هذا و لا ذاك، دعونا من الشكليات و الرسميات، ولكن أول اجتماعنا و أساسه الفكرة المعنوية و العمليات، نحن إخوة في خدمة الإسلام، فاذا الإخوان المسلمون،-

و يكتب الأستاذ زكى محمد شوقي حول هذا الاجتماع و هذه التسمية 'و جاءت بغتة و ذهبت مثلاً و ولدت أول تشكيلة للإخوان المسلمين من هولاء الستة حول هذه الفكرة على هذه الصورة و بهذه التسمية"^٥

فألقت هذه الساعة المعجبة روح الحيلة الحركية و الدعوة الإسلامية فى نفوس هولاء الأشخاص الستة و أنتجت جمعية الإخوان المسلمين على أيديهم، و جعلت كبرى الحركات الإسلامية الحديثة فى البلاد الإسلامية و بل فى العالم كله.

أهداف الجمعية و أغراضها

ألقى الأستاذ البناء ضوءاً على أهداف الجمعية و أغراضها فى رسالة قدمها فى المؤتمر الخامس، فهو يكتب "أن غاية الإخوان تنحصر فى تكوين جيل جديد من المومنين بتعاليم الإسلام الصحيح يعمل "على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة فى كل مظاهر حياتها" "صبغة الله و من أحسن من الله صبغة - و أن وسيلتهم فى ذلك تنحصر فى تغيير العرف العام و تربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم حتى يكونوا قدرة يفرهم فى التمسك بها و الحرص عليها و النزول على حكمها"^٦.

و قد أجمل الأستاذ زكى محمد شوقي من هذه الأغراض فيذكر "إن قانون الإخوان الأساسى قد نص على أن من غايات الإخوان تحقيق العدالة الاجتماعية و التأمين الاجتماعى لكل مواطن و المساهمة فى الخدمة الشعبية و مكافحة الجهل و المرض و الفقر و الرزيلة و تشجيع أعمال البر و الخير"^٧.

و هذا الإجمال يوضح أن الإخوان جعلوا لهم من مبادئ و أغراض قاموا بتحقيقها و حصولها

وهى تذكر:

١- علمى : و هو شرح دعوة القرآن الكريم شرحاً دقيقاً و يوضحها و يردّها إلى فطرتها و شمولها و يعرضها عرضاً يوافق روح العصر، و يرد عنها الأباطيل و الأسمار-

٢- عملى : و هو جمع الأمة المصرية و الأمم الإسلامية على هذه المبادئ القرآنية و تحديد أثرها الكريم البالغ فى نفوس أبنائها حتى تكون أمة قرآنية حقاً، و تقرب و جهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة، و المقصود بذلك بناء المجتمع الإسلامى كله على أساس الدين، لأنه واحد، و القضاء على جميع الخلافات التى تقع بين الفرق و الجماعات الإسلامية.

٣- اقتصادى : و هو تنمية الثروة القومية و حمايتها و تحريرها، و العمل على رفع المستوى

للمعيشة، و تحقيق العدالة الإجتماعية بين الأفراد و الطبقات ، و التأمين الاجتماعى لكل مواطن و ضمان تكافؤ الفرص للجميع-

٤- اجتماعى خيرى : و هو المساهمة فى الخدمة الاجتماعيه الشعبية و مكافحة الجهل و الأمراض و الفقر و الرذيلة و تشجيع أعمال الخير و البر-

٥- وطن قومى : و هو العمل على تحرير وادى النيل و البلاد العربية جميعا و الوطن الإسلامى بكل اجزائه من كل أجنبى و مساعدة الأقليات الإسلامية فى كل مكان على الوصول إلى حقها و تأييد الوحدة العربية-

٦- إنسانى عالمى : و هو المشاركة فى بناء السلام العالمى و الحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر المادة و الروح بتقديم مبادئ الإسلام العالمية التى تعلن الأخوة، و ترسم الطريق العملى للوصول إليها للعالم المتعطش إلى حياة روحية فاضلة-

٧- إقامة حكومة دينية : لأن الإسلام يجعل الحكومة ركنا من أركانه، و هو حكم و تنفيذ، و تشريع و تعليم، و قانون، و قضاء، و لا ينفك و احد منها عن الآخر مع الاستعانة بالقوة^٨-

كانت هذه الأهداف و الأغراض التى ما زالت الجمعية متقدمة و متطورة فى جميع خطواتها و آمالها و أعمالها على هدى الإسلام الحنيف فى الإسماعيلية، و إذا نالت قبول الناس و إعجابهم فوسعت نطاقها-

الإخوان المسلمون فى الإسماعيلية

هذه الجمعية فى سنواتها الثلاث كانت من أغراضها توسيع نطاق الأعضاء فى الإسماعيلية و خارجها، و يخرج الأستاذ البناء بنفسه و و كلاءه حاملين هذا الهدف السامى إلى الجماهير و الطبقة المتعلمة فى أوقات الفراغ و يلقون بالناس فى المساجد و المقاهى و البيوت و استعملوا المساجد لإلقاء رسالتهم و دعوتهم، و نالوا إعجابهم و اشتراكهم فى الجمعية و بذلوا من مجهودات مشكورة حتى فتحت الفروع العديدة فى الإسماعيلية و بور سعيد و السويس و أبوصوير، و فى هذه المدة كانت لها علاقة قصيرة بالقاهرة.^٩

واشترت الجمعية فى الإسماعيلية مركز النشاطات - منزلا قديما لمقرها الرئاسى، و أعانت المساهمات و التبرعات المحلية لبناء المسجد الذى قد تم فى سنة ١٩٣٠ م، و ساهمت شركة سويس من إعانة ٥٥٠ جنيه مصرى كمنحة خاصة، و أسس مدرسة فى الإسماعيلية لتربية البنين و البنات منفردة وإعداد هن أخوات مسلمات.^{١٠}

و كانت مواظبة الشيخ البناء على التدريس بالمدرسة بالإضافة إلى ما كان يتحلى به من تواضع طبعى غير متصنع، خير معوان له على عدم استشارة الحاسدين و الأنانيين المحطمين الذين لا يريدون أن يرتفع صوت غيرهم أو الذين يسيئون الظن حتى و شئ بعضهم إلى وزارة إسماعيل صدقى باشا أنه لادنى و يتعلق أيضا بحزب الوفد ضد صدقى باشا و رجل جمهورى يعمل ضد الملك فواد و ينهك شرائط الخدمات المدنية باجتماع التبرعات المستعملة لأغراض غير قانونية، فسئلت وزارة التعليم عن البناء و لكن لم تحصل له شهادات على دعوى رئيس الوزراء و لكن الوزارة طلبت البناء فى عطلة الصيف، و قامت بنقله إلى القاهرة.^{١١}

و كتب الأستاذ اسحاق موسى الحسينى "ليس من دليل على أن نقله ناجم عن نشاطه، فقد ظلت

الحركة إلى سنة ١٩٣٩م سائرة على المنهج السابق عن كتمان وإسرار و نزول في المساجد و وعظ فيها
و تخير للأنصار و تأسيس الفروع بحذر و صمت“ - ١٢

و بعد عطلة الصيف في سنة ١٩٣٢م كان الشيخ البناء مسئولاً، و حصل على ورقة النقل من
الإسماعيلية إلى القاهرة، و كانت جمعية الإخوان المسلمين تتعلق بجمعية الحضارة الإسلامية في القاهرة،
و برأس عليها الشيخ عبد الرحمن البناء شقيق الشيخ البناء، و يتبوأ مكانة دينية، و كان يعمل في سبيل
الدعوة و الإرشاد بعد حصول الدبلوم العالي في التجارة، و امتزجت هاتان الجمعيتان في جسد واحد،
و اتفقت على افتتاح فرع ”جمعية الإخوان المسلمين“، و أرى هذا الامتزاج إلى دخول الجمعية الأساسي
في الحلقات الدينية في عاصمة البلاد، و جعل الأعضاء قادة لتلك الجمعية كما يكتب الشيخ البناء بنفسه
”و رأيت جمعية الحضارة نشاطات جمعية الإخوان المسلمين بالإسماعيلية و انتشار فروعها في هذا
المحيط حول هذا البلد المبارك، و اقتنع رجال الحضارة بأن التوحيد خير من التفرقة، و بأن انضمام
الجهود أولى و أفضل، فاتصلوا بالإسماعيلية و كانت محادثات انتهت أخيراً بانضمام جمعية الحضارة
إلى الإخوان المسلمين، و صيرورتها إلى شعبة من شعبهم و استاجرت داراً جديدة هي منزل سليم باشا
الحجازي بشارع سوق الصلاح، و عمل الإخوان بأنفسهم في إصلاحه و تنظيمه و إعداده ليكون شعبة
تليق في الاتفاق طبقاً لمطالب المظهر الجديد، فان الإسماعيلية أم الدعوة تكفلت بالمساعدة للقاهرة،
حتى يكثر عدد المشتركين و يساهم أهل الإيمان في النفقات“ - ١٣

و أول موامرة وجدت بين الإخوان المسلمين كانت من نيابة الشيخ البناء في الإسماعيلية، و قام
التصويت مرتين و حل هذا النزاع بحكمة الأستاذ المومنة و فراستها الحكيمة، يذكر الشيخ البناء ”و أخيراً
رشحت لهذه المهمة أحدهم و هو الأخ الشيخ علي الجداوي، و هو من أفضل الإخوان خلقاً و ديناً و على
قدر مناسب من العلم و المعرفة، حسن التلاوة للكتاب، جيد المشاركة في البحث، و أتم الدرس و القراءة
مع أنه من أسبق الناس استجابة للدعوة و من أقربهم إلى قلوب الإخوان و أحبههم إليهم، و دعونا إلى

اجتماع شامل و عرضت على الإخوان فكرة إخوانهم من ترشح نائب للإخوان بالعبأ بإشرافى قبل أن نفاجأ بنقل، أو نحوه، فرحبوا بها جميعا، و عرضت عليهم ترشيحى فوافقوا عليه بالإجماع فى فرح شامل و سرور عجيب هذا الاختيار^{١٤}

و لكن قام أحد من الإخوان و ادعى أنه أليق هذا المنصب علما و خطابة و دعوة، فهو قد احتمل كثيرا و أنفق كثيرا و جاهد كثيرا و أخلص للأستاذ أعظم الإخلاص و وضع ماله و حياته و مستقبله و أهله نداء له و بدعوته؟ و ماذا فعل الشيخ من هنا كله؟

و اذا سمع الأستاذ هذا الإدعاء، فتحير و انقبض، فجمع الجميع و سألهم، ما ذا يريدون؟ انتم تريدون هذا، و لكن إخوانهم قد أرادوا غيره و اختاروه و أسندوا اليه هذه المهمة، فاذا نفذت إرادتكم خالفت ارادة إخوانكم، فقالوا: لا إنهم يكونوا حاضرين و لو حضروا جميعا لكان لهم رأى آخر، و كانت الدعوة مفاجئة و لم يكن المقصود منها معلوما، فقلت و هل إذا جددنا الدعوة للجميع، و أعلننا الفرض منها و تركنا لكل إنسان الحرية الكاملة فى أن يقول رأيه، تنزلون عند رأى الجماعة؟ قالوا نعم، قلت: جميل لم نخسر شيئا، إذن فلنعاهد الله على هذا، عاهدنا الله و اتفقنا على الموعد، و وجهنا الدعوة موجهها بها الفرض من الاجتماع و قد كان، فاجتمع الإخوان، و ظهرت نتيجة الانتخاب، فاذا هى إجماع رائع عدا أصوات هولاء فقط على اختيار أخيههم و إذا به يفاجئهم بهذا الإعلان فى تأخير عميق نال من نفوسهم جميعا، و أخذوا يستفرحون لموقعه هذا،^{١٥} و هكذا رفعت هذه الموامرة بأسلوب حكيم و أسوة حسنة.

و بعد نحو خمس سنوات من تأسيس الدعوة بالإسماعيلية نقل الأستاذ البنا ١٩٣٢م إلى القاهرة، و دخلت الدعوة بنقله طوراً جديداً و إن ظلت سائرة على المنهج السابق من كتمان و اسرار و نزول فى المساجد و وعظ فيها و تجميع للأنصار و تأسيس للفروع بحذر و صمت، و ذكر الأستاذ البنا فى إحدى مقالاته المنشورة سنة ١٩٣٤م أى بعد مضى نحو عام واحد من إقامته بالقاهرة، أن فكرة الإخوان قد انتشرت فيما يزيد على خمسين بلداً من بلدان القطر المصرى، و قامت فى كل بلد من هذه

البلدان تقريبا بمشروع نافع أو بمؤسسة مفيدة، ففي الإسماعيلية أسست مسجد الإخوان، ناديهم و معهد حرا للبنين، و مدرسة أمهات المومنين لتعليم البنات، و فى شبراخيت أسست مسجدا و ناديا و معهدا للبنين و دارالصناعة يتعلم فيها طلبة المعهد الذين لا يستطيعون إتمام التعليم، و فى المحمودية البحيرة- قامت بمثل ذلك مصنعا للنسيج و السجاد إلى جوار معهد تحفيظ القرآن الكريم و فى المنزلة أقامت معهد تحفيظ القرآن الكريم و قل مثل ذلك أو بعضه فى كل شعبة من شعب الإخوان المنتشرة فى أنحاء القطر من أنو إلى الأسكندرية^{١٦}

الإخوان المسلمون فى القاهرة

فى أكتوبر انتقل الأستاذ البنا إلى القاهرة مواصلا وظيفته كمدرس فى مدرسة عباس فى الأسبعية، و كان هذه الانتقال من أسباب الدخول فى حقل جديد من الدعوة والإرشاد، و كان الأستاذ البناء يحاول أن يتوسع نطاق الأعضاء، و تنشر رسالته فى جميع الناس الذين يشعرون حاجة ماسة إلى الدعوة فى القاهرة.^{١٧}

و قرر اعتبار القاهرة "المركز العام للإخوان المسلمين" و بما أنه لم يكن للجماعة فى هذا الوقت مكان مناسب خاص بها، فقد قرر الإخوان اعتبار المنزل الذى يسكنه الأستاذ البناء، و كان الدور الأول فيه خاليا مقرا بها : حارة نافع رقم ٢٤ المتفرعة من حارة عبد الله بك، احدى حوارى شارع السروجية، و لكن لم يكن هذا المنزل مقرا دائما، بل تنقل إلى أمكنة مختلفة كما يقول الأستاذ البناء فى مذكرات "فى هذه الفترة التى تقطع سبع سنوات من عمر الدعوة لداعية، تنقل المركز العام خلالها فى دور كثيرة : من حارة نافع ٣٤ إلى دار سوق السلاح إلى حارة الشما شرعى رقم ٥ إلى شارع الناصرية رقم ١٣ إلى القبة الخضراء عمارة الأوقاف رقم ٥ و أخيرا إلى شارع احمد بك رقم ١٣ ايضا"^{١٨}

و اقتضى هذا التوسع فى الفروع و مواجهة الظروف الجديدة فى القاهرة أن يضاعف البنا جهوده، و ينظم أعماله و يجدد وسائله و يوسع منهاجه.

كان منهاجه أن يزور المركز العام فى الصباح الباكر، يترك مذكرات فيها توجيهات و أعمال تتطلب انجازا، ثم يقصد مدرسة و إن كان مسافرا يتوجه من المحطة إلى المدرسة، و فى الظهر يعرج على المركز العام ثانية، يقابل و يوجه و يصرف ما يجد من عمل و فى المساء يزور المركز ثالثة و يقضى فيه وقته مقابلا الوفود و الزائرين أو مجتمعا من رجان أو محاضرا و لم يمنعه ذلك من متابعة أسفاره إلى الريف فى أثناء العطل المدرسية.^{١٩}

و رأى من حسن التنظيم أن يجعل كل شعبة مركزا مستقلا، و صورة متكررة من المركز العام فى القاهرة تعدى رسالتها فيما حولها و فى اقليمها و ما جاورها و تسلم هو مهام القيادة و الإشراف والتوجيه- ٢٠

و كان الأستاذ البنا يستخدم أوقاته فى الصيف سائحا فى القرى شمالا و جنوبا و يبلغ رسالته ويودى أمانته و يقوى بتوسيع نطاق دعوته فى القرى حتى بلغت إلى خمسين قرية و أثرت عليها تأثيرا مزدوجا-

و إذا توسعت الدعوة و النشاطات التبليغية، قرر الأستاذ البنا إضافة بعض الأقسام فى هذه الجمعية كى تظهر فى صورة منضبطة و لذلك قام بنشر الرسائل العديدة فى شهر فبراير ١٩٣١م، أبدت هيكل الجمعية، و صرحت أمورا أساسية و شئونا إدارية لهذه الجمعية، و تحتم هذه الرسائل خاصة أراء الأستاذ البنا حول كل حركة سياسية و قيادة دينية و منظمات إسلامية أخرى توجد فى ذلك الحين، و تعقد مؤتمرات عامة لبحث الأمور و تخطيط الأعمال فى المستقبل و تقدم هذه المؤتمرات أيضا من صور صحيحة واضحة لنشاطات الجمعية فى السنوات ١٩٣٢-١٩٣١م-

و المؤتمر الأول العام فى شهر مايو يتعلق إلى النشاطات التبشيرية المسيحية و محاولات لمنعها و أرسلت مكتوبة إلى الملك فواد معالم الجمعية و عقيدتها إلى أن تمنع نشاطات المؤسسات الخارجية و خاصة تحظر على نشاطات التبشير، و هذه الرسالة كانت من وسائل أداء الفريضة من الأمة الإسلامية حول خطر التبشير و كانت من اقتراحات التى كانت مطالبة من جلالة الملك فواد-

١- فرض الرقابة الشديدة على هذه المدارس و المعاهد والدور التبشيرية والطلبة و الطالبات فيما اذا ثبت اشتغالها بالتبشير-

٢- ابعاد كل من تبيت للحكومة أنه يعمل على إفساد العقائد و اخفاء البنين و البنات

- ٣- الامتناع عن معونة هذه الجمعيات بتاتا بالأرض أو المال-
- ٤- سحب الرخص من أى مستشفى أو مدرسة يثبت أنها تشتغل بالتبشير
- ٥- الاتصال بحضرات الوزراء المفوضين فى مصر و الخارج حتى يساعدوا الحكومة فى تنفيذ خطة الحزم حفظا للأمن و مراعاة-^{٢١}
- و عقد المؤتمر الثانى لمجلس الشورى العام للإخوان، و كان من مقرراته تكون شركة صغيرة لإنشاء مطبعة للإخوان المسلمين^{٢٢}، و احتاجت الجمعية إلى هذه الشركة بعد إنشاء محلتين أسبوعيتين، "مجلة الإخوان المسلمين" و "النذير" -
- و عقد المؤتمر الثالث لبحث الأمور، تزيد فى أعضاء الجمعية و المؤهلات العضوية و مسئوليات الأعضاء و قرر أيضا هيكल الجمعية و خاصة و جهة إلى تكوين الجوائد تهتم بتطوير الألعاب الرياضية، بدأت فى بداية الأيام فى الإسماعيلية، و أوجدت الكتائب أيضا سنة ١٩٣٧ م بعد الجوائد، و توفر هذه الكتائب بأسلحة لتكون مؤثرة على المجتمع، و اعتبر الشيخ هذه الخطوات مرحلة ثانية للحركة و قال النشأة و الإنتخاب و الإعداد-
- و عقد المؤتمر الرابع بمناسبة تتويج الملك فاروق سنة ١٩٣٧ م و كذلك عقد الجمعية المؤتمر الخامس لمناسبة الذكر السنوية على مرور عشرة سنوات على الجمعية، و قد أبدت الجمعية مجموعة من الأفكار و الآراء صارت قواعد أساسية و جعلت مشعلة للسنوات القادمة-
- و فى هذه السنوات قام الأستاذ البنا بإرسال الرسائل إلى الملوك و الأمراء و لى حكام البلاد العربية و إلى كثير من الزعماء الدينيين و السياسيين، و كانت هذه الرسائل رسالة تسمى بنحو النور-
- يدعوا الشيخ البنا القادة و الحكماء إلى طريق الإسلام و أصوله و قواعده و حضارته و مدنيته ناقدا طريق الغرب و مظاهره فى الحياة و المجتمع، ثم يبين فى الرسالة خصائص كل من الطريقين ويوضح

بأن الإسلام كفيل بإمداد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه فى الجندية و الصحة و النظام و الإقتصاد، و ينتهى بالدعوة إلى أن يكونوا من يتقدم باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقارورة الدواء من طب القرآن واستنقاذ المريض، ثم يضع منها جال لإصلاح الشامل فى مختلف مظاهر الحياة و كان أخطر ما فى هذه الرسالة هو طلب القضاء على الحزبية و توجيه قوى الأمة السياسية و جهة واحدة، و وضعاً واحداً.

و فى سنة ١٩٣٨م استكملت الدعوة عناصرها و تبلورت فى كامل صورتها و أوضح الأستاذ البنا من فكرة الإخوان المسلمين بأنها فكرة جامعة تضم كل المعانى الإصلاحية فهى دعوة سلفية: لأنهم يدعون إلى الصورة بالإسلام إلى معينه الصافى من كتاب الله و سنة رسوله، و طريقة سنية: لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة فى كل شئ، و حقيقة صوفية: لأنهم يعملون أن أساس الخير طهارة النفس و نقاء القلب و الحب فى الله و الارتباط على الخير، و هيئة سياسية: لأنهم يطالبون بالإصلاح للحكم فى الداخل و الخارج، و تربية الشعب على العزة و الكرامة، و جماعة رياضية لأنهم يعنون بجسومهم عن طريق فرقهم الرياضية التى تضارع فرق الأندية المتخصصة فى الرياضة، و رابطة علمية ثقافية: لأن أندية الإخوان هى فى الواقع مدارس التعليم و الثقيف و معاهد لتربية العقول و الروح، و شركة اقتصادية لأن الإسلام يعنى بتدبير المال، و قد عمل الإخوان على دعم الإقتصاد القومى بشركاتهم الإسلامية، و فكرة إجتماعية: لأنهم يعنون بدواء المجتمع الإسلامى و يحاولون الوصول إلى طرق علاجها و شفاء الأمة منها.

جمعية الإخوان المسلمين خلال الحرب العالمية الثانية

قبل البحث حول تطورات الإخوان المسلمين في الحرب العالمية الثانية يناسب أن تدرس الاتجاهات السياسية في مصر، لتكون الصورة واضحة جلية، وبدأت الحرب في أول ستمبر سنة ١٩٣٩م عقب شن الغارات قام بها جنود ألمانيا على ثغور بولندا وأعلنت البريطانية وفرنسا حرباً ضد الألمان بعد ما رفضت من انسحاب قواتها من الأرض المحتلة في بولندا فبدأت الحرب من ههنا.

و رحبت السفارة البريطانية في مصر أن عامة الناس هم يويدون دخولها في الحرب العالمية الثانية، ولم تبدى مصر عن إحساسها ومشاعرها تجاه الحرب بأنها كانت ضعيفة وقاصرة، ولكن الفكرة العامة كانت تنهى عن الدخول في الحرب، ولكن القوات أيدت في ازدياد القوات، وكانت هذه من الأسباب الأساسية ضغطت وزارة محمد محمود أن تستقيل و شكل على ماهر وزارته الجديدة بإعانة
٢٥
البريطانيا حسب إشارة الملك.

و إذا طالبت السفارة البريطانية عن وزارة على ماهر أن تعلن حكومتها عسكرية، و تجعل رئيسها قائدا عسكريا و جعلت الأخبار والجرائد والمجلات كلها محظورة أو محدودة، فطلبت الاجتماع الخاص الصيفي للبرلمان أن ينال هذا القرار من مكانة الدستور والقانون.

و قبلت حكومته حزب الأحرار الدستوريين هذا الإعلان العسكرى، ولكن حزب الوفد خالفت هذا القرار ولكنها أعرضت عن الاصطدام مع البريطانية^{٢٦} و أعلنت حزب الوطن والسعديون اتجاههم فى تأييد الحكومة لأنها كانت مساهمة فى الحكومة و لكن الفكرة العامة أن الحكومة لماذا قامت بهذه الخطوات و لم تعلن دخولها رسمية فى الحرب، و صارت هذه الفكرة مقبولة و معروفة.^{٢٧}

و فى اثناء الحرب أعلنت جمعية الإخوان حمايتها لمعاهدة ١٩٣٦م، و هى كانت موافقة مع

عدم رغبتها إلى هذا الاتجاه و أعلنت مصر :

She broke of diplomatic and commercial relations with the Germany requested German property and interned all German subjects who could not establish an anti Nazi record. The government proclaimed a state of siege, with the prime minister as Military Governor. Placed the ports under British naval control. And imposed a strickt censorship of posts, telegraphs, telephones and the press, with british participation.²⁸

خلال وزارة على ماهر و وزارة حسن الصابري الذى جلس على كرسى الحكومة بعد إقالة سابقه فى شهر يوليو سنة ١٩٤٥ م، و فى بداية وزارة حسن السرى التى تشكلت بعد حسن الصابري فى شهر نومبر سنة ١٩٤٥ م، فقامت جمعية الإخوان بتحسين نظامها و إضافة فروعها و توسيع نطاق جوالتها التى جعل عليها المراقب العام الشيخ الصالح محمد ليبب -^{٢٩}

بدأت محنة الإخوان المسلمين على يدى سرى باشا بضغط من السفارة البريطانية و القيادة الإنجليزية، فصادرت حكومته مجلتي "التعارف" و "الشعاع" الأسبوعيتين و مجلة "المنار" الشهرية، و منعت طبع أية رسالة من رسائلهم أو طبعها، و أغلقت مطابعهم و حرمت على الجرائد أن تذكر شيئاً عنهم، كما منعت اجتماعاتهم، ثم عمدت إلى تشريد رؤساء الجماعة، فنقلت الشيخ البنا من القاهرة إلى قنا و نقلت الوكيل العام إلى دمياط فى شهر مايو ٢٠ سنة ١٩٤١ م و كان الاتهام أنهما يعملان لإفادة الألمان، ثم أعادتهما بضغط الحملة البريطانية و كتب الأستاذ محمد حسين هيكل "كان حسن السرى الباشا يعرف قوة الإخوان و نشأتهم المزدوجة و أن انتقل الأستاذ البنا فتكون النتائج غير حسنة" ،^{٣٠} و لكن حكومة سرى باشا عادت إلى ماهر أعنف من ذلك، فاعتقلت السكرتير العام للجماعة و البنا نفسه، ثم أخرجت عنها اتفاقاً ما أحدثه هذا الإجراء من جرح فى صدور الإخوان، و أدى هذا الضغط إلى استرعاء أنظار الناس إليهم و كسب عدد من الأنصار و الأعضاء و جاءت وزارة النحاس باشا و رغب البنا إلى

ترشيح نفسه نائبا في البرلمان عن دائرة الإسماعيلية، ليمثل الإخوان، و ينطبق بلسانهم و لكن النحاس رجاء أن يعدل عن الترشيح مراعاة لحراجة الموقف فعدل و بدأ النحاس مادهتم فسمح لهم بالإجتماعات و قبلت مطالبتهم لمنع الخمر و المحرمات و حظرت^{٣١} عليها و ظهرت شخصية البنا أنه يقدم من تضحية نفسه في سبيل الإصلاح الإجتماعي و إفادة الناس عن عدوله من أى مكانة ممتازة^{٣٢}، ولكن بعد قليل أخذهم بالعنف، فأغلق جميع شعبهم عدا المركز العام و ضيق عليهم في اجتماعاتهم و مطبوعاتهم و سائر نواحي نشاطهم و قابلوا بشدة بالأناة و الصبر، فعادت الحكومة النحاسية عن شدتها و استمر الموقف بينهما يتقلب، تارة تدع الحكومة لهم الحرية فيعماون، و تارة ترهقهم بالتزهيق فيصبرون، و لكنهم ظلوا على عاداتهم في تقديم النصح كتابة و مشافهة إلى أن أقيمت وزارة النحاس سنة ١٩٤٤م-^{٣٣}

جاءت بعد وزارة النحاس وزارة احمد ماهر، فأخذتهم بالشدة و حالت دون نجاح من ترشيح نفسه للنيابة عنهم بناء على قرار اتخذ مؤتمرهم العام سنة ١٩٤١م بأن يرشح الأكفاء على أساس خدمة المنهاج الإسلامي و المطالبة بنظام الحكم الإسلامي كلما وجدت الظروف المناسبة لذلك، و حين أعلن احمد ماهر الحرب على ألمانيا و إيطاليا عارضه الإخوان و كتبوا إليه بالعدول عن ذلك.

و في ذلك الوقت أعلن أحمد ماهر الانتخاب العام، فرشح الأستاذ البنا نفسه، و ذكر الأستاذ زكي محمد شوقي من كل النشاطات الانتخابية و هو كان في ذلك الحين يرى بأعينه فيكتب "و أذكر أن أهالي الإسماعيلية لأول مرة في تاريخ الحياة النيابية المصرية. قد أقاموا على حسابهم الخاص ستين سرادقا للدعاية الانتخابية في مختلف أنحاء المدينة خلال مدة الدعاية و كان كل مافي البلدة ينطق بأن الفوز الساحق للأستاذ إلبنا، بإعلانات الحوائط و هتافات الشعب و العمال و تلاميذ المدارس كلها تنادى بانتخاب الأستاذ حسن البنا زعيم النهضة الإسلامية و لكن كل من الحكومة المصرية و القيادة الإنجليزية قد عملت بكل ما عندها من وسائل لإسقاطه"^{٣٤}

و كانت نتيجة الانتخاب بدت فى سقوط الأستاذ البنا و اغتيل أحمد ماهر عقب إعلانه الحرب على ألمانيا و إيطاليا و اتهمت حركة الإخوان باشتراكها فى الاغتيال، فاعتقل الأستاذ البنا و احمد السكرى و عبد الحكيم عابدين و غيرهم و لكن النيابة أخرجت عنهم و بادر البنا إلى زيارة النقراشى معزيا فى ماهر و راجيا أن يطلق لهم حرية العمل، و بيد أن النقراشى لم يستحب إلى الرجاء و فرض عليهم أنقل القيود فى نشاطاتهم و اجتماعاتهم و مراقبة دورهم، و كان يسمح لهم بعقد اجتماعات عامة أو مؤتمرات تحت ضغط الظروف- و انتهت الحرب سنة ١٩٤٥م و دخلت الجمعية فى مرحلتها الأخيرة التى استقر لها فيها الأمر من ناحية و بلغت دور المحنة القاصمة من ناحية أخرى-

جمعية الإخوان المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية.

وانتهت الحرب سنة ١٩٤٥م ودخلت الجماعة بعد ذلك فى دور المحنة الكبرى، لأنها تزعمت قيادة الحركة الشعبية، وألهبت المشاعر الوطنية للمطالبة بحقوق البلاد التى وعد الإنجليز أثناء الحرب بتحقيقها فور انتهاء الحرب وإعلان الهدنة، واجتمعت الجمعية العمومية للإخوان فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٥م وأدخلت بض تعديلات على النظام الأساسى حتى أضحت شاملاً لجميع غاياتها و وسائلها بصورة واضحة، وأقاموا شركات اقتصادية متنوعة درت عليهم الأرباح، ومكنت لهم فى أوساط العمال، وأصدروا جريدة يومية، صدر العدد الأول منها فى ما يو ١٩٤٦م، أضحت بذلك صوتهم مسموعاً فى مصر و البلاد العربية، وأنشأوا الكتائب، وأقاموا أماكن التدريب على الأعمال العسكرية، ونظموا الشعب تنظيمًا دقيقاً فى مصر و البلاد العربية، وزعوا الأعمال على الأعضاء و أوثقوا العهد بصورة بيعة لرئيس الشعبة، فالمرشد العام شخصياً، قرروا السمع والطاعة فى المنشط والمكره مقررونا بالقسم، ووضعوا المرشد العام موضع الثقة التامة، وجعلوا له المنصب مدى حياته، ليس له أن يتخلى عنه أو يعفى عنه إلا بقرار من الهيئة التأسيسية.^{٣٥}

و بلغ أعضاء الجماعة العاملين فى مصر وحدها نصف مليون و الأعضاء المنتسبين والموازين أضعاف هذا العدد، أما عدد شعبهم فى مصر وحدها، فبلغ ألفين شعبة، وفى السودان حوالى خمسين شعبة عدا شعبهم فى معظم البلدان العربية و البلاد الإسلامية و أصدقاء فى جميع البلاد و فى أمريكا و أوربا، و لهذا لقيت الجماعة مقاومة فى غاية العنف من قبل الحكومة التى وليت بعد الحرب الكبرى الثانية، و زار الأستاذ البناء النقراشى ثانية، و أهابه به أن يسرع بالعمل فى سبيل الحقوق القومية، و استكمال استقلال وادى النيل و وحدته، و إلا فليدع الأمة إلى الجهاد و يتقدمها فى سبيله، وقدم النقراشى مذكرة إلى الحكومة البريطانية، و جاءهم الرد عليها و لم يرضى الإخوان عن هذه المساجلة العلمية و قاموا بمظاهرة

مع الطلاب أدت إلى معركة مع البولس في حادثة كوبي عباس الشهيرة، فاستقالة الوزارة، وتركزت جهودهم في هذه الناحية طمعا في أن تنال البلاد استقلالها التام، وجاءت حكومة إسماعيل صدقي واشتدت التظاهرات، ودعى البناء جميع الهيئات لتأليف لجنة قومية، ولكنه لم يجد موازنة في الأحزاب، وعندئذ رأى أن يجنح إلى النصيحة يقدمه إلى صدقي على أساس قطع المفاوضات والالتجاء إلى الجهاد
٣٦
السافر-

كانت هذه الحركة تشتد حملتها على حكومة صدقي وعلى الإنجليز بوجه خاص، وشنّ عليهم صدقي حملة، فاعتقل عددا منهم وصادر جريدتهم، ثم قبض على الوكيل العام، وقابله الإخوان بحملة مثلها، وقعت انفجارات في القاهرة والإسكندرية، فاتهمتهم الحكومة بهافخو صددت دورهم وفتشق، وقاد صدقي حملته واسعة النطاق من النقل والتشريد تناولت خلصاء الموظفين من الإخوان في شتى المصالح والوزارات.
٣٧

واستقال صدقي، وتألّفت وزارة النقراشي في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٦م وفي يوم تأليفها نشر البناء مقالا دعى فيه الحكومة الجديدة إلى اختصار الطريق، واحترام الرادة للأمة، وانتهاء المفاوضات، سلوك سبيل الجهاد. ثمّ تابع نشر مقالاته في الجريدة مسفها منهاج الحكومة مشيرا إلى أنها حاربت الإخوان، وأغلقت مدارسهم، وسجنت أحرارهم ولاحقتهم بالتضييق والإرهاق، وكانت هذه بداية حرب داخلية بين النقراشي والإخوان. زادت قضية فلسطين التي ساهم فيها الإخوان مساهمة فعالة، وكشفت مؤهلاتهم الحربية ومدى نفوذهم، وخشيت حكومة النقراشي سطوتهم فاغتنتم فرصة وقوع حوادث عنف في داخل القطر، واتهمتهم بأن لهم ضلعا فيها، وأنهم ينوون إحداث انقلاب، فأصدرت حكما عسكريا بحل الإخوان، و ضبط جميع ممتلكاتهم وإذا اغتيل النقراشي بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨م، فاتهم الإخوان وزاد موقعهم حراجة.

وولى الحكم بعد ذلك إبراهيم عبد الهادي باشا صديق النقراشي ورئيس حزبه فيما بعد، فبطش

بالجمعية و شرد أعضاء ها، و زجّ عددا كبيرا منهم فى المعتقلات و آذاهم فى أموالهم و أنفسهم و أسرهم و شدّ أزرهم فى هذا العمل ما أشيع ن سوء علاقة الجمعية بالعرش ، و ان لها أغراضا انقلابية .

الجهاد فى فلسطين

و كانت قضية فلسطين قضية مهمة بعد إعلان جمعية الأمم المتحدة بتقسيم القدس فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٧م، فبذلت جمعية الإخوان المسلمين من جهود مشكورة فى حلّ هذه المشكلة، اذ رحل شقيق الأستاذ حسن البنا عبدالرحمن البنا إلى فلسطين فى سنة ١٩٤٥م و لقي الحاج أمين الحسينى مفتى القدس، و رئيس الهيئة الكبرى، و كانت هذه الزيارة لفتت أنظار المسلمين إليها و قام البنا فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧م على رأس مظاهرة صاحبة خرجت من الأزهر، و تولى هوقياتها بواسطة مكبر للصوت فى سيارة و فى مايو سنة ١٩٤٨م اجتمعت الهيئة التأسيسية للإخوان برئاسة البنا و اتخذت قرارات منها مطالبة الحكومة و سائر الحكومات العربية بإعلان الجهاد المقدس ضدّ اليهود و اتخاذ جميع الوسائل الكفيلة بإنقاذ فلسطين، و فيما يتعلق بالقضية المصرية من إنهاء المشاورات و المحادثات و إعلان معركة الصحف حتى يتحدد موقف الدولة من أدواء الفقر و الجهل و المرض و التحلل الخلقي و الوطنى إلا بالروح إلى أحكام الشريعة و فى مايو سنة ١٩٤٨م بدأت معركة الجيوش العربية لإنقاذ فلسطين و اشترك فيها الإخوان تحت إشراف الجامعة العربية و أتاح لهم هذا الاشتراك التسلح و التمرد على القتال.

مواامرات ضدّ الإخوان المسلمين

واجهت جمعية الإخوان المسلمين عقب تأسيسها بأزمات عديدة فى مختلف الجوانب، و مرت بالعهد الذى يليق أن يكتب بالذهب فى كتب التاريخ، ولو أنها حاولت أن تخرج الناس من ضيق الحياة الاستعمارية و لعبت دورا هاما فى هذا الاتجاه، و تحملت مصائب شديدة من الأمراء من مصر حيث يقال أن أية حركة جمعية لم تعاني من أرزاء.

و قد حاول الحكماء و الوزراء فى مصر أن يقومو بحلّ هذه الحركة حسب ما رغبت السفارة البريطانية، و كان الأمراء آنذاك ألعبوبة فى يد البريطانية و يعملون حسب إشارتها، و قد ذكرت مجلة "روضة اليعسوب" الشهرية مقالا كتبها رئيس التحرير عبدالقدوس حول موضوع "محاولات لحل الإخوان المسلمين" فيقول الكاتب "فى اجتماع الهيئة التأسيسية للجامعة الإسلامية أكد السيد على المعيط عضو اليمن فى الجامعة الإسلامية على إنكاره لموقف الإخوان على ما يقع فى اليمن و بعد استماع الوقائع، قال عضو لحل هذه الحركة الإخوان المسلمين إلى أن لا تتكرر هذه الحوادث فى أماكن اليمن . و لكن هذا الاقتراح لم يجعل مقبولا، و لم يكن هذا أول اقتراح لحل هذه الحركة، بل كانت محاولات فى عدة مجالس و لكن لم تفلح.

و فى وزارة الحسين السرى كان المطلوب منها الحل فى سنة ١٩٤١م، قد طلب اذا أرادت هذه الحركة عقد اجتماع لانتتاح قسم جديد لها فى القاهرة فى حى سيدة زينب، و قد شارك فيه عدد كبير من الاعضاء و المشتركين و لكن السفارة البريطانية لم تفرح بهذه النشاطات، فأشارت وزارة السرى إلى حلها، لأن البريطانية كانت تحب أن تكون ألمانيا فاتحة . و غير ذلك اتهمت أن الإخوان المسلمين لهم وجهات مختلفة لبريطانيا و هم يخالفون سياستها و يهددون حكومتها، فحتاج السفارة إلى مطالبة حل الإخوان المسلمين و لكن الحسين السرى لم يوافق رأيها.

وفى وزارة النحاس باشا طلبت السفارة البريطانية مرة أخرى من الحكومة أن تقوم بحلها، فأمر النحاس باشا بإغلاق الفروع جميعها ونتجت عن قفول ٥٠ وحدات لحركة الإخوان المسلمين، وكانت هذه خطوة أولى ضد هذه الحركة المهمة.

وإذا اطلع الإخوان المسلمون على هذه الإجرام فأبدوا غيظهم وإنكارهم، و حاولوا للحصول على فروعهم ووحداتهم بالقوة والطاعة، ولم يبق للنحاس إلا أن يجهز لهم ولافتتاح مراكزهم العامة وفروعهم فى مختلف المدن والبلاد، وعادت جميع النشاطات إلى أصلها ولكن سجلوا فيما بينهم وعداء، وجعل فواد سراج الدين باشا و عبد الحميد عبد الخالق من الأعضاء الكرام لهذه الجمعية .

و كانت موامرة ثانية اشتبكت فى وزارة أحمد ما هر باشا لحل الإخوان المسلمين و كانت هذه المطالبة من تلقاء شيخ الأزهر الشيخ المراغى، أنه طالب من الحكومة أن تقوم بحل جميع الحركات والمنظمات مع جمعية الإخوان المسلمين، لأن هذه الجمعيات تقدم الفتاوى إلى الناس بلا تفكر و تدبر، ولكن الشيخ توفى قبل تطبيق رغبته.

والموامرة الرابعة كانت مخططة منظمة حيث اجتمع فى ١٠ من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٨م بعض السفراء من بلاد أمريكا و فرنسا و بريطانية وقدم هولاء اقتراحا و أكدوا على سفير البريطانية أن يطالب من نقراشى باشا رئيس الوزراء فى ذلك الوقت أن يقوم بإجراء الحكم لحل الإخوان.

فى ١٣ من شهر نوفمبر أرسل السكرتير السياسى للقائد العام من القوات البريطانية فى الشرق الأوسط رسالة إلى إدارة المخابرات، و كانت الرسالة كما هى نلى:

الموضوع : اجتماع سفراء البريطانية وأمريكا و فرنسا.

١٠ / نوفمبر سنة ١٩٤٨م

رقم القيد : ٤٨ / ١٨٤٣

التاريخ : ١٢ / ١١ / ١٩٤٨م

إلى رئيس إدارة المخابرات، رقم ٢ .

فيما يختص بالاجتماع الذي عقد في فايد ١٠ الجارى بحضور سفراء الجلالة البريطانية و أمريكا و فرنسا، أخطركم أنه ستخذ الاجرائات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة لحلّ جمعية الإخوان المسلمين التى تنهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة فى القاهرة قام بها أعضاء ها.

إمضاء

ج-و- أو يرائد ماجور

وفى ٣٠ من شهر نوفمبر رد إلى- ايم مج درموث رئيس إدارة المخابرات و اللواء للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط، وهى كمايلى :

الموضوع : الإخوان المسلمون

رقم القيد : ١٦٧٠/١ ت/٤٨

إلى إدارة : ج س ٣

التاريخ : ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨ م

القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر

١- إلحاقاً بمذكرتكم رقم ٧٣٧ ت/١ ت/٤٨ المورخة ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٨ م.

٢- لقد أخطرت هذه القيادة البريطانية رسمياً من سفارة صاحب الجلالة فى القاهرة بأن خطوات دبلوماسية ستخذ لإقناع السلطة المصرية بحلّ جمعية الإخوان المسلمين فى أقرب وقت مستطاع.

فيما يختص بالتقارير التى كانت قد رفعت من الرعايا الأجانب المقيمين فى مصر، فقد أرسلت

إلى وزارة الخارجية للعلم .

رئيس إدارة حرف (١)

قيادة القوات البرية البريطانية في الشرق الأوسط

٣٩

إمضاء كولونيل - م - ماك درموك -

و في وسط نوفمبر قبض أهل القوة على سيارة الإخوان المسلمين و ادعوا أنهم يحملون أسلحة خاصة و وسائل سرّية، فقاموا بتفتيش البيوت و المقرات أيضا، و اذا رجع المرشد العام بعد أداء فريضة الحج فاعتقل و ألقى في السجن في ٢٨ من شهر نوفمبر، و تحرر من بعد أيام، و في إجتماع الطلبة للجامعة الذين اجتمعوا لإبداء الغضب أن تعود الطمأنينة و السلام في فلسطين فاذا الحق أحد من البوليس بحادثة و الطالب الذى قذف بقنبلة على هذا البولس لم يكن معروفا، و لكن الحكومة أجرت أمرا باتهام أن الإخوان المسلمين خططوا لقتل هذا البوليس .

فأصدرت الحكومة أمرا عسكريا مورخا في ٨/ديسمبر ١٩٤٨ م - رقم ٦٨

”بحلّ جماعه الإخوان المسلمين و شعبها أينما وجدت، و بغلق الأمكنة المخصصة لنشاطها، و بضبط جميع الأوراق و الوثائق و المجلات و المطبوعات و المبالغ و الأموال و كافة الأشياء المملوكة للجمعية، و تبع هذا الأمر صدور أوامر عسكرية أخرى بتصغية شركاتهم و العمل على استخلاص أموال الجمعية لتخصيصها في الوجوه العامة التى يقررها وزير الشؤون الاجتماعية“ و علل الأستاذ البناء هذا الإجراء الصارم بتدخل بريطانيا التى اعتبرتهم قوة وطنية متطرفة، و عزت إليهم تعطيل الاتفاق بينها و بين مصر، و التمهيد لإجراء انتخابات يفوز فيها السعديون - حزب النقراشى - بتشويه بالقوة الشعبية التى يستند إليها الإخوان و رغبة الحكومات العربية فى أنها قضية فلسطين و ضغط أجنبى دولى - ٤٠

و قد تنبأ الأستاذ البناء بحصول كل هذه المحن و طالما كان يتحدث عنها، فكتب فى رسالة ”أحب أن أعرفكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس و يوم يعرفونها و يدركون مرامها و

أهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة و عداوة قاسية، و ستجدون أمامكم كثيرا من المشقات و سيعترضكم كثير من العقبات، و فى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأت تسلكون سبيل أصحاب الدعوات، أما الآن فلا زلتم مجهولين و لازلتم تمهدون للدعوة و تستعدون لما تطلبه من كفاح و جهاد سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم و ستجدون من أهل التدين فى العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام و ينكر عليكم جهادكم فى سبيله و سيحقد عليكم الرؤساء و الزعماء و ذوى الجاه و السلطان، و ستقف فى وجوهكم كل الحكومة على السواء و ستحاول كل حكومة أن تحدم نشاطكم و أن تضع العراقيل فى طريقكم و سينذر الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم و إطفاء نور دعوتكم، و سيستعينون فى ذلك بالحكومات الضعيفة و الأخلاق الدينية و الأيدى الممتدة إليهم بالسؤال و إليكم بالإساءة و العدوان و سيثير الجمع حول دعوتكم غبار الشهوات و ظلم الاتهامات، و سيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة، و أن يظهروها للناس فى أبشع صورة لمعتمدين على قوتهم و سلطانهم معتدين بأموالهم و نفوذهم و ستدخلون بذلك و لا شك فى دور التجربة و الامتحان، فتسجنون و تعتقلون و تشردون و تصادر مصالحكم، و تفتش بيوتكم، و قد يطول بكم مدى هذا الامتحان "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون" و لكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين و مثوبة العاملين المحسنين-^{٤١}

و أثرت هذه الإجراءات الصارمة فى البنّا الذى رأى البيت الذى بناه بيده فى عشرين عاما قد أنهار بين ليلة و ضحاها، و يبدو كأنه ندم على اشتراك الجمعية فى السياسة، و بعد أن كانت الجمعية قد قررت أن يرشح الأكفاء أنفسهم للنيابة تمهيدا لاشتراك فى سياسة الدولة و بعد أن بسط أهداف الجمعية السياسية بصراحة و وضوح، و عاد بعد مقتل النقراشى، فألغى هذين الاتجاهين و قال "رأى الذى كونه أن تاخذه على عاتقها النهوض بحالة البلاد من الناحية الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية - مهملا الناحية السياسية - و أن الأعضاء الجماعة البارزين أن يتقدموا للانتخابات بواسطة الأحزاب التى يرون أن ينضموا

إليها على أن لا يقتصر هذا الانضمام على حزب دون حزب و أن يتولوا نشر دعوة الجمعية داخل هذه الأحزاب، و إنى أعتقد أنه لن يمر وقت إلا و تكون هذه الأحزاب قد آمنت بما نادى به“
٤٢

ولكان الرجل الملهم كان ينظر بعين الغيب، فقد تحقق بعد الحل كل ما كتبه فى هذه الرسالة التى كتبها للإخوان قبل نشوب الحرب العظمى الثانية و قبل أن تحل تلك المحنة بسنوات، و إن كان قد عكف على تكرار هذه المعانى قبل المحنة مباشرة حتى يعد الإخوان لاستقبالها، فلا يصدموا بحقيقتها المروعة و وسائلها التى أعادت إلى الأذهان صور محاكم التفتيش الأسبانية و قد صدقت جميع نبواته حتى فى رجال الدين أنفسمهم فقد تطوع منهم من ألقى حديثا فى الإذاعة يومئذ يؤيد به ما ذهب إلى الحكومة من نفى الإخوان مستدلا بالآية الكريمة ”إنما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض“ الآية ؛ و علقت هذه الآية الكريمة فى معتقل الطور و سائر المعتقلات ليقراها الإخوان بأمر إدارة تلك المعتقلات، و واضح أن فى ذلك معانى التحدى و الإستفزاز للشعور و الإيلام النفسى للإخوان باتهامهم أنهم يحاربون الله ورسوله مع أن هتافهم الله غايتنا و الرسول زعيمنا.

و كانت هذه الأحوال اذ حاول الأستاذ البناللقاء النقراشى و البحث عن حلّ الأزمة السياسية و رفع الحصار عن الإخوان المسلمين، لأن النقراشى قد فرض الحظر على الإخوان، و يريد أن تكون نشاطاتهم معطلة ولكن الرياح لا تجرى بما تشتهى السفن .

٩- ٧٢٨١
و فى ٢٨/ديسمبر أطلق عبد الحميد أحمد حسن - طالب الطب - الرصاصات على النقراشى و مات النقراشى بعد دقائق و كان عجباً عجاباً أن هذا الطالب لم يرغب عن الدرس اذ وصل إلى وزارة الداخلية و اغتال النقراشى و عند دفن نعشه كان الهتاف أن نقوم بالقصاص : القتل بالقتل-
٤٣

و تأسست الحكومة الجديدة بعد اغتيال النقراشى، و صار رفيقه ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء، و عرف بدهشه و جوره و كان أول من أحكم عليه أمام الفئدة العسكرية بعد الثورة، و كان البنّا

يحاول أن تكون العلاقات بينه وبين الحكومة حسنة و ذهب إلى الرئيس للمفاوضات ليوقنه بتوفير التعاون لإعادة الأمن والسلام والنظام والقانون في البلاد كي تكون الحكومة تفكر في ترخيص الإخوان المسلمين وإعادة مراكزهم ونشاطاتهم في الحياة، وإطلاق المعتقلين في السجون، فقامت لجنة للتفاهم و بحث الصور المودية إلى نتيجة جميلة، وكانت هذه اللجنة تشمل صالح حرب باشا، وزكى على باشا، ومصطفى ماري، ومصطفى الناغى، ومصطفى أمين، و كتب الأستاذ البنا كتبيا بإشتراك الحكومة "بيان للناس" ندد فيه مقتل النقراشى، وقبل أيضا من أخطاء الإخوان المسلمين ارتكبوها وأدت هذه الأخطاء إلى حل الإخوان المسلمين.

ولم يقنع رئيس الوزراء بما كتب الأستاذ البنا من الدلائل والبراهين، ولم يطلق أحدا من المسجونين و تهدمت المفاوضات بعد محاولة قذف القنبلة و حطم بناء المحكمة التى تحمل جميع المستندات المتعلقة بسيادة الإخوان فى ١٣/١ من شهريناير، واعتقل الأستاذ شفيق إبراهيم أنس عضو قديم للإخوان بتهامه أنه أشار خادمه لوضع القنبلة أمام المحكمة، فكتب الأستاذ البنا رسالة مع فتوى الأزهر، أن من يفعلون هذه الشناعة هم ليسوا من الإخوان ولا المسلمين، وهذه الرسالة نددت أيضا بمقتل النقراشى حيث أنه ليس من عمل الإسلام، ومن يعمل كتابة رسائل التهديد وأعمال العنف ليست لهم علاقة بالجمعية، بل هى من أعمال شخصية و تقوم المحكمة بأى إجراء بناء على الأمور الشخصية، لأن الحكومة أخبرت أن بعض الإخوان يحاولون اختطاف طفلين للمقتول النقراشى وجعلهما رهائن ليتحرر من قتل النقراشى. ٤٤

فى مساء يوم السبت بتاريخ ١٢ من شهر فبراير طلب الأستاذ الناغى عضو مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين إلى الأستاذ محمد الليثى رئيس قسم الشباب بالجمعية أن يذهب إلى دار الشيخ البنا ويدعوه إلى مقابلته فى الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم بدار الجمعية لكي يبلغه نتائج هامة و سارة عن المسائل المتعلقة الخاصة بجماعة الإخوان المسلمين لأنه مكلف بإبلاغه ذلك من قبل قريبه الأستاذ

إبراهيم عبدالهادى رئيس الوزارة آنذاك، فذهب الأستاذ الليثى إلى منزل الأستاذ البنّا فى الساعة الثانية بعد الظهر وأخبره بذلك، فقال له الأستاذ البنّا ان هولاء الناس نيتهم سيئة،^{٤٥} وإنهم لا يريدون أى تفاهم، و لقد بلغنى الآن أنهم اعتقلوا الرجل الطيب المسن الذى كنت قد أخبرته سأسافر عنده بعد يوم أو اثنين، و على كل حال فإننى سأحضر لمقابلة الأستاذ الناغى.

و ذهب الأستاذ الناغى فى الموعد المحدد و بعد انتهاء المقابلة التى قال عنها أنه لم يخرج منها بنتيجة تذكر إلا أن الناغى أعاد على مسامعه مشكلة تسليم الأسلحة و محطة الإذاعة ؟ طلب الأستاذ البنّا سيارة أجرة و كان ذلك فى الساعة الثامنة و الثلث، و كان معه صهره الأستاذ عبدالكريم منصور المحامى، و كان يرافقه الاستاذ الليثى و فى هذه الاثناء جاء خادم و أبلغ الليثى أن التليفون يطلبه، ولكنه رافق الشيخ إلى أن ركب السيارة و معه صهره، ثم دخل دار الجمعية يتحدث فى التليفون وإذا سمع طلقات نارية فترك التليفون و ذهب إلى الخارج ليستطلع مصدر هذا الصوت، فوجد فى مواجهة الدار شابا طويل القامة، نحيل الجسم، يلبس جلبابا و يضع على رأسه كوفية بيضاء، و يمسك بيده مسدسا، فصاح الليثى طالبا إمساكه، فأطلق عليه عبارين نارين أخطأه أيضا، و أصاب حائط دار الجمعية، ثم جرى وراء الليثى فى الشارع و أطلق عليه عبارين نارين أخطأه أيضا. و بعد أن استنفذ الطلقات النارية اتجه نحو الرصيف الآخر حيث لحق به شخص آخر، و ركبا سيارة سوداء انطلقت بهما فى شارع المملكة و كان الأستاذ وقتئذ قد نزل من السيارة و دخل إلى الجمعية و هو يقول "قتلت قتلت" وعندئذ دخل محمد الليثى إلى الجمعية فوجد سماعة التليفون مازالت مرفوعة، و قد اتضح له أن المتحدث له الصاغ محمد الحزار الطباط بالعلم السياسى، و كان مازال منتظرا حتى يتحدث معه! فصاح محمد الليثى فى التليفون قائلا أن الأستاذ البنّا قد أطلق عليه الرصاص أمام الجمعية. فقال له الحزار متسائلا وهل مات أم لا يزال حيا؟ و فى هذه الأثناء ذهب الأستاذ البنّا إلى دار الإسعاف و ذهب على أثره إلى هناك محمد الليثى، فوجد الأستاذ يكرر الشهاداتتين، و هناك رأى محمد الليثى شابا أسمر اللون، يلبس جلبابا و طربوشا و قال

إنه كان بالقرب من مكان السيارة التي هرب عليها الجناة وأنه التقط رقمها وهو ١٩٧٩م، وقد تبين بعد البحث في إدارة المرور أن السيارة المذكورة هي سيارة القائم مقام محمود عبدالمجيد مدير إدارة المباحث الجنائية بوزاره الداخلية وقتئذٍ وقد بذلت محاولات مع الشاهد لتغيير رقم السيارة قام بها الصاغ الحزار تارة بالإغراء بالمال وأخرى بالخمرو ثالثة بالنساء، وأخيراً بالتهديد كما ورد في نفس الجريدة على لسان الحزار "اعلم أن قاتل البنّا حرّ طليق، وسيظل حرّاً طليقاً، وفي وسعه أن يطيح برأس كل شخص يقف في سبيله، أو يضربه وافت عندك أولاد فحرام عليك"^{٤٦}

وإذا كانت حالة المحامي غير خطيرة أكثر من الشيخ حسن البنّا، وتعاون المحامي بوصول الشيخ البنّا إلى السيارة التي أمام مكتب جمعية الشبان المسلمين، وصل الشيخ البنّا للإسعاف إلى المركز الرئاسي للإسعاف، وكانت سيارة الإسعاف المطلوبة غير موجودة. وصلت السيارة بجمّان الشيخ البنّا إلى مركز الخدمات الإسعافية شارع فواد الذي لا يبعد عن جمعية الشبان المسلمين إلّا ١٥٠ متراً.

وإذا وصلت السيارة إلى مركز الخدمات الإسعافية قد نزع من دم الشيخ حيث انتقل الشيخ بالنقالة وقد ضيع السائق من قوته مما رأى، فسقط مغشياً عليه، ونظم أصحاب المركز للشيخ وصهره من الإسعاف. ولكن بعد ساعات اتفق الأطباء من نقله إلى مستشفى "قصر العيني" لاستردا الصحة والعافية، لأن حياته كانت عرضة للخطر.^{٤٧}

نقل بعد ذلك الإمام إلى المستشفى، فاستقبله خفر الطوارئ هناك وكانت على رأسهم الممرضة منى جمعة، ثمّ تمّ استدعاء الطبيب على السباعي، وأيضاً الدكتور محمد الحسنى والدكتور عبد الله الكاتب.

وكان رئيس النيابة على رأس المرشد لياخذ أقواله إلا أن حالته قد تدهورت، فتركه إلى أولئك الذين أودعوه إلى حديث صارت حالته من التردى والانهيال.

وفى تمام الساعة الثانية عشرة و الرابع بعد منتصف الليل غادر الإمام المجدد هذا العالم، يقول الدكتور رشاد فى التحقيقات ما بعد الثورة "سمعت من زميلى الدكتور أحمد شكيب الطبيب الشرعى الذى أجرى التشريح للجثمان: أن البنا ترك ليموت بالنزيف من شريان منفتح، و كان من أيسر الأمور إيقاف ذلك النزيف و إنقاذ حياة ذلك الرجل بمشروط صغير لو تمت العناية به و إنقاذه وإسعافه فى حينه كأى مريض"^{٤٨}

ووقف الوالد لهم أحمد البنا الذى جاوز التسعين عاماً، مذهولاً عندما عرف بخبر وفاة ابنه فى تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل من أحد الضباط و قيل له لن تستلزم الجثة الآن بعد أن تتعهد بالدفن قبل الساعة التاسعة صباحاً وإلا فإن الشرطة سيحملون الجثة من مستشفى قصر العينى إلى القبر مباشرة فوافقه على ذلك الوالد المنكوب.

وفى ساعات الفجر الأول وصلت الجثة إلى بيت والد الإمام يغشيها الحزن و الأسى، فقام الأب نفسه بإعداد جثة ولده للدفن، ياله من موقف، لن تنساه مصر بأكملها، أمانعش الشهيد فرفض رجال الشرطة أن يسمحوا لأى رجل يحمله إلى القبر، و حمل النعش ثلاث نسوة على أكتافهن محتسبات، وعند ما وصلن إلى مسجد قيسون كان المسجد خاليا بسبب الشرطة حتى لا يصلى على جثمان الشهيد، ولكن أباه المنكوب صلى عليه صلاة الجنازة وحيداً منفرداً، ومن ثم التقى الإمام التراب فى قبره، و عاد من حيث أتى، ولكنه كبقية الذين يعودون و ياتون.

ولقد كتم الطغاة صوت البنا فى ١٢ ساعة فقط، قتلوه ثم شرحوه، و غسل ثم دفن فى نصف يوم. و تعليقاً على هذا الحدث الم هول، يقول الضابط الكندى "هاردى" فى بحثه "إن وفاة البنا كانت أكبر ضربة للحركة، بل هى ضربة صاعقة للإخوان بالمعنى الحرفى للكلمة، و لم يكن هناك شخص يملأ - فى الحال - مكان البنا، و كان هذا هو هدف الجريمة" جريمة: فهل كانت هناك خطة اغتيال أو جريمة. يقول جيفرسون باترسون القائم بأعمال القنصلية الأمريكية فى رسالة إلى واشنطن "أن عملية الاغتيال كانت

مخططة أو على الأقل تم التفاوضي عنها من جانب رئيس الوزراء ربما بدعم من السلطة نفذت عن طريق القسم السياسي^{٤٩}

وذكر سعيد حوى في "المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين" وهو ينقل عن "مذكرات النيابة العامة المصرية" التي نشرت في سنة ١٩٥٢م عن شهادة الشيخ البنا "في تلك الليلة التي كان فيها الشيخ البنا في المستشفى دخل محمد واصف في غرفة التشريح، و سئل الأطباء الذين كانوا يحضرون في ذلك الحين عن صحة الشيخ البنا، فأجابوه أنه الآن خارج عن الخطر، فأرسلهم واصف و كل من كان هناك في الخارج و ذهب بنفسه إلى الشيخ البنا و أطلق رصاصة عليه" و فضلا عن هذا التقرير المتعلقة بسكريتر خاص بقصر الملك "أن الملك أرسل محمد واصف أن يقتل البنا إن كان بقيد الحياة"^{٥٠}

و استمرت وزارة عبدالهادي في الحكم نحوًا من سبعة أشهر بلغت محنة الإخوان في اثنائها الذروة حتى قال بعض المراقبين أنه لن تقوم لهم قائمة، ولكن الواقع أنها كانت كالنار صهرتهم وصفت معدنهم، فخرج منهم عدد و بقي على الدعوة عدد زادت المحنة صلابة و تماسكا و قيل ان الإخوان انتخبوا سرا مرشدا جديدا، و أن حركتهم انتقلت من الجهر إلى السر.

و في يوليو ١٩٤١م استقلت وزاره عبد الهادي، و جاءت وزارة حسين السرى الائتلافية، ثم المحايدة التي أشرفت على الانتخابات و نال حزب الوفد أغلبية ساحقة، كان لتأييد الإخوان سهم فيها وتولى النحاس الحكم في يناير ١٩٥٠م، و أخذ الكابوس يرتفع عنهم رويدا رويدا، و أخذت أقلامهم تتحرك وصحفهم تعود.^{٥١}

حياة جديدة لجمعية الإخوان المسلمين

كانت من أهم المسائل لجمعية الإخوان المسلمين نيابة الشيخ حسن البنا، لأن الجمعية بعد شهادة البنا شغرت مركزها، وقرر المكتب أن يكل الأمر مؤقتاً إلى صالح العشماوى الذى كان كاتب الجمعية من ١٩٤٧م، وأبلى بلاء حسناً للجمعية و الشيخ البنا بقيادته المؤكدة، كانت الحكومة لحزب الوفد أو لحزب السعد، وهذا يليق بالذكر ههنا أن طهر هناك خلاف بين قادة الدعوة، فطمع بالرئاسة كل من عبد الرحمن البنا شقيق الشيخ البنا و صالح العشماوى و عبد الحكيم عابدين و الشيخ محمد محمد فرغلى و الشيخ حسن الباقورى.

و كان الملك فاروق يرقب المنصب بذعر، و يتمنى لو شغله شخص يأمن إليه و يتفاهم معه لتصفيته الحساب القديم و فتح حساب جديد لا يعرض عرشه للخطر، و كأنه قد ندم على ما فرط منه نحو البنا أو أنه بلغه ما يضره الإخوان من حقد عليه و عزم على الثأر للدم المهرق، فسعى لكى يلى المنصب شخص فى مركز الهضيبى و ثقافته القانونية.

٥٢

و كان من أهم شخصيات الجمعية منير الدلال تعلق بالجمعية فى ١٩٤٧م و خلص وجهه للجمعية و صار من أتباع البنا المخلصين، و بذل من أمواله فى سبيل الجمعية اذا احتاجت، و لذلك كانت كلمته مسموعة بين الإخوان المسلمين، وفى هذا الوقت كانت شخصيته موثرة و مهمة لاختيار المرشد العام، فرشح منير الدلال أولاً اسم الشيخ حسن إسماعيل الهضيبى مرشد عام لجمعية الإخوان المسلمين.

٥٣

و رأى الإخوان من جانبهم أن اختيار الهضيبى يعينهم على المحافظة على وحدة الصفوف، و على حل قضاياهم التى كانت معلقة أمام القضاء بوصفه من كبار رجال القانون، و يخفف من عناد فاروق فى معارضة قرار إعادة الجماعة .

اتفقت وجهات النظر و جمعت توقيعات جميع أعضاء الهيئة التأسيسية على قرار تعيين الهضيبي مرشدا عاما، مع أنه يشترط في المرشد أن يكون عضوا في الهيئة التأسيسية و أن يكون قضى في عضويتها ٥٤ مدة لا تقل خمس سنوات.

و كان الهضيبي متخرجاً من كلية الحقوق سنة ١٩١٥م، و اشتغل محامياً إلى مارس ١٩٢٤م حين عين قاضياً في المحكمة الصرية، و مارس القضاء زهاء سبع وعشرين سنة حتى أصبح مستشاراً ممتازاً في محكمة النقض، و عرف عنه الحرص على التزام القانون و صرامة الأحكام و أجهده العمل في المحاكم طول هذه السنوات حتى أصيب بشلل سنة ١٩٥١م، أدى إلى انحراف صحته و ضعف ذاكرته و بعد أن أختير مرشدا أهيل إلى المعاش في السابع عشر من أكتوبر سنة ١٩٥١م، ليتفرغ للدعوة، و كان يومئذ قد بلغ الستين من عمره.

و كانت له بحكم عمله صلة وثيقة بعدد من الشخصيات و الأسر الكبيرة و برجال القضاء و كان يختلف ثقافة و منصبا و مركزاً عن سلفه حسن البنا. و لابد من أن يكون لهذا الاختلاف أثر في توجيه الدعوة، و في صلته بالأعضاء و في علاقته بفاروق.

و كان الهضيبي يومذاك ما يزال مستشاراً فاشترط عند عرض المنصب عليه أن يحتفظ بمنصبه القضائي و أن يظلّ التعيين سرا إلى أن ينجلي الموقف، فوافق الإخوان و اكتفوا بتعريفه إلى الإخوان الرسميين، و باستشارته في جميع شئون الجماعة.

ظلّ الهضيبي يودى عمله سرا نحو ستة أشهر و حدث بعد ذلك أن أذنت حكومة الوفد باجتماع الهيئة التأسيسية، و رغبت الهيئة إلى الهضيبي أن يحضر الاجتماع، و أن يستقيل من منصبه القضائي، و لكنه تمنع، فقد قصدته الوفد من جميع أنحاء القطر، و ألحت عليه بالظهور، و في اليوم التالي أعلن وزير العدل قبول استقالته من القضاء و أضحى في السابع عشر من شهر أكتوبر ١٩٥١م مرشدا عاما رسمياً.

و يذكر الهضيبي نفسه أن علاقته بالإخوان بدأت سنة ١٩٤٢م. و كان ذلك مصادفة، فقد لمس

ففي بعض أقاربه الفلاحيين إدراكا لمسائل كثيرة ليس من عاداتهم إدراكها، وخصوصا إذا كان نصيبهم من التعليم يسيرا، و علم أنهم على اتصال بدعوة الإخوان، فاتصل بالبناء، اطلع منه على مبادئ الدعوة و أهدافها، و لاشك في أنه أعجب بالدعوة إعجابا حمله على موازرتها، منذ ذلك التاريخ.^{٥٥}

و بعد انتخابه كمرشد عام اتفقت الهيئة التأسيسية و مكتب الإرشاد و الدعوة على أن يعين أحدا كمساعد، و تم الاتفاق على المحامي عبدالقادر عودة و لم يعمل عودة ست أشهر حتى صار من نائب المرشد العام.

جمعية الإخوان المسلمين و الثورة

كان اليوم الثامن من شهر اكتوبر ١٩٥١م تاريخيا، إذ خاطب نحاس باشا أمام البرلمان، وبدأ خطبته بهذه الكلمات "من أجل مصر تمّ التوقيع على اتفاقية ١٩٣٦م، و من أجل مصر أسئل اليوم من فسحها^{٥٦} - و صرحت مجلة الدعوة أن الإخوان المسلمين أيدوا هذا الإعلان و لحقوا بالضجة فوراً لكفاح المسلح الجهاد، و فى أكتوبر ١٧ عقب ما اصطدمت مصر بالقوات البريطانية أعلن الإخوان المسلمون الجهاد ضدّ البريطانية، ولكن اتضح بعد أيام أن مجلة الدعوة ليست مجلة رسمية للإخوان، لأن مديرها صالح العشماوى الطامح إلى منصب القائد الذى ظهر كخصم المرشد العام^{٥٧}، أما الجماهير كانت من ألد الخصام للبريطانية و لا تريد بقاءها، و اذا اشتباكت القوات البريطانية و عامة مصر، فطالب المتظاهرون الوطنيون أن توفر لهم تدريبات عسكرية، و توجد الكتائب (جماعات التحرير) لمضادة الأعداء - و الحق أن الحكومة قد فسخت الاتفاقية و استعدت خطوات لها، وأقيمت مخيمات التدريب العسكرية فى مختلف الجامعات أكثر تحت رعاية الإخوان المسلمين، و اذا أعلن وزير الأرياف أن الحكومة سوف تهيأ وظيفة التسليح و التدريب العسكرى، تيقنت العامة أن هذا الإعلان لتضعيف قوتهم، و كان الإخوان المسلمون ليسوا مدربين بقيادة العسكرية فى المخيمات العامة التى أقيمت الجامعات والمعاهد العامة بل على أيدي القوات التى تتعلق بالقيادة الأحرار، و هؤلاء الموظفون يوفرون الإخوان أسلحتهم التى كانت لهم فى قطعة القناة، و يبلغ عدد المتطوين إلى ٣٠٠ اختاروا طريقهم إلى قطعة القناة، و اشتركوا فى اشتباكات مع البريطانية و قواتها.

و كان الإخوان المسلمون يبذلون من مجهوداتهم فى مجال الثورة، و اشتركوا فى إثارة الثورة بشرط أن تنفذ الشريعة الإسلامية فى مصر، و كان الشيخ عبد المنعم عبدالرؤف، و فوادخاسر، و أبولمكارم عبدالحى، و صالح شادى من حسن الانتخاب للإخوان المسلمين كى يساهموا فى الثورة

وقام عبدالمنعم عبدالرؤف بنظم عرش الإسكندرية و ضغط على الملك فاروق أن يوقع على أوراق الإقالة، فيكتب الملك فاروق : أن الإخوان المسلمين هم الذين قلبوا العرش وما كان ضباط الثورة؟ إلا العوبة في أيديهم . ولقد أراد الإخوان ضربى فى عرض البحر، لولا أنى أمرت ربان السفينة الفقير اتجاهها-^{٥٨}

و أجاز الإخوان المسلمون عشرة آلاف من القوات المسلحة أن يساهموا فى الثورة، وفى أثناء ذلك قام الإخوان بإفادة المجتمع ضدّ الإنجليز حول ثغور سوئز، وبدأ و يهددون الكيان البريطانى فى مصر، وقاموا بتخريب جميع أقسام الحكومة البريطانية و نظمت القوات البريطانية للدفاع عن هذه الخرابات، ولكنها لم تبلغ مرامها-

وقامت الثورة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م، و ما أن استتب لها الأمر قليلا حتى بادرت إلى تنفيذ أمرين فى مصلحة الإخوان: الأول : إعادة التحقيق فى شهادة البنّا لينال القاتل، ومن والاه العقاب الذى يستحقونه، والثانى : إصدار عفو عن المعتقلين المسجونين السياسيين و فى مقدمتهم الإخوان، و يقول رجال الثورة انهم فعلوا ذلك أحقاقا، لا تملقا للإخوان، لأن الذين تأمروا على حياة البنّا، احتتموا بنفوذ فاروق و وزارة عبدالهادى، فلم تستطيع يد العدالة أن تتناولهم، و لأن المسجونين السياسيين كانوا يوخذون بالشبهات-^{٥٩}

وإذا قامت الحركة المباركة بزعامة اللواء، رئيس أركان الحرب محمد نجيب، و أسندت الوزارة بناء على طلب الجيش إلى على ماهر، ثم أرغم الملك على التنازل عن ولى عهده و مغادرة البلاد فى يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٣، و قام الإخوان و الشعب بأجمعه وراء الحركة يويدها و يسندها، و ذكر بعض الجرائد أن على ماهر عرض على المرشد العام الاشتراك فى وزارته، فاعتذر، ثم استقالت وزارة على ماهر وألف الوزارة الرئيس اللواء محمد نجيب، وعرض على الإخوان الاشتراك فى وزاره، فاعتذروا مع تأييد رجال الثورة و تمنى التوفيق لهم-^{٦٠}

و كتب الأستاذ إسحاق موسى الحسينى " و اتصل عبداللحكيم عامر قبل تأليف الوزارة بيومين

بالهضيبي، وأبلغه رغبة مجلس قيادة الثورة في أن يشترك ثلاثة من الإخوان في الوزارة، ورشح الإخوان ثلاثة أعضاء، رفض المجلس اثنين منهم وقبل الثالث هو الشيخ حسن الباقوري، وعندئذ أبلغ الهضيبي جمال عبد الناصر أن مكتب الإرشاد قرر عدم الإشتراك في الوزارة لكيلا يقال ان للوزارة لونا خاصا وقطعا لما قد يقوم الأجانب، وكانت النتيجة وأن دخل الباقوري الوزارة، ففصله الإخوان من الهيئة غير مكترئين باغضاب عضو من أبرز أعضاءهم و تعريض علاقتهم بالثورة لتوتر.

٦١

وقد اجتمع مكتب الارشاد العام في ذى القعدة سنة ١٣٧١هـ وقرر اصدار بيان برأى الإخوان في الموقف، وتحديد الخطوط الرئيسية التي ينبغي أن يسبر عليها الإصلاح المنشود، ثم دعيت الهيئة التأسيسية للإخوان يوم ١٠ ذى القعدة ١٣٧١، وأقرت اصدار بيان مكتب الإرشاد العام وحدد الإخوان فيه خطوط الإصلاح الرئيسة ببيان وسائل التطهير الكامل الشامل ووسائل الإصلاح الخلقى والتربوي ووسائل الإصلاح الدستوري والإصلاح الإجتماعي والإصلاح الإقتصادي والتربية العسكرية وتقوية الجيش وإصلاح البولس.

وفي ٣ ديسمبر ١٩٥٣م إحتفل الإخوان بالمولد النبوي في مركزهم العام بميدان الشهيد حسن البنا وزارهم في ذلك الإحتفال الرئيس محمد نجيب و البكباشي جمال عبدالناصر، وفي ١٢ فبراير ١٩٥٣م حينما حلت الذكرى الرابعة لاستشهاد الأستاذ حسن البنا ذهب الرئيس اللواء محمد نجيب و بصحبته جمع من الوزراء وضباط الثورة إلى قبره زائرين ومعزين، وألقى الرئيس اللواء كلمة خالدة أذيعت من محطة الاذاعة جاء فيها "أن الإمام الشهيد حسن البنا، أحد اولئك الذين لا يدرك البلى ذكراهم ولا يرقى النسيان إلى منازلهم، لأنه رحمه الله لم يعيش لنفسه، بل عاش للناس ولم يعمل لمنعته الخاصة، بل عمل للمصالح العامة".

٦٢

وكان لتلك الزيارة أجمل الأثر في نفوس الإخوان ولفتة كريمة من الرئيس اللواء وحكومته تقديرا للشهيد الأعظم، وقد أعيدت إذاعة كلمة الرئيس وكلمتي شقيق الشهيد والسكرتير العام من

محطة الإذاعة مساء نفس اليوم، واقتصرت الإذاعة في تلك الليلة على قراءة القرآن الكريم والأخبار و كلمات في رثاء الإمام الشهيد.

ولكن الإخوان لم يكتفوا أن هدفهم الذى لا محيد عنه هو قيام حكومة إسلامية وأعلنوا ذلك بعد مرور أقل من شهر على الثورة، وقد نشرت مجلة "المسلمون" الصادرة في أغسطس سنة ١٩٥٢م تعليقا على الانقلاب، أوضحت فيه الفرق بين عمليتين الأولى: عمل سريع يزيل الكابوس الجاثم فوق صدر الأمة، والثانى: عمل بطئ أساسه التربية السليمة، ومهمته صناعة جيل مسلم العقل والعاطفة والأخلاق يؤتمن على انفاذ أحكام الإسلام حتى يمكن الله له فى أرضه" ثم ذكرت أن العمل الأول قام به الجيش بحركته الميمونة المباركة، أما العمل الثانى فإن الظروف لا ترشح له إلا أولئك الذين يستطيعون الفهم الدقيق للإسلام والتربية الحية التى تصنع لهذا الدين قادة من نوع جديد، وحبذا لاتزيف أبصارهم ولا أقدامهم فى معركة الحق والباطل الرهيبة.

فاستخلص الأستاذ الحسينى من هذا التعليق "أن الإخوان ييغون حكومة إسلامية تنفذ أحكام الشرع كاملة و يتولاها الجيل الجديد الذى يعدونه هم وأن رجال الجيش لا يستطيعون أن ينهضوا بهذا العباء ومن البديهي أن كلا الأمرين يثير نائرة أعضاء مجلس الثورة، لأن الأول يخالف ما عقدوا العزم عليه،
٦٣
و الثانى يطعن فى كفايتهم.

ويظهر أن الإخوان أرادوا الإشراف على الحكومة و توجيهها توجيها إسلاميا، ولكن المجلس رفض هذا الإشراف، ورفض مطالب الإخوان بتحريم الخمر والقمار مطلقا، وكذلك اذا أعلن نفاذ الدستور القديم فكان الإخوان يدعون إلى وضع الدستور على أسس إسلامية، وإذا صدر قرار بإلغاء الأحزاب وكاد هذا الإلغاء أن يتناولهم لولا أنهم قدموا بيانا أعلنوا فيه أنهم لا يقصدون الحكم ولا يرشحون أنفسهم للبرلمان، واعتبر ذلك ضمنا بعدم التدخل فى السياسة، واستثنوا من قرار الإلغاء وبقوا الهيئة الوحيدة التى تمارس نشاطها.

و إذا أعلن ظهور هيئة جديدة تسمى "هيئة التحرير" قصد منها تكوين جبهة واحدة يعتاض بها عن الأحزاب المنحلة، و يندمج فيها الإخوان، و رأى الإخوان فى قيامها خطراً عليها، و بادر المرشد العام حسن الهضبي إلى زيارة جمال عبد الناصر، و قال له "إن ذلك ليس من مصلحتهم فهم رمز الأمة كلها فلا يجوز أن يصبحوا رمز حزب، ثم إن أحزاب المبادئ لا تنشأ عن طريق رجال الجيش و البوليس و الذى سيحدث أن الانتفاعيين و الانتهازيين سيشتغلان الهيئة الجديدة و سيثيرون بذلك إلى سمعة الحكومة و الحركة"^{٦٤}

و بعد توقيع الاتفاق بين مصر و بريطانيا من ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ م بشأن السودان كانت وجهتها نظر الإخوان و الحكومة متباعدتين بشأن المفاوضات و الإتفاقية و يرون "أن المفاوضات لا تودى إلى حل القضية المصرية و لكن إذا كان بعض الناس يرون أن يتفاوضوا فلا يمكن منعهم، فإذا وصلوا إلى الحل الذى يرضى الإخوان فيها و إلفقد وجب عليهم مقاومة هذا الحل، أما بشأن الاتفاق فكانوا يريدون حقهم كاملاً، فقال الهضبي "و إذا لم نحصل على حقنا كاملاً فأرجو أن لا يتم اتفاق من أى نوع كان، فإن مركزنا القانونى سنة ١٩٥٦ م سوف يكون قوياً فى إخراجهم فى أى وقت و ستكون استعداداتنا أتم إذا أحسننا التصرف فى أوقاتنا، و لم نشغلها بالريب و الظنون"^{٦٥}

و كذلك يوتر المجلس جلاء الإنجليز بالمفاوضات مع الهدوء و السلامة و الإخوان كانوا يوترون إخراج الإنجليز بالكفاح المسلح "لأن المفاوضات هى أسلوب العاجز و الضعيف، و لأن الثورة قامت لكى تطرد الإنكليز طرداً، و تلقى عليهم درسا، و لذلك أنشئ الحرس الوطنى، و أقبل عليه المصريون جميعاً، و كان فى طليعة هؤلاء شباب الإخوان، و لكن الثورة غيرت اتجاهها و بدأت تقبل على المفاوضات و تصرف النظر عن الكفاح المسلح و عن الحرس الوطنى و أصبحت المفاوضات هى الطريق لكسب قلوب الإنكليز"^{٦٦}

و حدث كذلك أن اجتمع طلاب الجامعة فى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٤ م بمناسبة احتفال ذكرى

الشهداء الإخوانيين تحت إشراف الإخوان المسلمين، و تجلت أثناء الحفلة سيارة القوات، و منعت عن إلقاء الخطب، فحاصر الطلاب هذه السيارة، و صاروا يهتفون نعرات مدهشة، و يطالبون أنهم يحتفلون بالطممانية و الهدوء، فعلى القوات أن تذهب من هذا المكان، و لكن أطلقت رصاصات، و استخدمت طرقاً أخرى لضربهم و تشتيت شملهم.

و بعد هذا الحادث فى ١٣ فبراير سنة ١٩٥٤م قررت الحكومة بحلّ الإخوان و لم تعلن إلى ٤٥ - ١٢ ساعة فى ١٠ فبراير، و اعتبر القرار أن حركة الإخوان المسلمين إنما هى حركة سياسية و يلزم أن تحل هذه الحركة بكونها سياسية و فق قرار فبراير سنة ١٩٥٣م و أعربت أن غرض الثورة كانت من تحرير البلاد و القضاء على السلطة الخارجية و العلمانية، و قالت الحكومة أيضاً أن جميع المدارس و المستوصفات و الجمعيات الإسلامية تودى من خدمات بأسماء مختلفة، فهى محظورة فضلاً عن اعتقال ٤٥٠ عضو للإخوان المسلمين.

و رافق هذا الحادث الخلاف بين محمد نجيب و جمال عبد الناصر، و أثار مشاكل كثيرة فى أعضاء مجلس الثورة، و أدى إلى إلقاء محمد نجيب إستقالته فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٤م، و كان بيته فى تلك الليلة محظورة، و نشرت المجلات و الجرائد يوماً مقبلاً عن تمزق القوات، فاضطر مجلس الثورة إلى إعادة منصب الرئاسة إلى محمد نجيب.

و فى ٢٧ فبراير نظم عبد القادر عودة إحتفالاً للطلاب و خاطبهم و قسم من كتيبات، فحرضت هذه الخطوة الحكومة لتقليل النشاطات فى مجال الدعوة و الإرشاد و ألقت القبض على ٧١١ فرد، و كان ٤٥ منهم من الإخوان المسلمين، و كان عبد القادر عودة أيضاً مع الرجال الذين يتعلقون بحزب الوفد و الأحزاب الاشتراكية و الاجتماعية، و قد كتب محمد نجيب عن هذه المظاهرة فى "مصور مصر": كنت و أنا أخطب الناس من القصر الجمهورى أرى الإخوان المسلمين يهزون مناديلهم الملطخة بالدم فى وجه الجماهير المحتشده تحت القصر، و قاطعنى عبد القادر عودة طالباً التحقيق الفورى فى أسباب

المظاهرة، وعندئذ قلت له : لقد عدت رئيسا للجمهورية بشرط قيام جمهورية برلمانية وعندما استمر عودة بالمقاطعة دعوته إلى شرفة القصر وبعد أن وعدته بإجراء تحقيق في أعمال العنف، أمر أيضا بالتفرق^{٦٩} -

ولم تنتهى هذه الأزمة و أعلنت الحكومة مرة ثانية من إيفاء محمد نجيب عن منصب رئيس البلاد و رئيس مجلس الثورة، و فى ذلك الوقت كتب المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبي مكتوبة إلى محمد نجيب و هو يطالب بتحرير الأعضاء الذين ألقوا فى غرف السجون و لكن أنكر محمد نجيب استماع هذا الالتماس و وعد أنه سيتحدث مع الآخرين عن هذا الأمر، و فى نفس اليوم خرج الطلاب من الجامعات يطالبون أن تكون الديمقراطية برلمانية، و ما زال الطلاب يطالبون إلى ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ م حتى قام جمال عبدالناصر بعزم راسخ و قدم ثابت و ادعى مجلس الثورة أن الثورة قد بلغت إلى المرام، و ستحصل حياة أخرى للميلاد فى صورة البرلمان، و أمرت وزارة الداخلية قرارا لتحرير الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان، و رفعت الحكومة الحظر عن جميع المجلات و حيرته الكلام و صارت الصحافة مرسومة فى البلاد^{٧٠} -

و حدث كذلك الخلاف بين الإخوان المسلمين و الحكومة عن معاهدة عودة الإنكليز، و اختلفت المصادر فى وصف ما جرى فى أثناء الاتصال، فمصادر الإخوان تقول إن ايفنز حاول أن يتيين مدى تأييد الإخوان لضباط القيادة، فجاءه الرد حاسما قويا "إننا نريد هم بكل قوانا طالما استمسكوا بحقوق البلاد و لم يفرطوا فيها" و تقول مصادر الثورة أن الإخوان طعنوا المفاوض من خلف و قبلوا شروطا من الشروط التى قبلها المفاوض نفسه، قبلوا مثلا أن تكون عودة الانكليز إلى بناء اعلى رأى لجنة مشكلة من المصريين و الإنكليز و أن يقرر خطر الحرب هيئة الأمم المتحدة^{٧١} -

و حدث حادث آخر خارجا بقصد الضغط على رجال الثورة، فقد عقد الإخوان فى دمشق مؤتمرا كبيرا، مثلث فيه فروع الشام و العراق و الأردن و السودان و حملوا على رجال الثورة حملة شديدة،

وفندوا ببيانهم الذى أصدره عقب حل الجماعة و حضوا جمال عبدالناصر بقسط وافر من الحملة مدعين أنه مصمم على التخلص من محمد نجيب و بما أن "المنافس الوحيد فى الميدان هم الإخوان المسلمون و إذن فلا بد من إزاحتهم من الطريق و إخراجهم من حلبة السباق ليتم له ما يريد" ^{٧٢}

و أصدر مجلس القيادة بيانا عن السماح بعودة الأحزاب السياسية منها الإخوان المسلمون، ولم يمتض على البيان ثلاثة أيام حتى نظمت هيئة التحرير فى ٢٨ مارس سنة ١٩٥٤م إضرابا كان فى رأى محمد نجيب بمثابة انقلاب ثان بعد انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٣م، أدى هذا الانقلاب إلى تولي جمال عبد الناصر رئاسة الوزارة، و اعلان حكومة عسكرية، و إلغاء الأحزاب ثانية عدا الإخوان الذين تعهد زعماءهم بالتزام الهدوء.

و تقول مصادر الإخوان أنهم خرجوا من السجون بعد أن اختلف محمد نجيب و جمال عبدالناصر، و اضطرب الأمن فى مصر و توسط الملك سعود، و وعد رجال الثورة أن تعود هيئة الإخوان دون قيد و لاشروط.

و أيا كانت الشروط أهدوء أم تسليما بلا قيد و لا شرط، فإن الإخوان اتجهوا بعد هذا الحادث إلى اتخاذ جميع الأسباب تغلب نظام الحكم و لا شك فى أنهم أرادوا كسب محمدنجيب إلى جهمتهم، و أنهم استرضوه فرضى و شن الإخوان على رجال الثورة حربا لاهوادة فيها، و أعلنوا الاتفاقية التى وقعت بين الحكومة و الإنكليز "إنهم يصرون على أن اتفاقا بين الحكومة و أية دولة أجنبية لا يجوز أن يتم دون أنه يعرض على برلمان منتخب انتخابا نزيها يمثل إرادة الشعب المصرى أصدق تمثيل، كما يجب رفع الرقابة على الصحافة حتى يقول كل إنسان رأيه فى هذه الاتفاقية دون حد من إرادته و حرته" ^{١٢٠}

و كانت هذه الأوضاع مستمرة إلى أن أطلق محمود عبداللطيف الناصر على جمال عبد الناصر فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤م، فأخطأه و لكن الأستاذ تى اشامة يكتب - "Being after passed few months AL-

^{٧٤} "ikhwan was baselessly allaged of making an attamp on the life of Jamal Abdul Nasir "

ومهما كانت الأسباب و لكن البرلمان انفجر بعد ذلك، و حرقت مكاتب الإخوان فى أماكن كثيرة و حوكم الإخوان و شنق ستة أو سبعة من زعماء هم و حكم على أكثر من ثلاثمائة بالأشغال الشاقة الطويلة و على نحو أحد عشر منهم بالسجن^{٧٥}

موقف جمال عبد الناصر تجاه الإخوان

و لم يمتنع جمال عبد الناصر عن التعدييات و المظالم التى كانت مباحة للإخوان المسلمين، بل زادت يوما فيوما و بلغ عدد المسجونين إلى آلاف، و كانوا يسكنون تحت الأرض حيث لا تدخل أشعة الشمس و لا تصل إليهم الهواء النقى، و توسعت مدة السجن إلى ٢٥ سنة، فعذبوا فيها عذابا نكرا بأعمال مضنية، و كانت الأوقات محدودة لهم أن يرقوا على الجبال و يرجعوا فى مدة معينة، و إن خابوا فكان لهم من علاج حاسم-

و أكرهوا إلى شرب البول و حمل أثقال الحديد على أكتافهم حتى سقطوا مغشيا عليهم، و لا يرحص لهم أن يلقوا بأفراد من أهلهم و يأخذوا لباسهم و الطعام الذى جاء به عيالهم حين زيارتهم، و يضرب رجال السجن و يسومون سوء العذاب و يعدد موظف السجن عددا، فأخذ يحصى من الواحد إلى العاشر، ثم يعود إلى الأول، فيكرر إلى العاشر، و كذلك يضرب هذا السجن من الصباح إلى المساء، و لا يعالج بما أصابه من الجرح، و قال آخر من المسجونين أنه كان عريانا و أرسل إلى غرفة كانت مملوءة من القذرية و الحشرات كى ينام فيها، و يوضع بعض الإخوان على الثلج حتى يصرفوا بحماية جمال عبد الناصر، و كان أكثر هؤلاء الأسرى من طلاب الثانوية فى الكليات و فى الجامع الأزهر و كان بعضهم من الجامعات العديدة^{٧٦}

و أجرت سلطة السجن فى اثناء ذلك حكما لإخراج هؤلاء المسجونين إلى الجبال أن ينتحوا أحجارا لمدة ٢٥ شهرا، و قضى أكثر الإخوان ٢٥ شهرا فى هذه الجبال-

و جاء يوم المجزرة فأمر الإخوان المسلمون المسجونون أن يصلوا إلى فناء السجن حيث كان

آلاف من الجيوش قائمين مع ماكينات و أسلحة أخرى، و كان ذلك اليوم الأول من شهر يوليو ١٩٥٧م، و أطلق النار على المسجونين بأمر جمال عبدالناصر، و هولاء الأسرى ليسوا من المجرمين أو السرقة أو قطاع الطريق، بل كانوا أسرى سياسيين، فأدى هذا الإطلاق إلى قتل ٢٠ نسمة و إصابة ٣٥ نسمة بجرح فادح.

٧٧ و قد ذكر الأستاذ T. Ushama المقتولين مع ذكر عناوينهم مفصلة و هم كانوا ٢١ فردا.

و كانت هذه موأمة ضد الإخوان المسلمين قتلت عددا كبيرا من القادة و المفكرين الذين كانوا يتعلقون بالإخوان و يحبونهم حبا جما، و اعتقد أصحاب الموأمة فوزهم فى القضاء على هذه الحركة و إجهازها. و لكن الحقيقة تعكس ذلك، لأن روح هذه الحركة قد تجلت فى بلاد أخرى و تسربت فى قلوب الكتاب الآخرين، عضوا عليها بالنواجذ.

و من جلس على أريكة الرئاسة بعد جمال عبد الناصر، فهم كانوا أيضا أشد عداوة للإخوان المسلمين و نهجوا على المنهج الذى سار عليه سابقهم.

فهذا أنور السادات جلس على أريكة الرئاسة فى سنة ١٩٧٠م، فرخص للإخوان المسلمين من السهولة و اليسر للحصول على إعانتهم و حمايتهم ضد اليساريين، فقام بتحرير أعضاء الإخوان فى سنة ١٩٧١م و كان منهم الأستاذ عمر التلمسانى الذى اعتقله اللواء الرئيس جمال عبدالناصر، و لكن السادات رفض أن يمنح لهم مكانة جمعية سياسية مقبولة لدى وزارة الشؤون الاجتماعية، و إذا تضاعف النقد و المحاسبة حول قضية الأمن مع اسرائيل فدعا السادات الأستاذ التلمسانى للمشاركة فى مجلس الشورى بشرط ينبغى للإخوان أن يخففوا نقدهم تجاه إقدامه، فرد التلمسانى دعوته و عرضه، لأن الجمعية تكون فى حظر الحكومة و تحصل لوزارة الشؤون الاجتماعية من الحقوق أن تحلها حسب احتياجها.

فاعتقل السادات الأستاذ التلمسانى و رؤساء و قادة الإخوان الأخر و بلغ عدد المسجونين حوالى ١٥٠٠ نسمة فى سبتمبر سنة ١٩٨١م. و كان أكثرهم من الإخوان المسلمين مع الجماعات

الأخرى، وإذا اغتيل السادات فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١م ولكن الإخوان لم يشاركوا فى أى عمل متطرف، واختارت لها مكانة الحركة المضادة للحكومة و بذل التلمسانى من مجهوداته المشكورة لادخال الجمعية فى الميدان السياسى والاجتماعى فى مصر، وقبلت الجمعية فى إشرافه الازدواج السياسى، و الديموقراطية البرلمانية، وأقامت من التحالف مع حزب الوفد للمساهمة فى انتخاب البرلمان فى سنة ١٩٨٤ وحصل للتحالف من ٦٥ مقعدا فى البرلمان، وجعلت من أهم الأحزاب المضادة لحكومة الرئيس حسنى مبارك و جماعته الحزب الديموقراطى الوطنى-

ولكن هذا التحالف قد انتهى فى سنة ١٩٨٧م، وجعلت الجمعية تحالفا إسلاميا مع حزب العمال الاجتماعى وغيرها من الجماعات، و كانت مكانة هامة للإخوان فى هذا التحالف، وكانت من مشاريع الإخوان أن تكون الشريعة هى الحاكمة فى الارض، و تقرر نشيد الانتخاب "الإسلام هو الحل" وربطت الجمعية مع جماعة القبطين و أعلنت أن توفر الحقوق المتساوية لجميع سكان البلاد، وساهمت الجمعية فى عدم الدخول فى الانتخاب فى سنة ١٩٩٠م مع الأحزاب الأخرى-

و صارت الجمعية محظورة ممنوعة فى هذا العهد، ولكنها تعد من أهم الجماعات الإسلامية فى العالم، و تساهم فى خدمة الإسلام والمسلمين-

جمعية الإخوان المسلمين خارج مصر

إن جمعية الإخوان المسلمين هيئة إسلامية جامعة شاملة تعمل لتحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام، لأن الإخوان قد نهضوا بالدعوة التى لا تختص بقطر دون قطر من الأقطار الإسلامية، وأرسلوا إلى أمراء هذه البلاد وقادتها من الرسائل أن يهتموا بشئون العالم الإسلامى وقضاياه السياسية، وكان المرشد العام يتحدث فى خطبه عن البلاد العربية والإسلامية و يدعو إلى أن يتمتع بحريته واستقلاله، و كان الإخوان يعتبرون أنفسهم من حماة القضايا الإسلامية والسياسية، ولذلك اتجهوا إلى

إنشاء الفروع في خارج مصر، وهذه العملية بدأت سنة ١٩٢٧م و ترجع بدايته إلى الطلبة السوريين الذين كانوا يدرسون في مصر، و ينتسبون إلى الإخوان في عهد الدرس، و قد عنى الإخوان بالطلبة العرب الذين يدرسون في مصر عناية خاصة، و أحاطوهم بالرعاية و التكريم، و عاملوهم كما يعاملون الأعضاء المصريين تماماً.^{٧٨}

فتأسست أولاً "دار الأرقم" في حلب، فجمعية الشبان المسلمين في دمشق، فجمعية الرابطة في حمص، فجمعية المكارم في القدس، فجمعية الإخوان المسلمين في حماه، و كانت هذه الجمعية تعنى بالناحيتين الرياضية و الاقتصادية مع الجوانب الثقافية و الاجتماعية و الخلقية و القضايا الإسلامية و العربية.

و عقدت هذه الجمعية من ندوات و مؤتمرات تحت أهداف الإخوان المسلمين و حددت أهدافها من تحرير الأمة و إصلاح المجتمع و التعاون بين أبناء الأمة.

و كان الدكتور مصطفى السباعي - المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا أكد و ركز على " العمل في تحرير البلاد العربية و الإسلامية من الاستعمار و النفوذ الأجنبي، و طلب من إصلاح عيوب النظام السياسي بحيث يتمكن أفراد الشعب في اختيار نوابه بطرق شريفة لا تأثير فيها و لا إغراء، بحيث يتمكن نواب الأمة الإشراف على شئون الدولة دون تميز"^{٧٩}

و اذا وضع الدستور الجديد للدولة السورية دعا الإخوان إلى أن يكون في نصه أن دين الدولة الإسلام، و لكن المجلس عدل هذا الطلب بأن نص على أن يكون الإسلام دين رئيس الجمهورية فقط، و برز الشيخ عدنان سعد الدين، و صار المراقب العام الجديد و أعلن الجهاد ضدّ الحكومة و ضدّ العلويين - فرقة دينية من الأقليات في البلاد، فهاجم الإخوان مراكز الحزب البعثي، و أعضاءه و قضت الحكومة في سنة ١٩١٨م أن من يتعلق بهذه الحركة حكم له بالإعدام، فضمت جمعية الإخوان بالجبهة الإسلامية في سوريا و صار الشيخ محمد البينوني الأمين العام للجبهة، و كان الشيخ سعيد حوى من الشخصيات الدينية التي أشرفت على جمعية الإخوان المسلمين مع الشيخ سعد الدين -

و كذلك أنشئت فروع عديدة في فلسطين والأردن، وكانت الجمعية في الأردن مسجلة تحت قانون الأندية والجمعيات الخيرية، وجعل الحاج عبد اللطيف قره رئيسها، وأن الملك عبد الله شارك هذه الحركة وأزرها، فقد طلب إلى مندوب الإخوان أن ينقل تحياته إلى الإخوان المسلمين راجيا أن تكون حركتهم لا مرمى لها سوى التفاني في مرضاة الله والعمل لوجهه ولفائدة الإخوان المسلمين.

وأعلن الإخوان المسلمون "أننا لا نعيش في هذا الوطن وحدنا، وإنما هناك طوائف أخرى شقيقة يحب أن نتعاون وإياها على إصلاح الوطن وحمايته ----- ونعلم أن الدين لله والوطن للجميع وأن لكل فريق حقا يرضيه"^{٨٠}.

وعقب وفاة الحاج القرة في سنة ١٩٥٣م قام عبدالرحمن الخليفة، و وصل إلى رئيس الوزراء توفيق الباشا أبو الهدى، و التمس منه أن يرخص لهم بالدعوة الإسلامية و نشر التعاليم الدينية بغير لوم وخوف، و اذا أذن ملك الأردن أن يجهز الإخوان الجيش و يدرهم تدريباً حسناً، فوجد رئيس سورية حافظ الأسد على هذه الإجراءات و اعتقدها جريمة ضد الحكومة، و في سنة ١٩٨٥م ابتعد الملك عن الإخوان المسلمين لأنهم جعلوا حكومته عرضة النقد والتعرض، و لكن هذا الخلاف رفع و قل في آخر الثمانينات و رخص لهم المساهمة في الانتخاب و حصل لهم ٢٢ من المقاعد في ٨٠ مقعداً، و لكن الإخوان المسلمين تجلت لهم وجهة أخرى حول أزمة الخليج، فساعد بعضهم الكويت ورفض بعضهم، و ذهبوا إلى حماية العراق و صدام حسين فأدى هذا التباعد و التحالف إلى خسارة فادحة لأن المملكة العربية السعودية و دولة الكويت كانتا تعاونان الإخوان في وقت الكروب و الآلام.^{٨١}

و كان دور السودان جاء متأخراً عن سورية و لبنان و فلسطين، فقد قامت أول محاولة لتأسيس فرع للإخوان في أم درمان في شهر يونيو ١٩٦٤م عقب تنصيب فتاة مسلمة على يد الإرسالية الإنجليزية في تلك البلدة، و لكن هذا الفرع أنشئ لغرض نشر الدين الإسلامي و مقاومة التبشير في السودان نتيجة للحادثة المذكورة.

و في شهر أكتوبر ١٩٤٦م أرسل المركز العام جمال الدين السهنوري، و صادق عبدالله

وعبدالماجد لنشر الدعوة وإنشاء الفروع، ولكن جمعية الإخوان المسلمين أنشئت رسمياً في أغسطس سنة ١٩٥٤م، وجعل القائد راشد الطاهر من المراقب العام، وكانت علاقته مع موظف الحرية وطيدة، وكان منهم صلاح سالم، وإذا سيطر اللواء إبراهيم عبود على الحكومة أجاز للإخوان أن يحرروا نشاطاتهم، ولكن في نوفمبر ١٩٥٩م أراد طاهر أن يقلب الحكومة ولكنه لم يفلح في إرادته وجعلت الجمعية محظورة، وإذا رجع حسن الترابي وغيره من الإخوان عقب دراستهم في الخارج وحاول مع أصحابه حتى سقطت حكومة عبود على يد الإخوان، وأسس الإخوان "جبهة الميثاق الإسلامية". ووقعت الثورة في ٩٦٤م في قيادة جعفر النميري، فاعتقل عدد كبير من الإخوان ونفى بعضهم وهاجروا إلى بلاد مصر وأوروبا ولكن الترابي صار موجوداً في السودان، فلقى الرئيس النميري وأستاذ ليبدأ الدعوة والعمل.

وفي كل أوضاع سياسية أثرت جمعية الإخوان المسلمين ونالت قبولاً حسناً بين العامة و
 ٨٢
 الخواص، وأبرزت قادة وكتاباً كصادق وعبد الله ماجد وجعفر شيخ إدريس وغيرهم.

وانتشرت الدعوة في بعض بلدان شمال إفريقيا وشرقها، فأرسلت الجمعيات والهيئات الإسلامية في أسمره إلى المركز العام في القاهرة تخبره أنها اعتزمت أن تطلق نفسها اسم الإخوان المسلمين، وتطلب تسجيل الإخوان في أسمره وبلاد آريتريا.

وأسست أيضاً "جمعية الأخوة الإسلامية" في بغداد برأسها الشيخ أمجد الزهاوي ووجه
 نشاطها الشيخ محمود الصواف.



٧٢٨١

وكانت هذه البلاد والإسلامية والعربية وغيرها تتعلق بالمركز العام وتستفيد بالجرائد والمجلات التي كانت تنشأها جمعية الإخوان المسلمين، وكانت هذه الجرائد والرسائل من أهم الوسائل للدعوة ونشر مناهجهم في البلاد الأخرى والمجتمع الصارم.

الهوامش

- ١- Dunne J.H. Religious and political trends in Modren Egypt P.30
- ٢- Dr.T.Ushama, Impact of recent Islamic movements on the modren Arabic literatur P.
- ٣- حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، ٧٤
- ٤- المصدر المذكور، ٧٤
- ٥- زكي محمد شوقي: الإخوان المسلمون و المجتمع المصري: ص ١٤-١٥، و حسن البنا: المصدر المذكور، ٧٤
- ٦- حسن البنا: رسالة المؤتمر الخامس، ٣٤
- ٧- زكي محمد شوقي: المصدر المذكور، ١١٠
- ٨- أنظر للتفاصيل: اسحاق موسى الحسيني: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ٨١-٨٤، و حسن البنا: بين الامس و اليوم ٢٨-٢٩
- ٩- Richard P. Mitchell, The Society of the Muslim Brothers : P. 9
- ١٠- أنظر للتفاصيل: المصدر المذكور: ص ٩، و زكي محمد شوقي: المصدر المذكور، ١٥-١٦
- ١١- حسن البنا: مذكرات: ٨٨، ٨٩، و R.P. Mitchell, Ibid : P.10
- ١٢- اسحاق موسى الحسيني: المصدر المذكور، ٢٩
- ١٣- حسن البنا: مذكرات، الدعوة والداعية ١٠٩
- ١٤- حسن البنا: المصدر المذكور، ١٢١
- ١٥- حسن البنا: المصدر المذكور، ١٢٣-١٢٤، و R.P. Mitchell, Ibid : P.11
- ١٦- زكي محمد شوقي: الإخوان المسلمون و المجتمع المصري: ص ١٦-١٧، و اسحاق موسى الحسيني، المصدر المذكور، ٢٩-٣٠
- ١٧- طارق البشري: الحركات السياسية في مصر، ٤٦، و أحمد أنس الحاجي، روح و ريحان، ٢٤٩
- ١٨- حسن البنا، مذكرات، ١٤٤
- ١٩- اسحاق موسى الحسيني، المصدر المذكور، ٣٠
- ٢٠- أحمد أنس الحاجي، المصدر المذكور، ٢٥٠
- ٢١- حسن البنا: مذكرات، ١٦٣-١٦٤

- ٢٢- المصدر المذكور، ١٧٠
- ٢٣- زكي محمد شوقي: المصدر المذكور، ١٨
- ٢٤- حسن البنا: رسالة المؤتمر الخامس، ١٤-١٦
- ٢٥- R.P. Mitchell, Ibid : P.18
- ٢٦- عاصم الدسوقي، مصر في الحرب العالمية الثانية، (١٩٤٥-١٩٣٩)، ٥٠-٥١
- ٢٧- أحمد عبد الرحيم مصطفى، العلاقات المصرية و البريطانية، (١٩٥٤-١٩٣٨)، ٢٢-٢٤
- ٢٨- R.P. Mitchell, Ibid : P.20
- ٢٩- زكي محمد شوقي: المصدر المذكور، ١٢٤-١٢٧
- ٣٠- محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية، ٢/٣٠٨-٣٠٩
- ٣١- جريدة الإخوان المسلمين ٢٠ مايو سنة ١٩٥٤ م
- ٣٢- Dunn. J. H. Ibid, P. 37-41
- ٣٣- اسحاق موسى الحسيني المصدر المذكور، ٣٥
- ٣٤- زكي محمد شوقي: المصدر المذكور، ٣١
- ٣٥- اسحاق موسى الحسيني: المصدر المذكور،
- ٣٦- زكي محمد شوقي: المصدر المذكور، ٢٤
- ٣٧- اسحاق موسى الحسيني: المصدر المذكور، ٣٣
- ٣٨- انظر للتفاصيل: كامل اسماعيل شريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين.
- ٣٩- انظر للتفاصيل: Dr.T.Ushama, Ibid, P.77
- ٤٠- اسحاق موسى الحسيني، المصدر السابق، ٧٥
- ٤١- حسن البنا: بين الأمس واليوم، ٢٨-٢٩
- ٤٢- اسحاق موسى الحسيني، المصدر المذكور، ٧٧
- ٤٣- R.P.Mitchill, Ibid. P. 67
- ٤٤- R.P.Mitchill, Ibid. P. 69
- ٤٥- محمد الغزالي، في موكب الدعوة، ٧٩
- ٤٦- الأهرام، عدد يوم ٨/١١/١٩٤٩ م
- ٤٧- أنظر للتفاصيل، أنور الحنبدي، حسن البنا: الداعية الإمام المجدد الشهيد، ٢٢١
- ٤٨- مجلة "المجتمع" الأسبوعية الصادرة من دولة الكويت، العدد ١٣٣٨، ٣٠ شوال ١٤١٩ هـ الموافق

١٩٩٩/٢/١٦

- ٤٩- المصدر المذكور نقلاً عن د/توفيق علوان: نجم الدعوة، ٣١٧
- ٥٠- سعيد حوى : المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين، ٢٠٤ و T. Ushama, Ibid: P. 94
- ٥١- اسحاق موسى الحسيني: المصدر المذكور، ٤٦ نقلاً عن مجلة الدعوة، العدد ١٨، ٤٤ ديسمير/١٩٥١م
- ٥٢- اسحاق موسى الحسيني: المصدر المذكور، ٢٠٣
- ٥٣- R.P. Mitchell: Ibid, P.102
- ٥٤- اسحاق موسى الحسيني: المصدر المذكور، ٢٠٣ نقلاً عن "الإخوان المسلمون ماضيهم وحاضرهم"
- ٥٥- المصدر المذكور: ٢٠١-٢٠٢
- ٥٦- R.P. Mitchell: Ibid, P.88
- ٥٧- R.P. Mitchell: Ibid, P.89
- ٥٨- T. Ushama: Ibid, P.102
- ٥٩- اسحاق موسى الحسيني: المصدر المذكور، ٢٣٠
- ٦٠- زكي محمد شوقي: المصدر المذكور، ٣٣
- ٦١- اسحاق موسى الحسيني: المصدر المذكور، ٢٣١ و T. Ushama: Ibid, P. 105
- ٦٢- انظر للتفاصيل: زكي محمد شوقي، المصدر المذكور، ٣٤-٣٥
- ٦٣- اسحاق موسى الحسيني: المصدر المذكور، ٢٣٢
- ٦٤- اسحاق موسى الحسيني: المصدر السابق، ٢٣٤ نقلاً عن قصة الإخوان كاملة، ٢٨
- ٦٥- المصدر السابق: ٢٣٦ نقلاً عن "إلى الإخوان رقم ٨"
- ٦٦- قصة الإخوان كاملة: ٣٠
- ٦٧- أنظر للتفاصيل: جريدة "الجمهورية" الصادرة من مصر، ١٥ فبراير سنة ١٩٥٤م-
- ٦٨- T. Ushama, Ibid, p. 126
- ٦٩- اسحاق موسى الحسيني: المصدر السابق، ٢٣٩ نقلاً عن مصير مصر: ٢٢٨-٢٢٩
- ٧٠- جريدة مصر، ٢٦ مارس، ١٩٥٤م
- ٧١- جريدة الجمهورية ١٥ يناير ١٩٥٤م
- ٧٢- اسحاق موسى الحسيني: المصدر السابق، ٢٤٠ نقلاً عن "حتى يعلم الناس" ٢٦-٣٠
- ٧٣- المصدر السابق: ٢٤٢
- ٧٤- T. Ushama: Ibid, P. 109

- ٧٥- اسحاق موسى الحسيني: المصدر السابق، ٢٤٣، و جريدة الجمهورية ٢٨ أكتوبر ١٩٥٤م
- ٧٦- أنظر للتفاصيل، جابر رزق: مذبحة الإخوان، ١٣٠
- ٨٧- T. Ushama: Ibid, P.119-121
- ٧٨- أنظر للتفاصيل، اسحاق موسى الحسيني: المصدر السابق، ١٣٥-١٣٦
- ٧٩- أنظر للتفاصيل: مصطفى السباعي: الأحزاب السياسية، ١١-٤١
- ٨٠- اسحاق موسى الحسيني: المصدر السابق، ١٤٧
- ٨١- المصدر السابق: ١٥٠
- ٨٢- The oxford encyclopedia of the Modern Islamic World V.3, P.200.

الباب الثالث

مسابقة الإيجاز في القرآن الكريم

في تطوير الأدب العربي المعاصر

الفصل الأول

مساهمة الإخوان المسلمين فى الصحافة العربية

إن من أبرز خصائص هذه الجمعية أنها شملت كل شعبة الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والعلمية و السياسية و العسكرية أصلية كانت أو مقتبسة و لكنهم صبغوا هذا النشاط بصبغتهم الخاصة وألقوا عليه رداء دينيا، فبدأ منسجما مع الحركة و دعوتها.

و كانت هذه الجمعية فى أول مرحلتها دينية خالصة، و وجهت كل جهودها الى الأغراض و المقاصد التى جاء بها الإسلام و أرادت أن تهدى كل مسلم الى الصراط المستقيم، و دعت الى القضاء على جميع المفسدات و المنكرات فى المجتمع و البلاد، فيلقى أعضاءها من الدروس و يكتب كتابها من المقالات. ثم اتفقت الهيئة العليا على ارسال الرسائل الى الملوك و الأمراء، فكتب المرشد العام بنفسه فى سبيل تحقيق أهداف الجمعية من الرسائل الخاصة الى رؤساء الوزراء ثم الى الملك، ثم الى ملوك العرب و حكامهم و أمراءهم، يسطون فيها دعوتهم بصراحتهم كاملة كى تكون أغراضها واضحة جلية أمام الرؤساء و الناس يكونوا مغتبطين إليها، كى يمكن إصلاح التشريع و توحيد المحاكم فى ظل الشريعة الإسلامية، و إصلاح التعليم، و إصلاح السياسة، و إصلاح الادارة، و أردفوا بدعوة خصوم الوفد الى إنتهاج هذا المسلك.

و إتساما لهذا النوع من النشاط ألقوا اللجنة خاصة تتولى نشر رسائل الإخوان من المركز العام، قد نشروا من الرسائل منها رسالة المنهج، و من أنت؟ و القرآن و الزرة، و التعاليم، و نحو النور، و الى أى شئ ندعو الناس؟ و دعوتنا، و رسالة الجهاد، و الى الشباب، و الإخوان المسلمون تحت رؤية القرآن.

و هذا لازم أن يوضح "أن هذه الرسائل لاقت رواجاً كبيراً فى مصر و الأقطار العربية والإسلامية،

و كان لها صدى بعيد في شمالي افريقيا و السودان و فلسطين و الأردن، و انها كانت تثير الشعور الإسلامي و تهزه هزا عنيفا، ولم تعرف حركة اسلامية في العصر الحديث ما يماثل هذا النشاط في الكتابة، و لم تعرف أفلاما نظير هذه الأقلام الملتهبة حماسة و إيمانا و بيانا فلا غرو أن أدى هذا المنحى من النشاط الى تحقيق بعض الأهداف التي حددها الإخوان في مناهجهم و كسبوا الأنصار و الموازين من جميع الطبقات - و الحق أنهم بسطوا دعوتهم بصراحة و وضوح و جلوها على المسلمين جلوا و افيا^١ -

و من وسائلهم المجالات و الجرائد كانت إما موازنة أو إما مملوكة، لهم و بدأ أول الأمر بنشر مقالاتهم في مجلات تعالج القضايا الدينية، ثم أنشأوا لهم مجلات خاصة، و صدرت لهم جريدة أسبوعية باسم "جريدة الإخوان المسلمين" كما يكتب المرشد العام الأول في مذكراته "و هناك تفاهت مع السيد محب الدين الخطيب أن يكون مديرا للمجلة، و لكن تطبع بالسلفية، و أن يكون الجنيهاً دفعة أولى، بقى بعد ذلك فعلى الله، و ابتسم الرجل المومن المجاهد المحبوب، و وافق على ذلك هو الآخر بكل بساطة و إيمان، فصدر التصريح و بدأ الطبع، فظهرت "جريدة الإخوان المسلمين" الأسبوعية و وعددها الأول بتاريخ الخميس ٢٨ صفر ١٣٥٢ هـ..... و أنشئت هذه المجلة و عاشت أربع سنوات كاملة، و كان يرأس تحريرها الأستاذ الشيخ الطنطاوى و مديرها السيد محب الدين الخطيب^٢ -

و توقفت هذه الجريدة بعد تسلل عدولها و فقدان ترخيصها، و ما مضت إلا أشهر أن استصدر الإخوان مجلة أخرى تسمى بمجلة "النذير" سياسية أسبوعية، و صدر العدد الأول منها بتاريخ "الإثنين ٢٩ من ربيع الأول ١٣٥٧ هـ" و يوافق مايو سنة ١٩٣٨ م، و قد ظهر منها واضحا إتجاه الإخوان الوطنى، و ابتداء اشتراكهم فى الكفاح السياسى فى الداخل و الخارج اذ كانت الدعوة قد أتمت عشرينين، و بين المرشد العام الأول و فى العدد الأول من هذه المجلة من خطوات اختط للإخوان المسلمين و قال "الإسلام عبادة و قيادة و دولة و روحانية و عمل، و صلاة و جهاد، و طاعة و حكم، و مصحف و سيف لا ينفك واحد من هذين عن الآخر و ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"^٣

و لقد إستمرت النذير تصدر سنتين كاملتين كانت فيها تشرح دعوة الإخوان و تنشر مذكراتهم الى إختلاف حكوماتهم، و تهاجم هذا الفساد الاجتماعى فى قوة و وضوح-

و اذا توقفت النذير، فرأى الإخوان الى مجلة "المنار" و اذا توفى السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار بعد أن دخلت فى عامها الخامس و الثلاثين، و صدر من هذا المجلد عددان هما الأول والثانى- و توقفت عن الصدور بعد أن ظلت هذه المدة مدرسة أنجبت الكثير من رجال النهضة الإسلامية الحديثة، ثم استأنفت نشاطها بعد فترة، و صدر العدد الثالث من المجلد الخامس و الثلاثين فى المحرم سنة ١٣٥٥ الموافق مارس سنة ١٩٣٨م و كذلك العدد الرابع، ثم توقفت المجلة عن الصدور مرة ثانية، و قد عز على الإخوان أن يخبو ضوء هذا السراج المشرق بالمعرفة من اقتباس الإسلام الحنيف، فاعتزموا أن يتعاونوا مع ورثة السيد رحمه الله على إصدار المنار من جديد، و قد تمّ الاتفاق على ذلك، و صدر العدد الخامس فى السنة الخامسة و الثلاثين فى ١٨ يوليو ١٩٣٩م، و تلاه خمسة أعداد أخرى تمت بها السنة الخامسة و الثلاثون من المجلة، ثم صدر أمر الحاكم العسكرى فى حكومة حسين سرى باشا بإلغاء الترخيص^٤ -

و فى نفس الوقت تم القضاء على مجلة أخرى و هى تنوب عن الجمعية و أغراضها عقب ماتوقفت المجلات المذكورة، و هذه المجلة تسمى "بالتعارف" و ما زال يزداد عددها و تكاد أن تكون لسان حال الجمعية و لكن لفظت نفسها الأخيرة قبل البلوغ، و اذ قامت الجمعية فى جنب حزب الوفد و جلس أعضاء الوفد على أريكة الحكومة فى سنة ١٩٤٣م، فحصل للإخوان الإذن و الترخيص لبدأ النشاطات الصحيحة، و بدأت تصدر مجلة الإخوان المسلمين مرتين فى الأسبوع، و بقيت فى قيد الصدور أربعة أعوام و حصلت لها مكانة ممتازة بين الجرائد التى أصدرتها الجمعية لنشر الدعوة و الإرشاد و البعث الإسلامى-

و تجلت جريدة أخرى على مكان "مجلة الإخوان المسلمين" باسم "جريدة الإخوان المسلمين"

وهي كانت جريدة يومية^٥ وصدرت إلى حلّ جمعية الإخوان المسلمين في سنة ١٩٤٨م ووضحت من أول يومها ما رأى الأستاذ البنا وما تفكر حول الإسلام والمسلمين في مصر وفي العالم كله.

و كانت هذه الجريدة اليومية أوسع صحفهم انتشاراً، وقد أوضحوا فيها أغراضهم كما يلي :
 أولاً : تحليلية تعاليم الإسلام وعرضها عرضاً يلئم أسلوب العصر، ويثبت أنها أفضل الأنظمة للجمعية الإنسانية- ثانياً : ردماً يوجه إليها من اتهامات باطلة. ثالثاً : تقريب وجهه نظر أهل القبلة جميعاً من غير دخول مناقشات مذهبية عقيمة- والعمل على جمع الكلمة حول الحق المشترك بأنزه الأقلام وأنبلها في حدود القاعدة الذهبية "نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا عليه"- رابعاً: تقرير أن الإسلام لا يخاصم ديناً، ولا يهضم عقيدة حقها، ولا يظلم غير المومنين به مقدار ذرة، ولا تثمر تعاليمه حين تسود أبناء الوطن الواحد الآ الحب والوثام والتعاون والسلام مهما اختلفت نحلهم وتباينت معتقداتهم- خامساً : رسم الطريق الموصلة الى إعادة نظام الإسلام وتطبيق أحكامه في الحياة الفردية وفي البيت وفي الدولة وفي كل شئون المجتمع الصالحة والتحذير من الخروج عن هذه التعاليم-^٦

و اذا توقفت جريدة الإخوان المسلمين اليومية، تجلت على منصة الصحافة مجلة "الشهاب" صورت في شهر نوفمبر ١٩٤٧م، مجلة شهرية عبارة عن الفكر الإسلامى والبحوث الإسلامية على طراز المجلة "المنار" ورأى البعض أن هذه المجلة لم تكن تصدر عن الجمعية، بل هي صدرت من نفس البنا وهي كانت كمجلة ذاتية، واستمرت الى سنة ١٩٤٨م-

و خلال السنوات التي مرت فيها الجمعية بالأزمات وجاهدت في سبيل نيل وجودها وبقاءها فاستعانت لنشر الأفكار والآراء بمجلة اسلامية أسبوعية تصدر بالقاهرة وهي تسمى "منبر الشرق" الى ظهور المجلة الجديدة الأسبوعية "المباحث" (١٩٥٠م - ١٩٥١م) وكان رئيس تحريرها الأستاذ صالح العشماوى رئيس الجمعية آنذاك ورئيس التحرير لمجلة الدعوة فيما بعد، وصدرت مجلة "الدعوة" في شهر يناير ١٩٥١م وتواصلت الى ١٩٥٦م- وهي كانت من ترجمان الجمعية ولكنها لم تحظ بعمر وافر

فى حياة الصحافة العربية.

و صدرت أيضا مجلة "الدعوة" من المركز الثقافى الإسلامى بالنمسا وهى مجلة تنشر فيها أخبار الإخوان لمسلمين فى مصر و فى كل العالم، و ما تواجه الامة الإسلامية مشاكل و أزمات ، و تشجع على الإعداد للجهاد فى سبيل الله بالأنفس و الأموال.

فتكون على أول الصفحة من هذه المجلة "الله اكبر و لله الحمد، و الدعوة، مجلة الحق و القوة و الحرية" و نشر أيضا عددا خاصا بالشيخ حسن البنا و سماه حسن البنا فى ذكره، و نقل من انطباعات حسن الهضيبي، و عبدالقادر عودة و عمر التلمسانى و روبرج كسون و غيرها من المعلومات المفيدة الهامة^٧ -

و قد صدر العدد الأول من مجلة "المسلمون" مع غره ربيع الأول سنة ١٣٢٧هـ أى نوفمبر سنة ١٩٥١م، و ظلت تصدر من هناك ثلاثة أعوام ثم انتقل مقر إصدارها الى دمشق، و جعل رئيس التحرير صاحب الامتياز د/مصطفى السباعى، و كان من كتابها الأستاذ على الطنطاوى، الأستاذ محمد المبارك و الأستاذ أبوالأعلى المودودى، و الأستاذ أبو الحسن على الندوى، و فضيلة الشيخ محمد بهجة البيطار و الدكتور مصطفى السباعى.

يدافع بها هولا عن الكتاب و السنة و الإسلام و المسلمين ، و يذكر أيضا من قسم الفقه و الأدب و التعليق على الكتب و المجالات.

ثم كانت بعد ذلك هجرتها الى جنيف و تميزت فى عنوانها منذ هاجرت هجرتها الأخيرة بأنها غدت مجلة "المركز الإسلامى" باسمه و الحاملة رسالته الى الشرق و الغرب، و انما كان هذا المركز ثمرة الطاقة الإسلامية الميمونة التى أثمرت "المسلمون" باد الرأى، فلا غرو أن جمعتها أصالة النبع و وحدة الفكرة و الطريق.

و يتجلى للمتابع أن ثلاثة أمور كانت عبارة عن المجلة و هي: إنها مجلة "دعوة" واضحة المعالم، بارزة السمات، متكاملة المنهاج، توفى بالإسلام نظاما شاملا يأخذ بعضه بحجزة بعض، و تستمسك بإطار دعوته الخالدة من حول قديم و جديد.

وإنها مجلة رسالة هادفة لا يقف فقها لأمانة البلاغ عند مستوى عرض هذا الجانب. و انها مجلة ثابتة الملامح يستوى في ذلك حالها على الصعيد النظري و على الصعيد العلمي، و كان رئيس التحرير في جنيف د/سعيد رمضان ^٨ -

ثم ظهرت "مجلة الإخوان المسلمين" في شهر مايو ١٩٥٤م برئاسة سيد قطب، و حدد الهضيبي في تقديم العدد الأول الموضوعات التي ستتناولها المجلة قائلا "سيجد الناس ان الإسلام ليس دين عبادة و صوم و صلاة. و لا دين قطع الأيدي و رجم الزناة فقط و لا دين الفضائل. سيجدون أنه دين عبادة تطهر النفس و تزكي القلب و تصل العبد بربه حتى يكون قادرا على تحمل تبعات الحياة و مشاقها. و سيجدون أنه دين أقام الحياة الاجتماعية بين المسلمين على أكمل نظام و أوفاه بحاجات الناس و سيجدون أنه عالج الأخلاق و الفضائل و أدب السلوك، فأمر بالحسن و نهى عن القبيح. و سيجدون أنه أوجب على المسلمين الجهاد اذا ليست أرضهم و احتلها العدو، و سيجدون كيف عالج مشكلات العمال و كيف نظر الى ملكية الأرض بعدالة لا تعادلها عدالة، و كيف عالج شئون الأسرة، كما عالج شئون الحكم في قواعد العامة الثابتة التي لا تتغير و ترك التفصيل لاختلاف الظروف ^٩ -

فأنسحت لهم هذه الجريدة الميدان للتعبير عن آراءهم و التعليق على حاضر العالم الإسلامي و اشترك في الكتابة فيه عدد كبير من الإخوان و من غير الإخوان. و كانت مقالات البنا تتألق في صدر الجريدة منسجمة العبارات، قوية البيان، مملوءة بالنقول من القرآن الكريم و الحديث النبوي و الشعر لتنفذ الى أعماق القراء.

و لم تصدر الا اثنتا عشرة عددا من هذه المجلة، فحالت الحكومة دون صدورها. و من ثم لم

تصدر أية مجلة باسم الجمعية، وطلعت رسالة "إلى الإخوان" ولم تنل من عمر طويل كأخواتها الصحفية^{١٠} -

و تصدر الآن "رسالة الإخوان" دورية أسبوعية، يصدرها المركز الإعلامي للإخوان المسلمين من لندن، وهي تترين بجميع الشعارات الإخوانية مثلاً "الله غاياتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا" وهي تشتمل على أخبار الإخوان المسلمين وأخبار متفرقة للمسلمين في العالم ومشاكلهم وأزماتهم^{١١} -

و كذلك صدرت جريدة أسبوعية إسلامية من عمان، كان اسمها "الكفاح الإسلامي" لتكون لسان حال جماعة الإخوان المسلمين وشعارها "صوت الطليعة المجاهدة والجماهير المومنة" وقد صدرت هذه الجريدة على فترتين: الأولى، و صدر من خلالها ثلاثة أعداد. و كان صاحب امتيازها و رئيس تحريرها الأستاذ عبدالرحمن خليفة. و الفترة الثانية و قد صدر خلالها ٣٨ عددا و كان امتيازها و رئيس التحرير الأستاذ يوسف العظم^{١٢} -

الهوامش

- ١- اسحاق موسى الحسيني: المصدر السابق، ٩٣-٩٤
- ٢- أنظر للتفاصيل: حسن البناء، مذكرات الدعوة والداعية، ١٤٩
- ٣- حسن البناء: المصدر السابق، ١٥٠-١٥١
- ٤- المصدر السابق: ٢٧٣، و R. Mitchil, Ibid, P.187
- ٥- ادیب مروہ: الصحافة العربية نشأتها و تطورها، ٣٠٢
- ٦- اسحاق موسى الحسيني: المصدر السابق، ٩٥
- ٧- الدعوة، العدد ١٠١، فبراير ١٩٨٥م
- ٨- أنظر للتفاصيل: المسلمون، العدد الأول: يوليو ١٩٦٤م و المجلد التاسع
- ٩- اسحاق موسى الحسيني: المصدر السابق: ٤٩-٥٠
- ١٠- R. Mitchil, Ibid. P.187
- ١١- رسالة الإخوان، العدد ١٣٤، الجهة ٢٣ ذوالحجة ١٤١٩/٩/٤م ١٩٩٩م-
- ١٢- محمد صالحة و سميع أبو مغلى: تاريخ الصحافة العربية نشأتها و تطورها: ٩٥-٩٦

الفصل الثانى

دراسة شخصيات أدبية مهمة

حسن البنا

كانت حالة الأمة الإسلامية فى الثلاثينات و الأربعينيات تشبه حالة تائه ضل طريقه، و نفذ زاده، وأوشك على الغرق فى بحر متلاطم عميق، و أوشك على الهلاك فى صحراء منقطعة بعد أن نفذت قدرته، و شلت عزيمته و استسلم للموج، أو مريض يئس من الشفاء بعد أن جرب كل دواء.

كان هذا بعد تمكن اليهودى الخاسر من ضرب الخلافة الإسلامية، ثم قفزة أعداء الإسلام تقطيع العالم الإسلامى و استعماراه، و بذر ألوان الشرفى الأفكار و السلوك و العادات و صبغها بالصبغة المادية. و فى وسط هذه الدياجير المظلمة ارتفع صوت الإسلام مرة أخرى، ينقذ التائه، و ينتشل الغريق، و يأخذ بيد المريض و يداويه، صوت ينادى الأمة من جديد، يبعث فيها الأمل، و يردّها الى قرانها و تاريخها و حضارتها و أصالتها..... ذلك هو الإمام الشهيد حسن البنا.

أسرته

كانت شخصية جد الشيخ البنا من أشرف قرية معروفة بشمشيرة - قرية نائية بعيدة - و أكرمه الله تعالى بابنين، أحدهما أحمد و ثانيهما محمد، وجه أولهما شطره إلى الدرس و التعليم فى الأزهر و آخرهما يساهم فى مهنة الأب الزراعة، و قد وقع النزاع بينهما عقب وفاة أبيهما فى قضية الميراث، و كان محمد يرى أن تكون الأرض المزرعة كلها فى يده لأنه صرف أكثر أوقاته فى رعايتها و كاد أن يجعل هذا النزاع صورة رهيبية، و لكن الأخ الآخر هجر كل ما يملك لأخيه و وصل الى المحمودية - (١)

و بدأ أحمد بن عبد الرحمن البنا والد الشيخ حسن البنا من صناعة إصلاح الساعة و عرف

بالساعاتي، و كان لهذه الصناعة أثر كبير فيه و فى ابنه من بعده لما تقتضيه من دقة و مهارة و ضبط- وتعلم فى الجامع الأزهر، فيصرف جزءاً من يومه فى إصلاح الساعة و ما بقى من أوقاته يبذله فى دراسة الفقه و الحديث و تدريس القرآن الكريم، و كانت له مكتبة ذاتية تشتمل على ذخيرة نادرة للكتب الإسلامية المتنوعة، فدرس هذه الكتب دراسة واسعة، وامتلاؤها و تضلّع فيها، و حين أنشأ أهل القرية مسجداً كلفوه إلقاء خطبة فى أول جمعة، فخطب و نال رضى القوم و إعجابهم، ولم تكن هذه الخدمة مقيدة بوظيفة و لا راتب شهري، بل كانت فى سبيل الله ابتغاء مرضاته، فقام بتدوين "مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني" حسب الأبواب الفقهية و سماه "الفتح الرباني فى ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني" فشرحه شرحاً وافياً و خرّج الأحاديث و تحدث عن الرجال و الاسناد و قام بحل الألفاظ الصعبة و سماه "بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الرباني" و قد قام أيضاً بتويب جديد للمسند أبى داود الطيالسى و سماه "منحة المعبود" و كذلك أضاف الحواشى على مسند الإمام الشافعى، و طبعت هذه الحاشية باسم "بدائع المسند فى جمع و ترتيب مسند الشافعى و السنن" وهذه الخدمات الجليلة أداها الشيخ أحمد عبدالرحمن و حيداً منفرداً، و كانت الثمرة الطيبة لهذه المجهودات أنه أنعم الله تعالى عليه بالبنين والبنات، يبلغ عددهم الى سبع نسمة و كان أحدهم الشيخ حسن البناء-(٢)

ولادته و نشأته

ولد الشيخ حسن البناء فى السادس من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٦م بالمحمودية،^(٣) و وجهه أبوه من صغره الى العلوم الدينية، و اذا بلغ ثمانية من عمره دخل فى الكتاب من قرئته^(٤)، و كان من أساتذته محمد زهران صاحب "مدرسة الرشاد الدينية" و هو ان كانت دراسته النظامية لم تصل به الى العلماء الرسميين، فإن ذكاءه و استعدادة و أدبه و جهاده قد جعله يسبق سبقاً بعيداً فى المعارف و فى الإنتاج العام و يشتمل مواد الدراسة فى مدرسة الرشاد الدينية على الأحاديث النبوية حفظاً و فهماً، فكان على التلاميذ أن يدرسوا كل أسبوع فى نهاية حصص يوم الخميس حديثاً جديداً يشرح لهم حتى يفقهوه، و

يكررونه حتى يحفظوه، ثم يستعرضون معه ما سبق أن درسه فلا ينتهي العام إلا وقد حصلوا ثروة لا بأس بهما من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم،^(٥) ثم دخل في المدرسة الإعدادية، وكانت هذه المدرسة حينذاك على غرار المدرسة الابتدائية اليوم بحذف اللغة الأجنبية وإضافة بعض مواد القوانين العقارية والمالية وطرف من فلاحية البساتين، مع التوسع نوعا في دراسة علوم اللغة الوطنية والدين.

وفي هذه المدرسة أسست "جمعية الأخلاق الأدبية" فوق اختيارهم عليه رئيسا لهذه الجمعية، وكذلك إذا ألفت جمعية منع المحرمات، فكان من أنشط الأعضاء وقرر مجلس مديرية البحيرة إيفاء نظام المدارس الإعدادية وتعديلها إلى مدارس ابتدائية، فلم يكن أمام الطالب إلا أن يختار بين أن يتقدم إلى المعهد الديني بالإسكندرية، ليكون أزهريا أو إلى مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور ليختصر من الطريق ويكون بعد ثلاث سنوات معلما ورجت الأستاذ البنا كفة الرأي الثاني في النهاية، فالتحق هذه المدرسة، ولازمه التدين في هذا الدور واستغرق في التعمد والتصوف، ولزم الطريقة الحصافية كما يذكر الإمام الشهيد في مذكراته "فاجتذبت حلقته الذكر بأصواتها المنسقة ونشيداتها الجميل وروحانياتها الفياضة وسماحة هولاء الذاكرين من شيوخ وفضلاء وشباب صالحين وتواضعهم لهولاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم يشاركوهم ذكر الله فواظب عليها، توطدت الصلات بينه وبين شباب هولاء الإخوان الحصافية ومنذ ذلك الحين أخذ اسم الشيخ الحصافي يتردد في أذنه فيكون له أجمل وقع في أعماق القلب وأخذ الشوق والحنين إلى رؤية الشيخ والجلوس إليه والأخذ عنه يتجدد حيناً بعد حين".^(٦)

و حين التحق بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور - وهو في الرابعة عشرة من عمره، واطب على زيارة ضريح شيخ الطريقة الحصافية كل يوم تقريبا، وعلى الحضرة في مسجد التوبة في كل ليلة مع الإخوان للحصافية، ورغب في أخذ الطريقة، حتى ينتقل من مرتبة المحب إلى مرتبة التابع المبايع، فأخذها عن الشيخ نفسه في رمضان ١٩٣٣م وأذن له بأورادها وظائفها، كما يكتب بنفسه "نزلت دمنهور

مشيعا بالفكرة الحصفافية. و دمنهور مقر ضريح الشيخ السيد حسنين الحصفافى شيخ الطريقة الأول، و فيها نخبة صالحة من الأتباع الكبار للشيخ، فكان طبعيا أن اندمج فى هذا الوسط، و أن استغرق فى هذا الاتجاه^(٧).

و فى هذه السنوات الثلاث كان الشيخ البنا مستغرقا فى التصوف و التبعد، ولكنه مع ذلك يقبل على الدروس و تحصيل العلوم خارج المناهج الدراسية، و من الكتب التى أثرت عليه عميقا كانت "الأنوار المهدية للنبيهانى، مختصر المواهب اللدنية للقسطلانى، و نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ الحصرى، و يستأجر الكتب للدراسة و المطالعة، و كانت قصة الأميرة ذات الهمة من أشد هذه الكتب و أعمق الأثر فى نفسه، و حفظ كثيرا من المتون فى العلوم المختلفة، فحفظ "ملحة الإعراب للحريرى، ثم الألفية لابن مالك، و الياقوتية فى المصطلح، و الجوهرة فى التوحيد، و الرجية فى الميراث، و بعض متن السلم فى المنطق، و كثيرا من القدورى فى فقه أبى حنيفة، و من متن الغاية و التقريب لأبى الشجاع فى فقه الشافعية، و بعض منظومة ابن عامر فى مذهب المالكية، و لا ينسى أبدا توجيه والده بالعبارة المأثورة "من حفظ المتون حازا لفنون"^(٨).

وفى هذه المدة كان يحب للعلم حبا جما و شديد الميل الى القراءة و الاستزادة من العلم، فهو يقول بنفسه "لقد كنت مومنا بفائدة العلم للفرد و الجماعة و وجوب نشره بين الناس حتى أنى أذكر أنى عزمت على إصدار مجلة شهرية أسميتها "الشمس" و كتبت منها العدين الأول و الثانى تقليدا لأستاذنا الشيخ محمد زهران الذى كان يصدر مجلة "الإسعاد" الشهرية، تشبها بمجلة المنار التى كنت كثيرا لمطالعة فيها، و لكن طريقة الغزالى و أسلوبه فى ترتيب العلوم و المعارف و طلب العلم كانت قد أثرت فى نفسى تأثيرا شديدا فكنيت فى صراع عنيف"^(٩).

و كانت هذه الرغبة الشديدة و الميل القوى الى الدراسة و استزادة العلم من مطالعة "أحياء علوم

الدين" للغزالى -

و اذا تخرج من مدرسة المعلمين أدى كفاءة التعليم الأولى، و ظهرت النتيجة، فكان الأول في المدرسة و الخامس في القطر، و دعى الى تسلم عمل عقب الاجازة الصيفية مباشرة، فكان عليه بناء على هذا أن يختار بين الوظيفة أو العودة الى العلم بدار العلوم، و فى النهاية فضل أن يستمر فى سلك التعليم و يدخل فى دار العلوم-

و شمر عن ساق الجد فى إعداد الاختبار ليدخل فى دار العلوم و صار من الناجحين و قدم الى القاهرة، و ما زال يستفيد من الأساتذة الكرام، و كان سعيدا أنه ظهر متقدما فى الامتحان منحه المدرسة المكافأة المادية، و هى جنيه فى الشهر، خصه لشراء الكتب غير المدرسية-

و كانت "جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية" يرأسها الأستاذ الشيخ محمود محمود، و تقوم هذه الجمعية بإلقاء المحاضرات الإسلامية فى مقرها بدار السادات ببركة الفيل أسبوعيا، و فكر الأستاذ البنا بما رأى من أمور تتنافى مع التعاليم الإسلامية، و أن المساجد لا تكفى وحدها فى إيصال التعاليم الإسلامية^(١٠) و دعا أصدقاءه و الطلاب الأزهرين و طلاب دارا العلوم للتدرب على الوعظ و الارشاد فى المساجد، ثم فى المقاهى و المجتمعات العامة اذا قاموا بالدعوة، فكانت النتيجة عجيبة، و استمع الناس فى إصغاء و شوق^(١١)-

و أثناء هذه المدة كان الشيخ البنا يلقي الأستاذ محب الدين الخطيب، و الأستاذ رشيد رضا، و الأستاذ فريد و جدى و أحمد تيمور باشا، و يفكر دائما مع الأساتذة و الأحبة أن تكون جمعية تبذل من مجهوداتها فى القضاء على موجة الإلحاد و الإباحية فى مصر،^(١٢) و اذا دخل فى السنة الأخيرة و قررت الموضوعات للإنشاء بمناسبة آخر العام الدراسى، و كان من الموضوعات هذا الموضوع "أشرح أعظم آمالك بعد إتمام دراستك، و بين الوسائل التى تعدها لتحقيقها" فكتب الأستاذ "كل ذلك اعتقده عقيدة تأصلت فى نفسى جذوتها و طالت فروعها، و حفرت أوراقها، و ما بقى إلا أن تثمر، فكان أعظم آمالى بعد إتمام حياتى الدراسية أملا ن :

خاص : وهو إسعاد أسرتي و قرابتي، و الوفاء لذلك الصديق المحبوب، ما استطعت إلى ذلك سبيلا، و الى أكبر حد تسمح به حالتي، و يقدرني الله عليه.

عام : و هو أن أكون مرشدا، اذا قضيت في تعليم الأبناء سحابة النهار، و معظم العام قضيت ليلي في تعليم الآباء دينهم، و منابع سعادتهم، و مسرات حياتهم، تارة بالخطابة و المحاوره، و أخرى بالتأليف و الكتابة، و ثالثة بالتجول و السياحة^(١٣)

جاء وقت الامتحان، فظهرت النتيجة، و حصل على الدبلوم في يونيو ١٩٢٨م، و كان مترددا متفكرا أن يحصل على الترشيح للبعثة الى الخارج أو يكون موظفا في المدارس، و لم يطل هذا التردد حتى أعلنت دارالعلوم أنها لم ترشح أحدا لهذا العام، و تم تعيينه في الاسماعيلية.

الشيخ حسن البنّا — داعيا و معلّما

سافر الأستاذ البنّا الى الاسماعيلية في وظيفة مدرس، و كان في ذلك الوقت من الحادية و العشرين من عمره،^(١٤) ولما استقر به المقام بالا سماعيلية أثر في نفسه ما رأى من الاستعمار العسكرى المتمثل في المعسكرات الانجليزية بالقتال، و الاستعمار الاقتصادى المتمثل في شركة قناة السويس، ثم ساءه أن يعرف أن المسلمين في البلاد منقسمون خلافاً دينية نتيجة لتعصب كل فريق لرأى خاص، فكان أن اعتزال جمهور المسجد، و عاد الى جمهور المقاهى مرة أخرى،^(١٥) و اختار لذلك ثلاث مقاه كبيرة، و لقي كثيرا من الناس و رتب في كل منها درسا في الأسبوع، و أخذ يزاول التدريس بانتظام في هذه الأماكن، و كان يتحرى الموضوع الذى يتحدث فيه جيدا حتى لا يتعرض لبعض النواحي الخلافية، كما كان في نفس الوقت يضرب مثلا لتسامح علماء المسلمين في الصدر الأول مع بعضهم مع اختلافهم الآراء. و كان أن عمل الوعظ عمله في نفوس المستمعين و بخاصة المرابطين منهم، فأخذوا يفيقون ويفكرون، ثم تدرجوا من ذلك الى سؤاله عما يجب أن يفعلوا بحق الله عليهم، و ليودوا واجبه دينهم وأمتهم.^(١٦)

وفى هذا الأثناء زار الأستاذ البنّا بالمنزل حضرات حافظ عبد الحميد الحصرى، فواد ابراهيم و عبد الرحمن حسب الله، و اسماعيل عز، و زكى مغربى- و جلس هؤلاء الستة يتحدثون اليه، و فى عيونهم بريق العزم، يسألونه عن الطريقة العملية لعزة الإسلام و يحملونه مسئولية العمل و القيادة و التوجيه، فتقبل هذه المسئولية بصدر منشرح، و كانت بيعة بينهم جميعا فى أن يعملوا للإسلام و المسلمين حيث أنهم اخوان مسلمون، و صار هذا الاقتراح اسم الحركة و الجمعية فيما بعد-

و قامت هذه الحركة بإرساء الحجر الأساسى للمركز و المسجد فى الخامس من شهر محرم الحرام ١٩٢٩ بالإسماعيلية و قامت لها فروع عديدة فى الاسكندرية، و جوانب القنال سوئز، بل انتشرت فيمايزيد على خمسين بلد من بلدان القطر المصرى، ففى الاسماعيلية أسست "مدرسة أمهات المومنين" لتعليم البنات و فى شبراخيت أسست مسجداً و نادياً و معهداً للبنين و دار الصناعة يتعلم فيها طلبة المعهد الدينى الذين لا يستطيعون إتمام التعليم، و فى المحمودية قامت بمثل ذلك، فأنشأ منسجاً للنسيج و السجاد الى جوار معهد تحفيظ القرآن الكريم، و قل مثل ذلك أو بعضه فى كل شعبة من شعب الإخوان المنتشرة فى أنحاء القطر من أدنو إلى الإسكندرية- (١٧)

لبث البنّا فى الاسماعيلية فى ١٩٢٨م الى سنة ١٩٣٣م ينشر دعوته وفق منهاج خاص و كان من استجاب الى دعوته من طبقة العمال و أعزه النجاح على توسيع نطاق البيئة فلم يترك قرية و لا بلدة و لا دسكرة و لا كفرا الا زاره و بات به و اجتمع بالناس فيه، فى مساجدهم و بيوتهم و دورهم- (١٨)

وبعد نحو خمس سنوات من تأسيس الدعوة بالاسماعيلية نقل البنّا درسا الى القاهرة، و كانت هناك جمعية الحضارة الإسلامية من قبل، و جمع عدد كبير من الشباب حولها و قرروا أن ينضموا الى هذه الحركة الجديدة بجميع أعوانهم-

و تفرعت للإخوان من فروع كثيرة، فاذا وصل الشيخ البنّا الى القاهرة زادت نشاطات الجمعية حيث استقال الشيخ من وظيفة التدريس، و توجه الى الحركة بأكمل الوجه-

زوجا و أبا

و كان الناس فى الإسماعيلية يحبون الشيخ جبا جما و يعتبرونه لهم وسيلة الهدوء و الطمأنينة و كان منهم الحاج حسين الصدلى من أشرف الإسماعيلية، فتعلق بالشيخ متأثرا بدعوته و خلقه، و بنصره و يؤيده فى أكثر الشئون، و يحب أولاد الصدلى بالشيخ من أعماق قلوبهم، فقام الشيخ الصدلى بتزويجه مع ابنته، و انعقدت هذه السعادة فى شهر رمضان المبارك ١٣٥١هـ، و صرحت الأيام أنها كانت من المومنات الصالحات و الطيبات، و رافقت مع الشيخ بلطف و إكرام، فأعطاه الله خمس بنات، و ابنا واحدا، و كانت هؤلاء البنات أسماء هنّ سنا، و وفا، و رجاء، و هاجرة و استشهاد، و آخر هنّ تولدت يوم استشهاد الشيخ حسن البنّا، و سميت الاستشهاد بهذه المناسبة و كان الولد اسمه أحمد سيف الإسلام المتخرج فى كلية الطب و كانت يشبه بوالده فى الصورة و السيرة، و ينال درجة أولى فى دراسته و لكنه حرم عليه جميع الوظائف الرسمية فى سلطة جمال عبدالناصر، و نال عقوبات ٢٥ سنة، و كان يصدق على أنه شبل من ذاك الأسد.

كاتباً و مؤلفاً

و فى الواقع كان الشيخ البنّا داعياً و مصلحاً و لم ينهج على المنهج الذى سار العلامة محمد رشيد رضا وغيرهم من المصلحين، بل كان يريد أن يكون حركة فى الشباب تكون حياتهم و مبادئهم للإسلام و المسلمين، و يقومون من مثل عليا للدين، فلذلك بذل الشيخ من مجهوداته فى سبيل التعليم و التربية، و وقف حياته لمن يعتنق بحركته فى تحسين خلقهم و تجميل سيرتهم، فأكثر ما يقول و يردد هذه الجملة "أصنف الرجال، فلم يترك من مآثر علمية إلا المذكرات و الرسائل، فيناسب أن يذكر جميع الرسائل و يلقي الضوء على أهم نكاته كى يكون السهل من فهم الجمعية و أسلوب الشيخ الرشيق و عبارته الأدبية.

هذه الرسائل صدرت للإشارة الى أعمال الإخوان الاجتماعية، و لشرح الأهداف، و لتوجيه

الحكومات الى الأخذ بتعاليم الإسلام-

كان أول هذه الرسائل طبعاً " القانون الأساسى للإخوان المسلمين " واللائحة الداخلية، ثم صدرت رسالة المرشد و ظهر منها عددان فقط، وكانت الرسالة الأولى بتاريخ ٢٠ شعبان ١٣٥١ تقريباً الموافق ١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٣، والثانية بتاريخ ٥ رمضان سنة ١٣٤٩هـ، وقد جاء فى صدرها هذا التوجيه من مبادئ الإخوان المسلمين :

١- سلامة الاعتقاد و الاجتهاد فى طاعة الله تبارك وتعالى وفق الكتاب و السنة

٢- الحب فى الله و الاعتصام بالوحدة الإسلامية

٣- التأدب بآداب الإسلام الحنيف

٤- تربية النفس و الترقى بها الى معرفة الله و إثارة الآخرة على الدنيا

٥- الثبات على المبدأ و الوفاء بالعهد مع اعتقاد أن أقدس المبادئ هو الدين

٦- الاجتهاد فى نشر الدعوة الإسلامية بين طبقات الأمة ابتغاء وجه الله

(١٩)

٧- حب الحق و الخير أكثر من أى شئ فى الوجود-

رسالة الجهاد

هذه رسالة وجيزة حول موضوع الجهاد، فأثبت الشيخ البنّا بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية أن الجهاد فريضة على كل مسلم فريضة لازمة حازمة، وكتب بعد ذكر الآيات "ما رجع إليها فى المصحف الكريم لترى كيف يحض الله المسلمين على الحذر و ممارسة القتال فى الجيوش أو عصابات أو فرادى كما يقتضيه الحال، و كيف يوبخ القاعدين و الجبناء و المخلفين و النفعين، و كيف يشير إليهم لحماية الضعفاء و تخليص المظلومين، و كيف يقرن القتال بالصلاة و الصوم، و بين أنه مثلهما

من أركان الإسلام، وكيف يفند شبهات المتردين و يشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعارك ومقابلة الموت بصدر رحب و جنان جرى، مبنيا لهم أن الموت سيدركهم لامحالة، وأنهم إن ماتوا مجاهدين، فسيعوضون عن الحياة أعظم العوض ولا يظلمون فتىلا من نفقة أو تضحية- (٢٠)

و ذكر الشيخ البنّا من إحدى و ثلاثين حديثا في فضل الجهاد، ثم بين حكم الجهاد عند فقهاء الأمة، ثم ذكر لماذا يقاتل المسلم؟ و قال "أن الجهاد الإسلامي هو رحمة" (٢١) و ذم كل ما يلحق بالجهاد في بحث الأصغر و الأكبر و أثبت أنه كلام إبراهيم بن عليه و ليس من كلام النبي صلوات الله عليه و الرحمة (٢٢) و قد كتب الأستاذ خليل الحامدي في ترجمة المذكرات الى اللغة الاردية "أن الشيخ البنّا كتب هذه الرسالة اذ كان الإخوان المسلمون يجاهدون في سبيل الله ضد اليهود في أرض فلسطين، و لم تكن هذه رسالة علمية فكرية بل كانت منارة الهداية و الاستشارة للشباب المسلمين- (٢٣)

رسالة الشباب

هذه رسالة خاطب فيها الإمام شباب الإسلام و قال فيه "و من هنا كثرت واجباتكم و من هنا عظمت تبعاتكم، و من هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم، و من هنا ثقلت الأمانة في أعناقكم، و من هنا وجب عليكم أن تفكروا طويلا و أن تعملوا كثيرا و أن تحددوا موقفكم و أن تتقدموا للانقاذ و أن لقطوا ألاحقها كاملا من هذا الشباب" (٢٤)

ودعاهم الى الايمان بالنفس و العلم بالمنزلة كما يقول "فأول ما يدعوكم اليه أن تومنوا بانفسكم، و أن تعلموا منزلتكم، و أن تعتقدوا أنكم سادة الدنيا، و ان أراد لكم خصومكم الذلة، و أساتذة العالمين، و ان ظهر عليكم غيركم بظاهر من الحياة الدنيا و العاقبة للمتقين-

فجددوا أيها الشباب ايمانكم و حددو غايتكم و أهدافكم و أول القوة الايمان، و نتيجة هذا الايمان الوحدة، و عاقبة الوحدة النصر الموزر المبين، فآمنوا و اعملوا و ترقبوا بعد ذلك النصر و بشر المؤمنين-

ثم ذكر ارادته أولا الفرد المسلم،^(٢٥) ثم البيت المسلم،^(٢٦) ثم الشعب المسلم^(٢٧) ثم الحكومة المسلمة، و ذم الأقوال الواردة أن الإخوان المسلمين هم دراويش^(٢٨) و رجال اهمال و دعاة كسل^(٢٩) و يتبرمون بالوطن و الوطنية^(٣٠) و يعملون لحساب هيئة^(٣١).

و أخيرا قال للشباب ”على هذه القواعد الثابتة و الى هذه التعاليم السامية ندعوكم جميعا، فان آمنتم لفكرتنا و اتبعتم خطواتنا و سلكتم هنا سبيل الإسلام الحنيف و تجردتم من كل فكرة سوى ذلك و وقفتم لعقيدتكم كل جهودكم، فهو الخير لكم فى الدنيا و الآخرة و سيحقق الله بكم إن شاء الله ما حقق بأسلافكم فى العصر الأول و سيجد كل عامل صادق منكم فى ميدان الأكوان ما يرضى همته و يستغرق مدى نشاطه اذا كان من الصادقين^(٣٢).

الرسائل الثلاث

دعوتنا : هذه رسالة حدّث فيها الإمام الشهيد عن الأصول التى تقوم عليها الدعوة و هى التوحيد و حب الناس، و قام بتقسيم أصناف الناس الى مومن أو متردد، نفعى أو متحامل،^(٣٣) و قال إن هذه الدعوة اسلامية و عالمية،^(٣٤) لأن الإسلام نظام شامل ينتظم شئون الحياة جميعا، لا كما فهم بعض الناس خطأ أن الإسلام مقصور على بعض العبادات، و أن وطنية المسلم هى وطنية العقيدة لا التحوم الأرضية أو الحدود الجغرافية و اعتبر قومية العربية و الفرعونية و الفينيقية قومية العدوان و قومية الجاهلية، و أعرض عن الخلافات الدينية، فهو يقول ”ان الخلاف فى فروع الدين أمر لا بد منه، و الاجتماع على أمر فرعى متعذر ولكن لا يكون هذا الخلاف حائلا دون ارتباط القلوب و تبادل الحب^(٣٥).

و قال أيضا ”ان الأمة الإسلامية مصابة من الناحية السياسية بالاستعمار من جانب أعداءها، و مصابة بالحزبية و بالخصومة و الفرقة و الشتات من جانب أبناءها و انتشر فيها الربوا و ساد عليها المروق و الالحاد و اليأس و الجبن و الاباحية و التحلل من عقدة الفضائل الانسانية“، ثم يعرض علاج هذه الأمة و أمراضها فقال ”أما الوسيلة التى و عدتلك الكلام عليها فهى أركان ثلاثة تدور عليها فكرة الإخوان :

أولاً :- المنهاج الصحيح و قد وجد الإخوان المسلمون، وأحكام الإسلام.

ثانياً :- العاملون المومنون و لهذا أخذ الإخوان أنفسهم بتطبيق ما فهموه من دين الله على أنفسهم وأسرهم.

ثالثاً :- القيادة الحازمة و الموثوق بها. و قد وجدها الإخوان المسلمون كذلك فهم لها مطيعون و تحت لواءها يعلمون“ (٣٦)

إلى أى شئى ندعو الناس: هذه رسالة مفصلة بما كانت مجملة فى رسالة مذكورة، فأولا ذكر من غاية الحياة فى القرآن الكريم، و بين أن قوما همهم من الحياة الأكل و المتعة و بعضهم يوقدون الفتن، و يحيون الشرور و المفاسد، و هذه هى المقاصد نزه الله المومنين عنها و برأهم منها و غايتهم هى أسمى و أعلى من تلك الغايات ”يا أيها الذين آمنوا اركعوا و اسجدوا و اعبدوا ربكم و افعلوا الخير لعلكم تفلحون، و جاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم فى الدين من حرج، ملة أبيكم إبراهيم و سماكم المسلمين من قبل و فى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم و تكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى و نعم النصير“ (٣٧)

و بين معنى وصاية المسلم تضحية لا استفادة و أعلن عن السياسة ”القرآن فى يميننا و السنة فى شمالنا و عمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة الصالحة قدوتنا و ندعوكم الى الإسلام و تعاليم الإسلام و أحكام الإسلام و هدى الإسلام، فهذه سياستنا.“ (٣٨)

ثم يعرض معنى الجهاد و الربط فيه بين الصوم و الصلاة و بين سائر التكاليف الاجتماعية كالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فلا انفصال بين القوة و صحة العبودية ثم فصل طريقة البدء قائلا أن تبدأ الدعوة بالايمان بالمبدأ و الارادة القوية و الوفاء الثابت و التضحية العزيزة و طالب بتغير القانون و جعله مستمدا من الشريعة الإسلامية و إصلاح كل مظاهر الاجتماع و إصلاح التعليم و الانتفاء باخاء المسلمين، ثم ذكر الفتوحات الإسلامية و ما نتجت من الأخوة و المودة و ما كانت فوارق بين فاتح غالب

و مهزوم منتصر و أثمرت الأخوة "أن كل مسلم يعتقد أن كل شبر من الأرض فيه أخ يدين بدين القرآن الكريم قطعة من الأرض الإسلامية العامة التي يفرض الإسلام على كل أبناءه أن يعملوا حمايتها وإسعادها، فكان عن ذلك أن اتسع أفق الوطن الإسلامى وسماعن حدود الوطنية لجغرافية و الوطنية الدموية الى وطنية المبادئ السامية و العقائد الخالصة الصحيحة و الحقائق التي جعلها الله للعالم هدى و نورا"-(٣٩)

نحو النور: هذه الرسالة مما رسة عملية للدعوة، عرضها مفصلا و مجملا فى رسالة "الى أى شئ ندعو الناس" و دعوتنا "هذه الرسالة أرسلها المرشد العام الى أصحاب السلطان بكل آفاق المعرفة و بكل الصدق و بكل الوفاء، لعل الله أن يبدل حال الأمة فيشيع فيها الخير بثبوت دعائم الإسلام-

و بين الإمام الشهيد فى هذه الرسالة الإسلام و طريقه و أصوله و قواعده و حضارته و مناهجه و قال "وعقيدتنا أن الطريق الأول طريق الإسلام و قواعده و أصوله هو الطريق الوحيد الذى يجب أن يسلك و أن توجه اليه الأمة الحاضرة و المستقبل"-(٤٠)

ثم ذكر مزايا التوجيه الإسلامى و المدنية الغربية الآن، و قال ان الإسلام كفيل بامداد الأمة الناهضة بما تحتاج اليه، فالأمة تحتاج الى الأمل الواسع الفسيح و الى الاعتزاز بقوميتها كأمة فاضلة مجيدة لها و الى القوة و طبع أبناءها بطابع الجندية، و كذلك الأمة فى أمس حاجة الى الصحة العامة و العلم و الفن و الخلق الفاضل الكريم و الاقتصاد-

و اذ تزيت الأمة بهذه الأوصاف المذكورة فتكون كلمتها هى العليا- و قال ايضا "ان الإسلام يحمى الأقليات و يصون حقوق الأجانب و لا يفكر صفو العلائق بيننا و بين الغرب، و قرر الإسلام الذى يصنع هذه القواعد و يسلك باتباعه هذه الأساليب يجب أن يعتبره الغربيون ضمانا أخرى تضمن لهم الوفاء بمعاهداتهم و أداء التزامات العدل الإسلامية لهم"-(٤١)

و أخيرا اقترح من خمسين خطوة للإصلاح العملى و تتعلق عشرتها بالناحية السياسية و القضائية

والادارية والعشرين منها تتعلقها بالناحية الاجتماعية وعشرتها تواجه الناحية الاقتصادية.

بين الأمس واليوم

هذه رسالة أولى للإمام الشهيد البنا، قدم فيها من تطورات الفكرة الإسلامية وأهدافها، وقد وضعت في فجر الفكرة قبيل نشوب الحرب العظمى الثانية، وتداولها منذ ذلك الحين، وفيها عرض طيب لمبادئ الإسلام ووسائل الإصلاح التي رسمها ودعا إلى الأخذ بها، ونبذة عن الدولة الإسلامية مطلع نهضتها يوم اتخذت القرآن دستوراً، والرسول صلى الله عليه وسلم قدوة، وزعيماً. كما أن فيها تحليلاً دقيقاً للعوامل التي أفسدت على المسلمين نهضتهم وبدلت حالتهم.

وأخيراً في الرسالة كلمات توجيهية سديدة "أيها الإخوان: أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزباً سياسياً ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد يسرى في قلب هذه الأمة، فيحييه بالقرآن ونور جديديشرق فيبدد نظام المادة بمعرفة الله، وصوت واو يعلو مرداء دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ندعو إلى الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. والحكومة جزأ منه والحرية فريضة من فرائضه، ونحن دعاة حق و سلام، نعتقده ونعتز به، فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين و قولوا "آمن بالله وحده وكفرنا بما كنتم به مشركين" فإن لجوا في عدوا نهم فقولوا "سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين" (٤٢)

رسالة المؤتمر الخامس

هذه رسالة الخطاب ألقاه الإمام البنا في المؤتمر الدوري الخامس، استعرض فيها برامج الإخوان المسلمين، ومراجع فهرس أعمالهم وكان الخطاب يحمل ثلاثة عناوين كما يلي :

غاية الإخوان وخصائص دعوتهم: قال الإمام البنا: اننى طالعت و جربت كثيرا و خالطت

أوساطا كثيرة، فمزجت من هذه السياحة القصيرة المدى الطويل المراحل بعقيدة ثابتة لاتتزلزل هي أن "السعادة التي ينشدها الناس جميعا انما تفيض عليهم من نفوسهم وقلوبهم، ولا تاتيهم من خارج هذه القلوب أبدا، وأن الشقاء الذى يحيط بهم و يهربون منه، إنما يصبهم بهذه النفوس و القلوب كذلك-(٤٣)

و قرر أن الغاية الوحيدة للإخوان "هى إرشاد الناس الى الإسلام حقيقة و عملا"،(٤٤)

ثم شرح الدعوة الإسلامية و مصادرها بالبسط و التفصيل، وذكر خصائص دعوة الإخوان: البعد عن مواطن الخلاف و البعد عن هيمنة الأعيان و الكبراء و البعد عن الأحزاب و الهيئات و العناية بالتركيب و التدرج فى الخطوات و إظهار الناحية العلمية الإنتاجية على الدعاية و الإعلانات و شدة الإقبال من الشباب و سرعة الانتشار فى القرى و البلاد-(٤٥)

و كذلك بين وسائل الإخوان و خطوات مناهجهم و موقف الإخوان من الهيئات المختلفة كى يستفيد بها العامة و لا تظن بهم الظنون و تكون صورتهم واضحة جلية-

مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى

ذكر الإمام البنّا فى هذه الرسالة من فساد تغلغل فى كل المرافق و شمل كل مظاهر الحياة و تحطمت روح الشعب المعنوية و تملكت الشقاق و الخلاف نفوس القادة و الزعماء، والقانون قد ضعف، و الجهاز الإدارى قد فسد، و الغلاء قد اشتدت، و التعطل قد كثر، و شاع الجهل و الفقر و الحاجة و الفاقة و انتشرت الرزائل-

ففى فلسطين تفعل الصهيونية كل ما تشاء و الباكستان تقاسى من العدوان المسلح الوثنى و اندونيسيا تضغط عليها هولندا، و تريد أن تحول بين الشعب المسلم الباسل و بين ما هو حق طبيعى له من حرية و استقلال، و كذلك كل شعب عربى اسلامى و لا يوجد أحد منها قد سلم من مناورات الغضب و

دسائس الاستعمار-

ثم ذكر الحالة الاجتماعية أن اختفت المثل العليا تمام الاختفاء، وغابت الأهداف الجميلة، وقضت على العدالة الاجتماعية، وتضاعفت القنابل الذرية، والغازات الخانقة والأسلحة المهلكة، وذكر من واجبات الأمة الإسلامية قائلا "وإن من واجبنا وفي يدنا شعلة النور و قارورة الدواء، أن نتقدم لنصلح أنفسنا، و ندعوغيرنا، فإن نجحنا فذلك و إلا فحسبنا أن نكون قد بلغنا الرسالة، و أدينا الأمانة، و أردنا الخير للناس، و لا يصح أبدا أن نحتقر أنفسنا، فحسب الذين يحملون الرسالات، و يقومون بالدعوات من عوامل النجاح أن يكونوا بها مومنين، و لها مخلصين، و في سبيلها مجاهدين، و أن يكون الزمن ينتظرها والعالم يترقبها فهل من محيب؟؟" (٤٦)

ثم ذكر الألوان المختلفة السياسة و الثقافية و أخيرا أعلن "أننا لسنا في الحقيقة مخيرين و لسنا أحرارا في الاختيار، فاننا آمنّا بها الإسلام الحنيف دنيا و دولة، و اعتبرنا مصر دولة اسلامية بل هي زعيمة دول الإسلام- (٤٧)

و عرض من اعتراضات أقيمت بالغرب و من يحالفونها من الرجال و البلاد أننا لسنا نتطور إلابتقليد الغرب و البعد عن الدين و قضى على جميع الأصوات و النعوت قائلا "فيا رئيس الحكومة ... ويا رجال الأزهر الشريف، ويا أعضاء الجماعات و الأحزاب و يا ذوى الغيرة على هذا الوطن، ويا أبناء ه جميعا اليكم أوجه القول : عودوا الى الإسلام تقتموا و تسلموا" (٤٨)

و ذكر المشكلات الداخلية و حلها في ضوء النظام الإسلامى و بحث النظام الاقتصادى و ذكر من خيرات مصر الطبيعية و الثروات المختلفة و الاستغلال الأجنبى و ثراء فاحش، و فقر موقع و تحبط اقتصادى، ثم يبين قواعد النظام الاقتصادى فى الإسلام و حدد تحرم الكسب الخبيث كالربوا و القمار واليانصيب-

و فصل استغلال الفقد و تمصير الشركات و التحول الى الصناعة و شجع الصناعات المنزلية

وأخيراً كتب ملخصاً "أن الأمر جدّ لا هزل فيه، وقد بلغ غايته، ووصل إلى مداه، ولا في علاج حاسم، ومن نجده كما قلت إلا مخاطب الحنيف وعلاجه.

فيارئيس الحكومة، وياروساء الهيئات والجماعات ويا من يعينهم أمر الطمانينة والسلام في هذا الوطن، تداركوا الأمر بحزم وعودوا إلى نظام الإسلام. ألا قد بلغت اللهم فاشهد" (٤٩)

الماثورات

هذه رسالة الأدعية الماثورة ألفها الإمام حسن البنا الشهيد، وقد قام عليها الأستاذ رضوان محمد رضوان بالتحقيق وتوضيح الغائط من الألفاظ، وعنى بمقابلة الأحاديث على أصول من الجوامع والسنن، وأصلح ما رأى فيها من غلط أو تحريف وتصحيف" (٥٠)

فكتب الأستاذ البنا أن الإسلام جاء لإصلاح نفوس البشر وتركيتها والعلو بها إلى منتهى الكمال الممكن لها، فأثرت على النبي صلى الله عليه وسلم من الكلمات الرائعة اللطيفة من الذكر والدعاء والشكر والتسبيح والتمحيد في كل الأحوال صغيرها وكبيرها وعظيمها وقصيرها ليبلغ بها المسلم إلى المثل الأعلى، فينبغي للإخوان المسلمين أن يتسنى بسنة نبيهم ويقتدوا به، فيحفظوا هذه الأذكار ويتقربوا بها إلى الله. (٥١)

وذكر فضل الذكر والذاكرين من الكتاب والسنة وذكر من آداب الذكر واستجاب الاجتماع على الذكر، ثم قسم الأدعية إلى أقسام: الأول، فهي الوظيفة والوظيفة الصغرى، وذكر فيها الآيات القرآنية والأدعية الماثورة. والثاني، الورد القرآني ذكر فيه فضل القرآن، مقدار الورد وآداب التلاوة وغيرها. والثالث، ذكر فيه من أدعية اليوم والليلة. والقسم الرابع، ذكر فيه الأدعية لحالات مختلفة.

وهذه الرسالة تحمل أخيراً "ورد الرابطة". هذا هو ورد طويل ألفه الأستاذ البنا بنفسه يتلو أعضاء الإخوان قبل صلاة المغرب مجتمعين ويجددون بهذا الورد العهد الذي وثقوا بالله والإسلام وهذه الجمعة. (٥٢)

المناجاة

هذه رسالة قدمها الإمام البنّا الى الإخوان المسلمين و بين فيها من فضل القيام و الدعاء والاستغفار وما ينحو هذا المنحى و فى بعضها أدعية ماثورة مختارة-

فذكر أولا من فضل القيام فى الليل و قال ”لعل أطيب أوقات المناجاة أن تخلو بربك و الناس نيام، و قد سكن الكون كله، و أرخى الليل سدوله، و غابت نجومه، فتستحضر قلبك، و تتذكر ربك، و تتمثل ضعفك و عظمة مولاك، فتأنس بحضرتة، و يطمئن قلبك بذكره، و تفرح بفضله و رحمته، و تشعر بمراقبته و تلح فى الدعاء و تجتهد فى الاستغفار، و تقتضى بحوائجك بمن لا يعجزه شئ و لا يشغله شئ عن شئى، انما أمره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون“ (٥٣)

و أثبت هذا الفضل من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، و من الماثورات عن السلف رضوان الله فى ذلك، ثم ذكر فضل الدعاء و الاستغفار و آدابها، فأورد الآيات و الأحاديث و بين الأوقات التى ترجى فيها إجابة الدعاء مع ذكر نماذج من الدعوات من القرآن الكريم، ثم قال أن يحمد العبد ربه و يشئى عليه، و يصلى على الرسول صلى الله عليه و سلم عليه، و ذكر أيضا من دعاء رسول الله فى التهجد، و من مناجاة على رضى الله عنه، ثم ذكر من مناجاة ابن عطاء الله السكندرى، و دعوات السيد أحمد الرفاعى، و من دعوات أبى الحسن الشاذلى، و من دعوات الإمام الشافعى و نماذج من منشور الدعاء، و أخيرا قال ”أيها الأخ: استعن ربك و احضر قلبك و ارفع إلى الله حاجتك و أختتم بالصلاة و السلام على النبى و آله و اجعل آخر كلامك لتكتال بالمكيال الأوفى- سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين-(٥٤)

العقائد

هذه الرسالة نشرت فصولا طريقة شائعة فى العقائد الإسلامية فى ”جريدة الإخوان المسلمين“ و

قصدبها إلى أمرين رئيسين- أولهما : الاعتماد على طريقة القرآن الكريم و الرسول صلى الله عليه وسلم في توصيل العقائد الدينية إلى النفوس واستيلائها على المشاعر و القلوب بدون تعمق في الألفاظ، أو تشعب في البحوث أو إيرادللآراء والمذاهب، أو الخوض في مصطلحات الفلاسفة و المناطقة و الكلاميين، والجدليين- و ثانيهما : العناية بتبيان آثار هذه العقائد في النفوس، ليعلم القارى اين نفسه من درجة استيلاء العقيدة الإسلامية عليها، فإن كانت متأثرة بها حمد الله على نعمته، وإن كانت هذه الآثار ضعيفة في نفسه، عمل على علاجها و تقوية إيمانها- (٥٥)

ذكر الإمام البنّا أولاً من تعريف العقائد و ما يلحق بها، ثم قسمها إلى أربعة أقسام : القسم الأول : الإلهيات و تبحث فيما يتعلق بالله سبحانه و تعالى من حيث صفاته و أسماء ه، و أفعاله و يلحق بها ما يستلزمه اعتقادها من العبد لمولاه- و الثانى : النبوات و تبحث فى كل ما يتعلق بالأنبياء و صلوات الله و سلامه عليهم من حيث صفاتهم و عصمتهم و مهمتهم و إلى الحاجة إلى رسالتهم، و الثالث : الروحانيات : و تبحث فيما يتعلق بالحياة البرزخية و الحياة الأخروية كأحوال القيامة و علامات القيامة، و البعث و الموقف، و الحساب و الجزاء- (٥٦)

و لكن الإمام كتب حول القسم الأول فقط و لم يحرز ما بعدها من الأقسام المذكورة و هذا قدرة الله و من يقدر على رد قضاء ه-

فقد ذكر من أسماء الله الحسنى و جميع أسماء ه، وجوده و قدرته و صفاته مع إيراد الدلائل من القرآن الكريم و الأحاديث الشريف و من كلام العلماء المتكلمين و العلماء غير إسلاميين كينوق، وهرشل ولبنية وهربرت سينسر-

و أخيراً ذكرت عن آراء السلف كالإمام محمد بن حسن و الإمام أحمد و الإمام مالك، ثم أورد آراء الخلاف مثلاً ابن الجوزى، و الرازى و الغزالى و غيرهم، ثم قام بموازنة بين السلف و الخلف و رجح

مذهب السلف على الخلف-

وهذه الرسالة قد عنى الأستاذ رضوان محمد بالتعليق عليها و تحقيق أصولها-

خطب حسن البنّا : قام الإمام البنّا بإلقاء الخطب و الدروس أكثر من الأوقات ، فجمعت هذه الخطب و نشرت فى صورة الرسائل-

مقالات البنّا

هذه مقالات الإمام فى رسائل الإخوان المسلمين و جرائدها، يهدى بها الإخوان و الأعضاء إلى طرق عديدة و مناهج مختلفة، فصارت هذه المقالات من شذرات الذهب استفاد الإخوان خاصة و ما زال يستفيد الناس عامة-

الإخوان المسلمين تحت رؤية القرآن

هذه خطبة ألقاها الإمام حسن البنّا أمام جمع حاشد للشباب فى دار الإخوان فى ١٤ ابريل ١٩٣٩م فى القاهرة، ذكر فيها من أهداف هذه الجمعية و فرائض الشباب و دعاهم إلى أن يقوموا للقضاء على كل أمر جاء به الغرب و يفسد المجتمع المصرى و المسلمين فى العالم كما هو يقول "فهى من مهمتنا أن نقف فى وجه هذه الموجه الطاغية من مدنية المادة و حضارة المتع و الشهوات، التى حرقت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة النبى صلى الله عليه وسلم و هداية القرآن، و حرمت العالم من أنوار هديها، و أخرت تقدمه مئات السنين، حتى تنحسر عن أرضنا و يبرأ من بلاء ها قومنا، و لسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها فى أرضها، و سنغزوها فى عقر دارها، حتى يهتف العالم كله باسم النبى صلى الله عليه وسلم، و توقف الدنيا بتعليم القرآن، و ينتشر ظلّ الإسلام الوارف على الأرض و حينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده، فلا تكون فتنة و يكون الدين كله لله" ولله الأمر من قبل من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون

بنصر الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم -(٥٧)

و جعل العدة لتحقيق هذا المنهاج "أن عدتنا هي عدة سلفنا من قبل ، و السلاح الذى غزا بها زعيمنا و قدوتنا محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحابته مع العالم، مع قلة العدد و المورد وعظيم الجهد، و السلاح الذى سنحمله لنغزوه العالم من جديد" - (٥٨)

مذكرات الدعوة والداعية

عندما يلقى النظر العميق على كتب ألفت و وضعت فى سير ذاتية لأصحاب الفكر و الدعوة و الأدباء و المشققين فيتجلى أن هذا الكتاب يختلف عن الكتب الأخرى، فهذا يختلف عن حياتى للدكتور أحمد أمين و أنا للأديب البارع الأستاذ محمود عباس العقاد، و الأيام للكاتب المصقاع و وزير المعارف الأسبق لمصر الدكتور طه حسين و المذكرات للعلامة محمد كرد على و المذكرات السياسية للدكتور محمد حسين هيكل-

فهذا الكتاب ليس بسيرة ذاتية لمؤلف و داعية، يرى القارى فيه التجارب الذاتية و الانطباعات النفسية، بل يرى فيه تاريخ رجل و تاريخ مدرسته، و يجد فيه تاريخ جمعية الإخوان المسلمين كاملا و لا يحتاج إلى مزيد من التفاصيل حول هذه الجمعية آنذاك، و وقف المؤلف قلمه على المجتمع و الأفراد الذين كانوا يعملون الخير و الصلاح و يدعون إلى البرّ و المعروف و الطبقة الحاكمة على بلاد مصر، و الأحداث التى كانت تجرى فى البلاد المتجاورة و القضايا الإسلامية، و يقدم المؤلف كل شئ فيه بالإبانة و التفصيل-

و اذا قرأ سماحة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى هذه المذكرات فقال "فهو ليس ككل كتاب ، و مؤلفه ليس كالمؤلفين، و موضوعه ليس كالموضوعات التى يعالجها الكتاب و يتناولها المؤلفون و المحترفون فى كل حين و فى كل مكان، و يتهيب رجل مثلى فى قلة بضاعته فى العلم والعمل و فى تخلفه فى ميدان الإصلاح و الكفاح و فى مجال التربية و الإخراج، و فى حلبة التضحية و المحنة، أن يتقدم للكتابة و التعليق على هذا الكتاب و مؤلفه العظيم" - (٥٩)

لأن هذا المؤلف يدعو إلى حياة كريمة فاضلة، وإلى مدنية سليمة صالحة، وإلى مجتمع رشيد عادل، وإلى إيمان عميق جديد، وإلى إسلام قوى حاكم، ويرفع بكل ذلك صوتاً مدوياً عالياً، يضطرب به الركب وتهتز به مشاعره وعواطفه وقيمه ومفاهيمه ولا يستطيع أن يتغافل عنه أو يتجاهله أو يستخف به ويستمر في سيره غير مقبل عليه أو ملتفت إليه، بل يخضع له عدد كبير من أعضائه فينشقون عنه ويلتحقون بهذا الداعية، فيجعل منهم ركباً جديداً يثق بنصر الله ويسير على بركة الله.

وأن كل من يقرأ هذا الكتاب سليم الصدر، مجرد الفكرة، بعيداً عن العصبية والمكابرة، يقتنع بأنه رجل موهوب مهيب، وليس من سوانح الرجال ولا صنعة بثية أو مدرسة ولا صنعة تاريخ أو تقليد، ولا صنعة اجتهاد ومحاولة وتكلف ولا صنعة تجربة وممارسة، إنما هو من صنائع التوفيق والحكمة الإلهية العناية بهذا الدين وبهذه الأمة والفرس الكريم الذي يهياً لأمر عظيم ولعمل عظيم في زمن تشتد إليه حاجته وفي بنية تعظم فيها قيمته“ (٦٠)

وأخيراً كتب العلامة الندوى من عصارة دراسته القيمة وانفعاله العميق ”ألفيته كتاباً أساسياً، مفتاحاً رئيسياً لفهم دعوته وشخصيته، وفيه يجد القارى منابع قوته ومصادر عظيمته وأسباب نجاحه واستحواذه على النفوس وهى سلامة الفطرة، وصفاء النفس وإشراق الروح، والغيرة على الدين، والتحرق للإسلام، والتوجع من استئراء الفساد، والاتصال الوثيق بالله تعالى، والحرص على العبادة، والخلو فى الأسفار، والاتصال المباشر بالشعب وعامة الناس فى مواضع اجتماعهم ومراكز شغلهم وهداياتهم والتدرج ومراعاة الحكمة فى الدعوة والنشاط الدائم والعمل الدائب“ (٦١)

حسن البنا الشاعر

قد وردت للشيخ البناء من أشعار لا تكفى للدلالة على أنه كان شاعرا كبيرا، لأنه ذكر مرة في مذكراته حول حادثة، وهى وفاة فريدبك، فيذكر الشيخ العنوان "ذكريات وشعر" "ولازلت أذكر يوم دخل علينا أستاذنا الشيخ محمد خلف نوح والدموع تترقق على عينيه فسألناه الخبر فقال: مات اليوم "فريدبك" وأخذ يحدثنا عن سيرته، وكفاحه وجهاده فى سبيل الوطن حتى أبكانا جميعا، وأوحت إلى هذه الذكرى بيضعة أبيات، أحفظ مطلعها وشرطها آخرها -

أفريدنم بالأمن والإيمان... أفريد لاتحزع على الأوطان

أفريد تفديك البلاد بأسرها

ولازالت أذكر أحاديث الناس حوله لجنة ملز وإجماع الأمة على مقاطعتها، وكيف كان هذا الشعور فياضاً غامراً حتى إنه يدفع تلميذا فى الثالثة عشرة إلى أن يقول -

يا ملز ارجع ثم سل وفد بباريس أقام

وارجع لقومك قل لهم لاتخدعوهم بالثام

فى قصيدة طويلة لا أذكر منها إلا هذه الأبيات -

ولقد جمعت من هذه البواكير الوطنية الفجة ديوانا كبيرا، كان نصيبه الحرق الكامل بعد

ذلك فى فترة القصف التى لازمت عهد مدرسة المعلمين" (٦٢)

كما ذكر الشيخ أنه جمع ديوانا كبيرا من أشعاره ولكنه أصاب به الحرق وضاع

وصارت من خسارة عظيمة للشعر والأدب، لو كان موجودا، فيوضح مكانة الشيخ البناء فى

ميدان الشعر، ويصعب على باحث أن يعرض ويبحث الشاعر بغير أشعاره -

الشيخ النبأ فى ضوء أسلوبه وعبارته:

بعد دراسة عميقة هذه الرسائل والخطب والمذكرات يتجلى لنا أن الإمام كان يقدر على مقدرة بيانية فائقة متحدثا وكاتباً وخطيباً، وقد أشار إلى هذه الموهبة البيانية الأستاذ أحمد أنور الجندى "إنه كما تب من أبرع الكتاب ومن أقواهم قدرة على تصوير ما بنفسه ، ولامن أبلغهم عبارة ، وفى أشدهم تأثيراً فى النفوس بالألفاظ الكريمة والمعانى المركزة ، يتكلم فيفهمه الكبير والصغير ، العال الثقافة والأمرى والجاهل وفى صوته عمق ، وللسان سحر ، وإذا تكلم يلاعب بالألأباب وقد أمدده الأدب العربى على شتى أصوله بفيض هائل من الآيات والأحاديث وأمجاد الجهاد الإسلامى يطلقها من فمه فى أنسب وقت وأنسب مكان فيكون ، فعل لقذائف فى معارضيه وقد رالمؤلف عدد الخطب التى ألقاها فى سبعة عشر عاما بما لا يقل عن ثلاثين ألف خطبة" وعدد الجلسات التى عقدها بمثل ذلك أيضاً

وقال أحمد أنس الحجاجى فى كتاب "روح وريحان" أنه كاتب مجيد لا يشق له غبار بلغ من جزالة لفظه وتسلسل فكرته وعذوبة أسلوبه وسهولة مأخذه مستوى كبار الكتاب البارزين وأعلام رجال الأدب وحملة القلم ، يكتب المذكرات والمقالات والنشرات والرسائل لا يعجز موضوع عن التناول يعالج المسائل الاجتماعيه والثقافيه والفقهيه والقانونية والتشريعية ، كما يتناول مسائل الدين من ناحيتها الفقهية الخالصة ، شأنه فى الخطابة حين يتناول أى موضوع فى أية ناحية من النواحي بالشرح أو التعليق فى غير اقتصار على ناحية فى النواحي فعبقريته هيأته لكل الثقافات ، واعترف به التاريخ خطيباً ممتازاً بارعاً ، وأقول بأنه كاتب ممتاز موهوب..

وهو فى فصاحته ونصاعة حجته وبلاغة قوله وحسن اختيار لفظه ، خطيب ممتاز لا يزاحمه مزاحم ولا يرتفع بحواره صوت ولا يباريه فى ميدانه أحد من رجال عصره ، يمتلك

ألباب سامعية ويهز مشاعرهم، وله طابعه الخاص وسمته الثابت ووسائله المبتكرة واتجاهاته المستقلة ولا يقلد أو يجارى أحدا من السابقين واللاحقين، يسنده في هذا علمه الغزير وقدرته الفائقة على جمع شتات أطراف أى موضوع مهما كان متشعبا، يجمعه جمعا ينديه من ذهن السامع ويقر به إليه بلاقتضاب ولا إخلال وبسعة وإفاضة، فهو دائرة معارف إسلاميه واسعة كاملة يتحدث فى أى موضوع بلا إعداد مهما يكن نوع هذا الموضوع، ويتخير فى أحاديثه الأسلوب السهل، ويعمد إلى التعابير المناسبة لسامعية“ (٦٣)

أذكر مثالا رائعا أدبيا من كتابته وأسلوبه، فهذه قطعة من مقال له عنوان ”طريقان“ يبين فيه السجع الرنان وتوازن المقاطع وإثارة العواطف ”طريقة ممهدة ظليلة“ مشرقة جميلة، تحف فيها الروح والريحان، يحيط بها الجمال من كل مكان، وأولها اليقين والإيمان ومراحلها الاستقامة وطاعة الرحمان، ونهايتها الجنة والرضوان، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، وطريق مثفرة، أولها الجحود والنكران، مراحلها الإثم والعصيان، وآخرها الحميم والنيران“ (٦٤)

الهوامش

T.Ushama, Impact of Islamic Movements on modern Arabic Literature (١)

during 20th Century, P.15

(٢) أنظر للتفاصيل، اسحاق موسى الحسيني: المصدر بنفسه: ٥٣

(٣) خير الدين الزركلى: الأعلام ج ٢/ ١٨٣ و اسحاق موسى الحسيني: المصدر السابق، ٥٣: T.Ushama:

Ibid, P.1, The Oxford Encyclopaedia of the modern Islamic World, V.I P.195

(٤) ذكريات هذا الإمام فى مكثبات الوالد: مجلة الدعوة، ٣-٣١- فبراير سنة ١٩٥١م-

(٥) حسن البنا: المصدر السابق، ٤

(٦) المصدر السابق: ١٠-١١ و دائرة المعارف الإسلامية (الأردنية) ج ٤/ ٩٨١-٨٢

(٧) حسن البنا: المصدر السابق، ١٩

(٨) المصدر السابق : ٢٧-٢٨

(٩) المصدر السابق : ٢٩

(١٠) المصدر السابق ، ص ٤٤

(١١) حسن البنا، المصدر السابق : ٤٥ -

(١٢) محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ، ١٢

(١٣) حسن البنا: المصدر السابق، ٥٦

(١٤) اسحاق موسى الحسيني ، المصدر السابق

(١٥) حسن البنا- المصدر السابق: ٧٣ -

(١٦) محمد شوقي زكي : المصدر السابق، ١٧

(١٧) المصدر السابق : ١٧

(١٨) أنور الجندى: حياة رجل وثاريخ مدرسة، ١٢٧

(١٩) أنظر للتفاصيل : حسن البنا، مذكرات ، ١٤٨

(٢٠) حسن البنا: رسالة الجهاد ، ٥

(٢١) المصدر السابق : ٢٨

(٢٢) المصدر السابق : ٣١

(٢٣) خليل الحامدي : حسن البنا كي ذائري، ٦٦

(٢٤) حسن البنا: رسالة الشباب ، ٥

(٢٥-٣١) المصدر السابق : ٩-١٠-١١

(٣٢) المصدر السابق : ١٩

(٣٣) حسن البنا: دعوتنا، ٥-٦-٧

(٣٤) المصدر السابق : ١١

(٣٥) المصدر السابق : ١٤-١٩-٢٠

(٣٦) المصدر السابق : ٣٢

(٣٧) القرآن الكريم

(٣٨) حسن البنا : إلى أى شئ ندعو الناس ، ٤٣

(٣٩) المصدر السابق : ٦٧

- (٤٠) حسن البنا : نحو النور ، ٨١
- (٤١) المصدر السابق : ٤-١٠٣
- (٤٢) حسن البنا : بين الأمس واليوم ، ٣٥
- (٤٣) حسن البنا : رسالة المئوتمر الخامس ، ٤٠
- (٤٤) المصدر السابق : ٥
- (٤٥) أنظر للتفاصيل : المصدر السابق ، ١٧
- (٤٦) حسن البنا : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ، ٩
- (٤٧) المصدر السابق : ١٧
- (٤٨) المصدر السابق : ٢٣
- (٤٩) المصدر السابق : ٩٦
- (٥٠) حسن البنا : المائورات ، ٣
- (٥١) المصدر السابق : ٧
- (٥٢) المصدر السابق : ١٠٠-و خليل حامدي : حسن البنا كي ذائري ، ٧١
- (٥٢) حسن البنا : المناجاة ، ٣
- (٥٣) المصدر السابق : ٣٢
- (٥٤) أنظر للتفاصيل : حسن البنا : العقائد ، ٤
- (٥٥) المصدر السابق : ١٣
- (٥٦) حسن البنا : الإخوان المسلمون تحت راية القرآن ، ١٢-١٣
- (٥٧) المصدر السابق : ١٦-١٧
- (٥٨) أبو الحسن علي الندوي : الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا ، ١٥
- (٥٩) المصدر المذكور : ١٨-١٩
- (٦١) المصدر المذكور : ٢٤-٢٥
- (٦٢) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، ٢٣-٢٤
- (٦٣) أنظر للتفاصيل : اسحاق موسى الحسيني : المصدر المذكور ، ٦٤-٦٧ وأنور الجندی : حياة رجل وتاريخ مدسة ، ٢٨٨-٢٨٩
- (٦٤) اسحاق موسى الحسيني : المصدر المذكور ، ٢٦٧

سيد قطب

الأستاذ سيد قطب بن قطب ابراهيم حسين الشاذلى - علم من أعلام الفكر الإسلامى المعاصرين ، وأديب وشاعر وأحد من فحول الدعوة فى القرن العشرين ، فالكتابة عنه ليست بالأمر السهل ، لأن فكرته وكتابته كانت إكاديمية منهجية ، تدور كلها فى رحاب الفكر الإسلامى : شرحاً وتاريخياً ومنهاجاً ، فأضاف بذلك إضافات بناءة إلى تاريخ الفكر الإنسانى عبر عن جمال الإسلام وكماله كمنهج حياة وهداية من الله سبحانه تعالى -

ولادته ونشأته

ولد سيد قطب فى اليوم التاسع من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٦م فى قرية "موشا" بمحافظة أسيوط بمصر (١) ، وكان جده السادس الفقير عبدالله هاجر من الهند إلى مصر وتديرها ، (٢) وكان والده قطب إبراهيم من أعضاء الحزب الوطنى لمصطفى كامل والجريدة "اللواء" ترجمان الحزب كانت تصل إلى منزله ، (٣) فحفظ القرآن الكريم ، وكان فى عشرة سنوات من عمره ، ثم دخل فى كتاب القرية ، وانتقل سريعاً إلى مدرسة رسمية وأتم دراسته الثانوية فى القاهرة ، وتعلم فى كلية دارالعلوم القاهره سنة ١٩٣٣م ثم عمل مفتشاً بعد تخرجه مباشرة فى وزارة التربية ، واشتغل فى وزارة التعليم التى أرسلته سنة ١٩٤٩م إلى امريكا لدراسة نظم التعليم هناك ، فدخل فى كلية المعلمين ولسن لجامعة كولوسن الشمالى ، وحصل على شهادة الماجستير فى التربية ، وقضى هناك ثلاث سنوات ، وزار إنجلترا والسويس وإيطاليا راجعاً إلى مصر ، فقد رأى سيد قطب إخفاق الحضارة الغربية وميلها إلى الانهيار -

وخلال الثلاثين كتب الأستاذ سيد قطب من الرواية والنقد الأدبى والشعر ، وتأثر فى ذلك الحين بالذكتور طه حسين ، عباس محمود العقاد ، وأحمد حسن الزيات ، ولكن هذا التأثير

لم يرقم إلى وقت طويل ، بل اختار أسلوب النقد والجرح ضدهم ، ورجع إلى مشاكل البلاد السياسية والاجتماعية والحضارية واعتزل الوطنية وانقطع إلى التأليف والكتابة ، ورفض تقدمه كمستشار في وزارة التربية ، وبدأ يكتب مقالات لعديد من الجرائد والمجلات حول القضايا الاجتماعية والسياسية ، وانتسب سيد قطب إلى جمعية الإخوان المسلمين في سنة ١٩٥٣م وجعل مديراً لجريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية ، وانتخب عضواً في مكتب الإرشاد للجماعة ، وعين رئيساً لقسم نشر الدعوة في المركز العام - (٤)

وانتدب السيد قطب ممثلاً للإخوان المسلمين في المؤتمر الإسلامي الشعبي المنعقد في القدس ، وفي هذه المرة سمح له بالدخول بسبب الزيارة الجماعية التي قام بها أعضاء الوفد - وفي عام ١٩٥٤م اعتقل السيد قطب مع الإخوان الآخر وزج به في زنازيف القلعة ، و السجن الحربي ، وفي اليوم الثالث من مايو سنة ١٩٥٥م نقل إلى المستشفى العسكري للمعالجة بما أصابه من آثار التعذيب والأمراض المختلفة التي خلفها سجنه الرهيب في مرض صدرى وأزمة قلبية (٥)

وفي اليوم الثالث عشر من مايو سنة ١٩٥٥م حكمت عليه محكمة الشعب بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة ، قضى منها عشرة سنوات في "ليمان تره" الذي يبعد بضعة أميال عن القاهرة ، وأعفى عمالقي من العقوبة بعد تدخل الرئيس العراقي آنذاك عبد السلام عارف شخصياً لدى الرئيس جمال عبدالناصر عند زيارته للقاهرة عام ١٩٦٤م - (٦)

خرج السيد من السجن عام ١٩٦٤م ، وفي عام ١٩٦٥م أخرج كتابه "معالم في الطريق" فأعيد اعتقاله مرة أخرى مع غيره من الإخوان المسلمين في تهمة تدبير المئامرة لقلب نظام الحكم بالقوة ، صدر عليه الحكم بالإعدام نهار اليوم الأحد في التاريخ ٢٢/٨/١٩٦٦م ، وشنق في اليوم الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ من الهجرة المصادف باليوم التاسع من شهر

أغسطس سنة ١٩٦٦م - (٧) وكذلك لحقت هذه النسمة المباركة المجاهدة بر بها راضية مرضية - وأثارت هذه الحادثة ضجة كبيرة فى حلقات دينية وإنسانية فى العالم كله و اعتبرها أكثر الكتاب و المثقفين خسارة العلم والفكر و الأدب - كما يراها مدير المجلة "البعث الإسلامى" الشهير محمد الحسنى، فيكتب "فكانت هذه الشهادة شهادة ذات عدة جوانب، إن فيها خسارة العلم والدعوة وخسارة الفكر والأدب، وخسارة المعارف، ولكنها فوق كل هذا خسارة ذلك القلم الثائر القوى المتدفق كالينبوع الهائل كالشلال الساخر بالآلهة الباطلة، العامر بالإيمان، القلم الذى زمجر كالعاصفة، والتهب كالشعلة و تحرق كالشمعة، وأشرق كالسيف، وأتت كل هذه الجوانب فى وقتها المناسب، ذلك القلم الذى أمسك به العالم العربى يدافع به عن إسلامه، ويهجم به على أعدائه، ويتشرف بين أقلام أدبائه" - (٨)

مؤلفا كبيرا

وألف سيد قطب كتباً كثيرة على مختلف العناوين فى الأدب والتربية والسياسة والاقتصاد والفلسفة والديانة، ونشرت هذه الكتب فى العالم العربى وخارجه فى البلاد، ونقلت إلى عديد من اللغات، وكتب الأستاذ مهدى فضل الله أن سيد قطب تبلغ مؤلفاته إلى ٢٤ تالفاً، ويذكر منها "فى ظلال القرآن" و"معالم فى الطريق" و"التصوير الفنى فى القرآن" وكتب مقالات حول مختلف الجوانب الاجتماعية فى مختلف المجالات والجرائد وقتاً فوقتاً -

وتقسم مؤلفاته إلى قسمين: أدبى ودينى :

(الألف) المؤلفات الأدبية:

(١) مهمة الشاعر فى الحياة

(٢) التصوير الفنى فى القرآن

(٣) مشاهدة القيامة فى القرآن

(٤) النقد الأدبي: أصوله و مناهجه

(٥) نقد كتاب مستقبل الثقافة فى مصر

(٦) كتب وشخصيات

(٧) طفل من القرية

(٨) الأطفاف الأربعة

(٩) أشواك

(١٠) المدينة المسحورة

(١١) القصص الدينى

(١٢) الجديد فى لغات العربية

(١٣) روضة الطفل

(١٤) قافلة الرقيق (الشعر)

(١٥) حلم الفجر (الشعر)

(١٦) الشاطىء المجهول (الشعر)

(ب) المؤلفات الدينيه

(١) العدالة الاجتماعيه

(٢) معركة الإسلام والرأسماليه

(٣) السلام العالمى والإسلام

(٤) نحو مجتمع إسلامى

(٥) فى ظلال القرآن

(٦) خصائص التصور الإسلامى

(٧) الإسلام ومشكلات الحضارة

(٨) دراسات إسلامية

(٩) هذا الدين

(١٠) المستقبل لهذا الدين

(١١) معالم في الطريق

سيد قطب - صحفيا

وإذا تخرج سيد قطب في كلية دارالعلوم وجعلت تصدر "صحيفة الدار" سنة ١٩٣٤م، فساهم فيها بمقالاته، ولكنه تجلى على منصة الكتابة والصحافة بمجلة "الرسالة" في سنة ١٩٣٣م، فطُبعت مقالة على العنوان "العالم يجرى" ثم نشرت قصيدة في العدد الثاني لمجلة صحيفة دارالعلوم على الموضوع "مريوم" وقامت هذه المجلة بنشر قصيدة أخرى في عدده الثالث بعنوان "السر والشاعر في وادي الموت" علق المدير عليها أن صاحب هذه القصيدة هو أديب ومدرس في المدارس الأميرية.

وكذلك نشرت قصيدة بالعنوان "إنسان الأخير" في مجلة المقتطف، وكانت جزئاً من ديوان الشاعر "الشاطي المجهول" وإذا أنشأ الدكتور أحمد أمين في سنة ١٩٣٩م مجلة الثقافة المصرية، فكتب سيد مقالة نقدية على العنوان "على هامش النقد؛ دلالة الألفاظ على المعاني" يعتبر من أول مقالاته في النقد - (٩)

وقدم سيد قطب من مجهوداته في حقل الأدب والنقد والشعر في مختلف الجرائد والمجلات خاصة المقتطف، والرسالة، والثقافة، وصحيفة دارالعلوم، والكاتب المصري، والكتاب، وما زال يعبر عن الصدق والأمانة والنصيحة والحماسة في كتاباته -

وإذا صدرت مجلة الإخوان المسلمين في سنة ١٩٥٣م وجعل مديرها، فكتب ما وجد

صحيحاً بلاخوف لومة لائم، حتى نقد على الميثاق الذى وثقه جمال عبدالناصر مع بريطانيا،
فرمى إليها من رميات أدت إلى وقوف المجلة -

وكذلك شارك فى مجلة "العالم العربى" الشهرية، وأنشأ بنفسه مجلة "الفكر الجديد
الشهرية" وإذا صدرت هذه المجلة فهدفت إلى القضاء على الرأسمالية والشيوعية وقيام العدالة
الاجتماعية فى أعين الناس - (١٠)

سيد قطب - ادبيا وفنانا

فى ظلال القرآن:

هذا هو أثر مما خطر بباله وقلبه اذا عاش فى ظلال القرآن الكريم، فعنت له فى هذه
العيشة من خواطر متناثرة: خواطر فى العقيدة، وخواطر فى النفس، وخواطر فى الحياة وخواطر
فى الناس - وكان يرغب إلى تسجيل هذه الخواطر كلها بعد ما فرغ من كتاب "التصوير الفنى
فى القرآن" و"مشاهد القيامة فى القرآن" كما يكتب بنفسه "ولقد كانت هذه احدى أمانى منذ
أن فرغت من كتاب "التصوير الفنى فى القرآن" قبل ثمانية أعوام، وسجلت فيه ما بدالى واضحا
يومئذ أن التصوير هو القاعدة الواضحة فى تعبير القرآن الجميل - وقد كنت أدركت الكتاب
كله على هذا المحور لشرح هذه القاعدة والتمثيل لها من القرآن" (١١)

وهذا من حسن الحظ أن الأستاذ سعيد رمضان قام بإصدار مجلة "المسلمون" فى سنة
١٩٥٠م لتتملاً فراغاً وقع بعد وقوف مجلة "الشهاب" فاتصل بشخصيات بارزة فى مختلف
المجالات، وألح على كتابة المقالات حول عناوين عديدة، وكذلك كان على المؤلف أن
يشترك فى التحرير بمقال شهرى، وود صاحبها الصديق أن لو كان هذا المقال فى موضوع
مسلسل، أو تحت عنوان دائم، فقفز إلى ذهنه هذا العنوان: "فى ظلال القرآن -" (١٢)

ولم تنشر إلا حلقات، فجعلت تتواصل إليه من رسائل التهانى، وقام الناشرون بنشرها فى

صورة الكتاب ، وجعلت مؤسسة إحياء الكتب العربية تعاقدًا مع المؤلف أن تسلم الحلقات المطبوعة إليها في كل شهر ، وجعل يكمل المؤلف هذا الاقتراح ببذل جهود جبارة وانتهت ثمانى مجلدات إلى الكمال في سنة ١٩٥٤ م ، ولكن لم تترك الأوضاع السياسية في مصر أن يكتب حراً ، بل أسر ، وصار من المسجونين ، وإذا حصلت له من اليسر ، فبدأ يكتب هذا التفسير ، وأكمل في هذه الأيام من ثلاثة مجلدات مزيداً .

وإذا تخفف الخلاف بين مجلس الثورة والإخوان ، فخرج سيد قطب من السجن وتشرف بمدير التحرير لمجلة الإخوان المسلمين ، ولم يمض إلا شهران حتى اعتقل مرة أخرى ، ونقل إلى السجن الحربى ، ثم إلى معتقل ليمان طره ، وعذب عذاباً نكراً ، فتوقفت المجلة أيضاً ، لأنها خالفت المعاهدة الإنجليزية المصرية التى وقعت بين الرئيس جمال عبد الناصر والإنجليز ، وقضت محكمة الشعب فى سنة ١٩٥٥ م فى شهر يوليو بقيد خمسة عشر سنة ، فرفعت دار إحياء الكتب العربية قضيتها ضد الحكومة أن عمل التفسير ”فى ظلال القرآن“ قد توقفت بسجن المؤلف أدى إلى خسارة فادحة ، فأذنت المحكمة أن يواصل كتابته ، فبدأ يكتب ، ولكن أقامت الحكومة هيئة مراقبة لكتابات الأستاذ قطب ، وأن تقوم بحذف ما يكون غير لازم وغير مناسب للحكومة الحالية . وكانت هذه الأوضاع التى اكتملت فيها هذه الهدية الغالية الثمينة الأدبية العلمية فى مجال الدراسات القرآنية .

ومامنت من النشر كانت من مقدمات الفجر والبروج أضافها فى كتاب ”معالم فى

الطريق“ فيما حول العنوان ”هذا هو الطريق“ (١٣)

منهجه فى التفسير

وقد كتب الأستاذ الشهيد عن منهجه فى التفسير ”وبعد فقد يرى فريق من قراء هذا الظلال أنها لون من تفسير القرآن . وقد يرى فريق آخر أنها عرض للمبادئ العامة للإسلام ،

كما جاء بها القرآن - وقديرى فريق ثالث أنها محاولة لشرح ذلك الدستور الإلهى فى الحياة والمجتمع وبيان الحكمة فى ذلك الدستور ، أما أنا فلم أتعمد شيئا فى هذا كله وما جاوزت أن أسجل خواطرى ، وأنا أحيأ فى تلك الظلال -

كل ما حاولته أن لا أغرق نفسى فى بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية ، تحجب القرآن عن روحى وتحجب روحى عن القرآن - وما استطردت إلى غير ما يوحىه النص القرآنى ذاته ، فى خاطرة روحية أو اجتماعية أو إنسانية - وما أحفل القرآن بهذه الايحات وكذلك حاولت أن أعبر عما خالج نفسى من إحساس بالجمال الفنى العجيب فى هذا الكتاب المعجز ، ومن شعور بالتناسق فى التعبير والتفسير “ (١٤)

خصائص التفسير

يمتاز هذه التفسير بأسلوبه الأدبى الرفيع من أكثر المفسرين جديدا وقديما ، وإذا كتب حول أى موضوع دينى أو فقهى ، سياسى أو اجتماعى يتزين بالفصاحة والبلاغة ويؤثر على من يقرأ ، فيتأثر بأسلوبه وفنه ، لأنه يحلى بحلى الأدب والفن ، فأوضح أيضا من حسن القرآن وجماله وسحره الفنى الذى يجذب إليه الناس جميعا ، وبحث جميع الجوانب التى تقدم للقرآن من نماذج فنية جميلة جذابة كما يكتب فى تفسير السورة ” والضحى ” فيقول ” هذه السورة بموضوعها ، وتعبيرها ، ومشاهدها ، وظلالها وإيقاعها لمسة من حنان ونسمة من رحمة ، وطائف من ود ، ويدحانية تمسح على الآلام والمواقع ، وتنسم بالروح والرضى والأمل - وتكسب البرد والطمأنينة واليقين -

إنها خالصة للنبي صلى الله عليه وسلم - كلها نجات من ربه ، وتسرية وتسلية وتزريح تطمن - كلها أنسام من الرحمة وأنداء من الود ، وألطاف من القربى ، وهدية للروح المتعب والخاطر المقلق ، والقلب الموجوع ، ورد فى روايات كثيرة أن الوحي فتر عن رسول الله ﷺ

وأبطأ عليه جبرئيل عليه السلام ، فقال المشركون : ودع محمداً ربه فأنزل الله تعالى هذه السورة-

والوحي ولقاء جبرئيل والاتصال بالله ، كانت هي زاد رسول الله ﷺ في مسقة الطريق ومسقياه في هجير الجحور : فلما فتر الوحي انقطع عنه الزاد ، وانحبس عنه النبوع واستوحش قلبه من الحبيب وبقي للهجرة وحده بلا زاد ، بلارى ، بغير ما اعتاد من رائحة الحبيب الودود ، وهو أمر أشد من الاحتمال من جميع الوجوه -

عندئذ نزلت هذه السورة نزل هذا الفيض الود والحب والرحمة والإيناس والقربى والأمل والرضى والطمانينة واليقين“ (١٥)

وكذلك يكتب فى الأسلوب البليغ والطرز الجميل الجذاب ، ذلك الحنان وتلك الرحمة ، وذلك الرضى - وهذا الشجى : تنسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ ، ومن هذه الموسيقى السارية فى التعبير ، الموسيقى الرتيبة الحركات ، الوثيدة الخطوات ، الرقيقة الأصداء ، الشجية الإيقاع ، فلما أراد إطار هذا الحنان اللطيف ، ولهذه الرحمة الوديعه ، ولهذا الرضى الشامل ، ولهذا الشجى الشفيف ، جعل الإطار من الضحى الرائق ، ومن الليل الساجى ، أضغى الأنين فى آونة الليل والنهار ، وأشف أنين تسرى فيها التأملات ، وتتصل الروح بالوجود وخالق الوجود ، وتحس بعبادة الكون كله لمبدعه ، وتوجهه لباريه بالتسبيح والفرح والصفاء وصورهما فى اللفظ المناسب ، فى الليل هو ”الليل اذا سجدى“ لا الليل على إطلاقه بوحشته وظلامه . الليل الساجى الذى يرق ويسكن ويصفو وتغشاه سحابة رقيقة من الشجى الشفيف والتأمل الوديع - كجو اليتيم والعيلة ، ثم ينكشف ، ويجلى مع الضحى الرائق الصافى فتلتئم ألوان الصورة مع ألوان الإطار ويتم التناسق والاتساق“ (١٦)

وما أقسم الله تبارك وتعالى فى بداية السورة ، فكيف يبين المؤلف هذه الكلمات

الحلفية فى ألفاظ رقيقة و عبارة لطيفة مع كمال الجمال و تمام الفن ، فيكتب ” يقسم الله سبحانه بهذين الأنين الرائقين الموحيين . فيربط بين ظواهر الكون ومشاعر النفس ، ويوحى إلى القلب البشرى بالحياة الشاعرة المتجاوبة مع هذا الوجود الجميل الحى ، المتعاطف مع كل حى فيعيش ذلك القلب من أنس فى هذا الوجود ، غير مدهش ولا غريب ، فيه فريد ، وفى هذه السورة يكون لهذا الأنس وقعه ، فظل الأنس هو المراد وحده ، وكأنما يوحى الله لرسوله ﷺ منذ مطلع السورة أن ربه أفاض من حوله الأنس فى هذا الوجود ، وأنه من ثم غير محفوف فيه ولا فريد“ (١٧) فيتضح أن لأستاذ سيد قطب اختار فى تفسيره منهجا منفردا ، يبين أولا مقدمة لكل سورة ، ثم يبحث عن موضوعها وهدفها ، ثم يربط آخرها بأولها فى خاتمة البحث حتى تكون السورة كلها منسقة مربوطة ، كما يكتب فى بداية سورة البقرة ”فى عدد قليل من الكلمات ولأسطر المعدودات فى أول السورة ، ترسم ثلاث صور لثلاثة أنماط من النفوس ، كل نمط منها نموذج حى لمجموعات ضخمة من البشر ، نموذج أصيل عميق ، متكرر فى كل زمان ومكان . حتى ماتكاد البشرية كلها فى جميع أعصارها وأقطارها تخرج عن تلك الأنماط الثلاثة . وفى تلك الكلمات القلائل والأسطر المعدودات ترسم هذه الصورة واضحة كاملة ، نابضة بالحياة ، دقيقة السمات ، مميزة الصفات ، حتى ما يبلغ الوصف المطول والإطناب المفصل شيئا وراء هذه اللمسات السريعة المبينة ، الجميلة النسق ، الموسيقى الإيقاع . . إنها صور : المتقين والكافرين ، والمنافقين .

فاذا انتهى من عرض هذه الصور الثلاث دعا الناس كافة إلى الصورة الأولى ، وناداهم أن يفئسوا إليها . وتحدى الذين لا يؤمنون ، وأنذرهم عذابا مفرغا مرهوبا ، وبشر المؤمنين وصور ما ينتظرهم من نعيم عظيم .

تلك مجمل الخطوط الرئيسية فى هذا الدرس الأول فى سورة البقرة ، فلنحاول أن

نتناول بشيء من التفصيل “(١٨)

وسار على منهج العدل والقسط في تفسيره وجميع أجزائه وخاصة إذا ذكر العلوم الجديدة ، فلم يتأثر بما يقع من تطورات وتغيرات في عالم العلم الجديد ، بل ثبت صداقة القرآن وأبديته في أشد قوة وأدبر بيان ، وأعرض كاملا عن الأسطورات الاسرائيلية التي دخلت أو جعلت جزأهما في تفسير القرآن الكريم ، ونقد على الأفكار الجديدة والآراء الملحدة كي لا يتأثر الشباب ولا يضحى ضحيتها ، فيقول في سورة “والعصر” ومن هنا كانت إبحاثات الدارونية والفرويدية والماركسية هي أبشع ماتبتلى به الفطرة البشرية والتوجيه الإنساني ، فتوحى إلى البشر بأن كل سفالة وكل قذارة وكل حقارة هي أمر طبيعي متوقع ، ليس فيه مايستغرب ، ومن ثم ليس فيه مايخجل -- وهي جناية على البشرية ، تستحق العقاب والازدراء “(١٩)

وكذلك يكتب أيضا “وظل ميزان السماء يرجح بأهل التقوى ولو تجردوا من قيم الأرض كلها -- في اعتبار انفسهم ، وفي اعتبار الناس من حولهم -- ولم يرفع هذا الميزان من الأرض الا قريبا جدا بعد أن طغت الجاهلية طغيانا شاملا في أنحاء الأرض جميعاً . وأصبح الرجل يقوم برصيده من الدولارات في أمريكا - زعيمة الدول الغربية ، وأصبح الإنسان كله لا يساوى الآلة في المذهب المارى المسيطر في روسيا زعيمة الدول الشرقية - أما أرض المسلمين فقد سادت فيها الجاهلية الأولى التي جاء الإسلام ليرفعها من وهديتها ، وانطلقت فيها نعرات كان الإسلام قد قضى عليها ، وحطمت ذلك الميزان الإلهي ، وارتدت إلى قيم جاهلية زهيدة لاتمت بصلة إلى الإيمان والتقوى “(٢٠)

وإذا اعتبر اللائق ، فذكر من شواهد العلم الجديد مستفيدا ، ولكن لا يصوغ الآيات القرآنية وفق تلك المعلومات الجديدة ، كما يكتب في درجة حرارة الكرة وانصباب الماء “وفي هذا يقول أحد علماء العصر الحاضر اذا كان صحيحا أن درجة الكرة الأرضية وقت انفصالها عن

الشمس كانت حوالي ١٢,٠٠٠ درجة أو كانت تلك درجة حرارة الأرض - فعندئذ كانت كل

العناصر حرة ، ولذا لم يكن في الإمكان وجود أى تركيب كيميائي ذى شان “(٢١)

واجتنب عن البحوث الكلامية والنزاعات الفقهية ، لأنه يرى أنه القرآن الكريم ، وجماله

وحسنه يتأثران بهذا الأسلوب ، ويغفل القارى عن أغراض القرآن الكريم ، فأكد على جوانب

الدعوة والتربية ، ويلقى الضوء على الدعوة فى كل مكان مناسب --

وكذلك استفاد المفسرين القدامى خاصة من الزمخشري وعبدالقاهر العرجاني

والأستاذ محمد عبده ، ولكن نقد على مناهجهم ومباحثهم أحيانا ، وإذا اطلع على تقصيراتهم

فيبدى البرأة عنها ويرجع إلى صواب منها ، وقام بالتصحيح والمراجعة كما يظهر عجزه فى

سورة البقرة حول هذه الآية ”حافظوا أعلى الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين“ ولكننى

كما قلت مخلصا - لأستريح الراحة الكافية لما هتديت إليه، فاذا هديت إلى شىء آخر فسا بينه فى

الطبعة التالية ، وإذا هدى الله أحدا من القراء ، فليفضل فيبلغنى مشكورا بما هداه الله-

أما تخصيص ”الصلوة الوسطى“ بالذكر ، فالأغلب أنها صلوة العصر ، وربما خصت

بالتنبيه لأن وقتها يجئ بعد الانتهاء من العمل و بعد نومة القيلولة - فهي كثيرا ما تفوت المصلى ،

ولكن خاطر يشانها قد انقذح فى ضميرى -

إن ”الصلوة الوسطى“ ربما كانت بيانا لنوع الصلوة ؛ وليست إحدى الصلوة فهي الصلوة

الوسطى - التى لاتميل الى احدى الطرفين : الإفراط والتقريط -والتي تودى على وجه الاعتدال

والتوسط - الوجه الذى يلحظه الإسلام فى تشريعاته وتوجيهاته جميعا -

ولكن لست كذلك على يقين من هذا الوجه فى تفسير الآية - إنما هو خاطر لم أجد

ما ينفيه - والله يعلم سر هذا القرآن “(٢٢)

مشاهد القيامة فى القرآن

هذا هو كتاب ثان للأستاذ سيد قطب فى مجال الدراسات القرآنية ، وهذا أثر مما طبع فى حسه من مخافة اليوم الآخر كما يكتب الأستاذ الشهيد فى كلمة الإهداء "لقد طبعت فى حسى - وأنا طفل صغير - مخافة اليوم الآخر - لم تعظنى أو تزجرنى - ولكنك كنت تعيش أمامى ، واليوم الآخر فى حسابك ، وذكره فى ضميرك وعلى لسانك - كنت تغفل تشددك فى الحق الذى عليك ، وتسامحك فى الحق الذى ، بأنك تخشى اليوم الآخر - وكنت تغف عن الإساءة ، وأنت قادر على ردها ، لتكون لك كفارة فى اليوم الآخر - وكنت تجود أحياناً بما هو ضرورة لك ، لتجده ذخراً فى اليوم الآخر" (٢٣)

وقد جعل الأستاذ طريقة التصوير من أجمل طرائق التعبير وأفضلها فى الفن والدين ، فيتصور بها القراء المعانى فى صورتها الذهنية التجريدية ، ويتصورونها بعد ذلك فى صورتها التصويرية الشخصية ، فيقول الأستاذ "إن المعانى فى الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعى ، وتصل إليهما مجردة فى ظلالها الجميلة - وفى الطريقة الثانية تخاطب الحس والوجدان ، وتصل إلى النفس من منافذ شتى: من الحواس بالتناسق والإيقاع ، وفى الحس عن طريق الحواس ، ومن الوجدان المنفعل بالأصدا والأضواء - ويكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس ، لامنفذها الفرد الوحيد" (٢٤)

وتعتبر هذه الطريقة لها فضل كبير وحظ أو فر فى أداء الدعوة لأن وظيفة الفن الأولى هى إثارة الانفعالات الوجدانية ، وإشاعة اللذة الفنية بهذه الإثارة ، وإجاشة الحياة الكامنة بهذه الانفعالات ، وتغذية الخيال بالصور لتحقيق هذا جميعه ، وكل أولئك تكلفه طريقة التصوير والتشخيص للفن الجميل - (٢٥)

بهذه الطريقة تناول القرآن الكريم مشاهد القيامة ، فاذا بعضها ملاحم رائعة وبعضها

مناظر شاخصة ، وبعضها صور وظلال - وهذه المشاهد هي التي استعرضها المؤلف في هذا الكتاب -

واعتقد الأستاذ بهذا الكتاب أن يرد القرآن جديداً ، ويستنقذ من ركام التفسيرات اللغوية والنحوية والفقهية والتاريخية والأسطورية ، وأن يبرز فيه الناحية الفنية ، ويستخلص من خصائصه الأدبية ، وحاول أن لا يقصد بالتأويلات البعيدة - ولم يدخل عليها مباحث لغوية ودينية -

تتوزع مشاهد القيامة في معظم سورة القرآن ، وإن كانت كثرتها بالسورة المكية وقد تحتوى السورة الواحدة أكثر من مشهد واحد ، وقد استعرض في هذا الكتاب خمسين ومائة مشهد ، موزعة في ثمانين سورة من أربع عشرة ومائة سورة -

واستعرض من المشاهد تتوافر فيها الصورة والحركة والإيقاع والمواضع التي ورد فيها ذكر اليوم الآخر مجرداً ، أو ذكر الجنة تجري من تحتها الأنهار ، أو ذكر العذاب الأليم ، أن يرسم فيها مشهد شاخص أو متحرك ، فلم يستعرض لها وهي كثيرة جداً -

ولم ينشئ نوع من التكرار مع تعداد هذه المشاهد - فكل مشهد يختلف عن سابقه في كلياته أو جزئياته ، ذلك لون من الإعجاز ، واختار الطريق الاستعراضى مراعى الترتيب التاريخى ، فعرض بترتيب السور التي وردت فيها ، ورتبت هذه السور حسب نزولها ، واعتبر هذا العمل فى الطريق الوحيد فى القرن الرابع عشر من الهجرة ، وهذا الطريق يهئ للقارى أن يستعرض هذه المشاهد خالصة ويستعجل جمالها الفنى - ويكتب ايضاً "وأعلم أن هذه المشاهد لا تبدو فى جمالها الكامل إلا إذا استعرضت مع السياق الذى وردت فيه ، وهذا يقتضى تناول القرآن كله (وهو غير مستطاع هنا) ولكنى حاولت بقدر الإمكان أن أربط معظم المشاهد بالسياق الذى وردت فيه" (٢٦)

كان الهدف منه هدفاً فنياً خالصاً محضاً ولم يتأثر فيه إلا بحساسة الناقد الفنى المستقل ،

واذا وجدنا براعة الفن بقداسة الدين فتلك نتيجة لم يقصد إليها الكاتب ، ولم يتأثر بها، بل إنما هي خاصة كامنة في طبيعة هذا القرآن -

واستعرض في الباب الأول من العالم الآخر الضمير البشري، وقدم في كل الديانات وعقيدتها حول العالم الآخر، ويجد فيه القارى من الديانة المصرية القديمة ، والأساطير الإغريقية ، والديانة الهندوكية ، والديانة المسيحية واليهودية-

إن مشاهد القيامة في القرآن هي من أبرز مواضع التصوير الفنية ، "ولقد عنى القرآن بمشاهد القيامة : البعث والحساب ، والنعيم والعذاب ، فلم يعد ذلك العالم الآخر الذى وعده الناس بعد هذا العالم الحاضر ، موصوفاً فحسب ، بل عاد مصوراً محسوساً، وحياً متحرراً كما وبارزا شاخصاً ، وعاش المسلمون في العالم عيشة كاملة : رأوا مشاهدته ، وتأثروا بها ، وخفقت قلوبهم تارة ، واقتشعرت جلودهم تارة ، وسرى في نفوسهم الفزع مرة ، وعادوهم الاطمئنان مرة أخرى ، ولفحهم من النار شواظ ، ورف إليهم من الجنة نسيم - ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود" (٢٧)

وقد جمع المؤلف من مشاهد تتعلق بالموت والبعث والنعيم والعذاب، وذكر الآيات القرآنية حسب الترتيب، فيذكر "فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم الجنة بما فيها من نعيم، وأما الذين كفروا وكذبوا بقاء الله فلهم النار بما فيها من جحيم-"

ولكن هذه الحقيقة البسيطة الواضحة تعرض في صور شتى ، وترسم في عالم كامل ، حافل بالمشاهد ، وتترأى في عشرات من الأوضاع والأشكال والسمات ، وتؤلف بذلك ملاحم فنية رائعة تملأها النفس ويتابعها الخيال ، ويستغرق فيها الحس، وتترأى فيها الظلال، وتضيف إلى الثروة الأدبية صفحات مفردة ، لاشبيه لها ولا مثال" (٢٨)

وبعد الدراسة العميقة يتجلى أن هذه المشاهد هي حية متحركة متشخصة ، وإنها

حاضرة اليوم تراها العين، وتحسها النفس، والفارق السحيق بين العالمين فارق قريب، بك لا فارق هناك فى بعض الأحيان - بل ربما كانت، "الأخرى" هى الحاضرة، وكانت الدنيا ماضيا بعيدا-

واختار المؤلف لتقديم هذه المشاهد طريقة مصورة، لأنها من أجمل الأساليب وأحسنها، فيكتب فى مقدمة الكتاب "التصوير هو أداة المفضلة فى أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة الفنية وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الانساني، والطبيعة البشرية ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، فإذا النموذج الإنسانى شاخص حى، فاذا الطبيعة البشرية مجسمة مريئة، فاما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فاذا أضاف إليها الحوار، فقد استوت لها كل عناصر التخيل، فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول الذى وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، ومثل يضرب، ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع، فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو، (٢٩)

فهذا الكتاب يشخص للقراء كل حادث ومشهد صورة متحركة - ويعطى منفذا جديدا لدراسة القرآن الكريم وتدبره من حيث الفكرة والفن والأدب -

التصوير الفنى فى القرآن

هذه حقيقة واضحة أن البيئة والمجتمع يؤثران على شخصية الإنسان وتحسينها وتزيينها وثبتت على حياته من آثار، لانتمحي باليسر والسهولة، فذكر الأستاذ سيد قطب من

عوامل أثرت على شخصيته، فهو يكتب ويرفع كتابه إلى أمه "لطالما تسمعت من وراء الشيش في القرية، للقراء يرتلون في دارنا القرآن طول شهر رمضان - وأنا معك - أحاول أن ألغو كالأطفال - فتردني إليك إشارة حازمة، وهمسة حاسمة، فأنصت معك إلى الترتيل، وتشرب نفسى موسيقاه، وإن لم أفهم بعد معناه" وبعد ذكر أمه ذكر الأساتذة الذين قاموا بإنشاء الرغبة الشديدة إلى دراسته القرآن الكريم وحبها جما "و حينما نشأت بين يديك بعثت لى إلى المدرسة الأولية في القرية، وأول أمانيك أن يفتح الله على، فأحفظ القرآن، وأن يرزقنى الصوت الرخيم، فأرتل لك كل آن، ثم عدلت بى عن هذا الطريق فى النهاية إلى الطريق الجديد الذى أسلكه الآن، بعد ماتحقق لك شطرن أمانيك فحفظت القرآن -

ولقد رحلت عنا - يا أماه - وأخر صورك الشاخصة فى خيالى جلستك فى الدار أمام المذيع، تستمعين للترتيل الجميل، ويدو فى قسما وجهك النبيل أنك تدرسين، بقلبك الكبير وحسك البصير - مراميه وخفيايه -

فإليك يا أماه ثمرة توجيئك الطويل، لطفلك الصغير ولفتك الكبير ولئن كان قد فاته جمال الترتيل، والله يركاك عنده ويرعاه" (٣٠)

وإذا دخل سيد قطب فى دار العلوم، وقرأ عديدا من كتب التفسير، واستفاد من مختلف الأساتذة ولكنه لم يجد من حسن القرآن وجماله الذى كان مطلوبا لديه، فيكتب بنفسه "لقد قرأت القرآن وأنا طفل صغير، لا ترقى مداركى إلى آفاق معانيه، ولا يحيط فهمى بجليل أغراضه، ولكننى كنت أجد فى نفسى منه شيئا - لقد كان خيالى الساذج الصغير، يجسم لى بعض الصور من خلال تعبير القرآن وإنها لصور ساذجة، ولكنها كانت تشوق نفسى وتلدحسى، فأظل فترة غير قصيرة اتملاها، وأنا بها فرح ونشاط -

ومن الصور الساذجة التى كانت ترسم فى خيالى اذ ذاك صورة كانت تتمثل لى كلما

قرأت هذه الآية "ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به وإن اصابته فتنه انقلبت على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة" الآية - لقد كان يشخص في مخيلتي رجل قائم على حافة مكان مرتفع ! مصطبة - فقد كنت في القرية - أو قمة تل ضيقة ، قد رأيت التل المجاور للوادي - وهو قائم يصلي ، ولكنه لا يملك موقفه ، فهو تيارجح في كل حركة ، ويهم بالسقوط ، وأنا بإزاءه ، أتتبع حركاته ، في لذة وشغف عجيبين! (٣١)

وتمثلت له صورة ساذجة اذ قرأ هذه الآية "وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه فانسلك منه ، فاتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين ولو شنأه لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب: إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث " الآية - فتشخص في مخيلته صورة رجل ، فاغراقم ، متدلى اللسان يلهث ويلهث في غير انقطاع وهو بإزاءه لا يحول نظره عنه ، ولا يفهم لما يلهث ؟ ولا يجرؤ على الدنو منه ، فكانت ترسم لخياله الصغير في صورة شتى ويلتذ بها ويشتاق قراءة القرآن بها ويبحث عنها - فخطر بباله أن يعرض للناس بعض النماذج مما يجده في القرآن الكريم كما يكتب "وخطر لي أن أعرض للناس بعض النماذج مما أجده في القرآن من صور ، ففعلت ، ونشرت بحثا في مجلة المقتطف عام ١٩٣٩ م تحت عنوان "التصوير الفني في القرآن" تناولت فيه عدة صور ، فأثبتتها ، وكشفت عما فيها من جمال فني ؛ وبنيت القدرة القادرة التي تصور بالألفاظ المجردة ، ماتعجز عن تصويره الريشة الملونة ، والعدسة المشخصة" (٣٢)

فمرت السنوات وتمثل صور القرآن في خياله وتراءى آثار الإعجاز الفني ، وبدأ يبحث أن يجمع الصور الفنية في القرآن ويستعرضها ويقدمها بصورة بينة منسقة ، فوجه إلى الجانب الفني الخالص من القرآن الكريم دون التعرض للمباحث اللغوية أو الكلامية أو الفقهية ، فأنتهى في التحضير للبحث ، ووجد في نفسه من قرآن جديد وقال "وجدتني أشهد في نفسي مولد القرآن في جديد - لقد وجدته كما لم أعده من قبل أبدا ، لقد كان القرآن جميلا في نفسي -

نعم - ولكن كان جماله أجزاء وتفاريق - أما اليوم ، فهو عندى جملة موحدة، تقدم على قاعده خاصة ، قاعده فيها من التناسق العجيب، مالم أكن أحكم من قبل به، ومالا أظن أحدا تصوره“(٣٣)

وذكر أيضا أن التصوير إنما هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن كما ذكر فى كتاب ”مشاهد القيامة فى القرآن“(٣٤)

وإذا بحث عن منبع السحر فى القرآن الكريم، فلا يجده فى التشريع المحكم ولا فى العلوم الكونية ولا أخبارا بالغيب، بل يعلن صراحة ”أن السحر كان كامنا فى مظهر آخر غير التشريع والغيبات والعلوم الكونية، لا بد أنه كامن فى صميم النسق القرآنى ذاته، لافى الموضوع الذى يتحدث عنه وحده وإن لم تغفل مافى روحانية العقيدة الإسلامية، وأن نتجاوز حدود الزمان والمكان، ونتحظى الأجيال والأزمان ، لنجد بعد ذلك كله هذا الجمال الفنى الخالص، عنصرا مستقلا بحوره، خالدا فى القرآن بذاته ويتملاه الفن فى عزلة عن جميع الملابس والأغراض“(٣٥)

وإذا تكلم عن التناسق الفنى فبلغ إلى الألوان ودرجات يرقى بها التناسق إلى الذروة فى تصوير القرآن الكريم:

(١) التنسيق فى تأليف العبارات ، بتخيير الألفاظ، ثم نظمها فى نسق خاص، يبلغ فى فصاحة أرقى درجاتها-

(٢) الإيقاع الموسيقى الناشئ من تخيير الألفاظ ونظمها فى نسق خاص-

(٣) النكت البلاغية التى تبنيه لها الكثيرون من التعقيبات المتفقة مع السياق كأن تجئ الفاصلة-

(٤) التسلسل المعنوى بين الأغراض فى سياق الآيات، والتناسب فى الانتقال من غرض إلى

غرض-

(٥) ولعل أعلى نوع فى التناسق إليه هو هذا التناسب بين الخطوات المتدرجة فى بعض

النصوص والخطوات النفسية التى تصاحبها- (٣٦)

وكذلك ينير المؤلف القصة فى القرآن من القصة الفنية الحرة وجعلها وسيلة من أغراض القرآن الدينية فكتب "والقصة فى القرآن ليست عملا فنيا مستقلا فى موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه كما هو الشأن فى القصة الفنية الحرة التى ترمى إلى أداء غرض فنى طليق، إنما هى وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شئ، والقصص المذكور فى القرآن كلها كما تقتضى الأغراض الدينية" (٣٧)

وأوضح أيضا من أغراض القصة، فهى كما يلي

- (١) إثبات الوحى والرسالة-
- (٢) وبيان أن الدين كله من عند الله-
- (٣) أن الدين كله موحد الأساس-
- (٤) أن وسائل الأنبياء فى الدعوة موحدة-
- (٥) بيان الوصل المشترك بين دين محمد ودين إبراهيم بصفة خاصة، ثم أديان بنى اسرائيل بصفة عامه-
- (٦) بيان أن الله ينصر أنبيائه فى النهاية ويهلك المكذبن، وذلك تثبيتا لمحمد ﷺ - وتأثيرا فى نفوس من يدعوهم إلى الايمان-
- (٧) تصديق التبشير والتحذير -
- (٨) بيان نعمة الله على أنبياءه وأصفياه-
- (٩) تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم-
- (١٠) بيان قدرة الله على الخوارق- (٣٨)

والتكرار فى إبراز القصة فى كثير من المواضع ولكنه يكون لبعض الحلقات وإشارات سريعة لموضع العبرة فيها.

وكل قصة مع غرضها الدينى تنتهى إلى ختام فنى أجمل من المشاهد وتمثل فيه الدين والفن معا ولا يفترقان لأن واحد.

أشواك:

تجلت هذه الرواية على أفق الأدب والفن، وجعلت ضجة كبيرة فى حلقات الأدباء والفنانين، وهذه الرواية تقص قصة الأديب وحبه فتاة كريمة، وكانت تحب فتى آخر، ولكن الأديب سقط فى حبها، وخطب إليها خطبة النكاح وإن لم ينل من مرامه.

هذه الرواية مرآة يتجلى ما حباه الله من طبيعة الحب والغرام، ومعرض يتمثل فيه نتاج قريحته وثمره لبه، وإنها مثالا ساميا للرواية، ونموذجا قويا، يجتذب إليه القارى ويحتذى المتأدب.

وهذه الرواية تروى كل ما يتفجر من القلب الجريح من آثار الحب والذوبان، وتجارب اليأس والحرمان، وتبين من مفاصد المجتمع وتلوث النفوس فى الدنس، وتقدم أيضا فى الدعوة إلى الحب الذى يوفر للإنسان من الراحة والسكون، ولكن الأسف الشديد على أن أكثر النفوس مصاب بالرديلة والتعلق والرياء متباهى بها.

وقد كتب الأستاذ يوسف العظم أن هذا الكتاب أثار ضجة كبيرة فى دنيا الأدب بقوة موضوعه وسحر أسلوبه، وإننى قد وجدت هذا الكتاب يحمل الأسلوب القرآنى وتجرى فيه روح الإيمان وتمثل الثقافة الدينية والفكرة الإسلامية فى صياغتها. (٣٩)

ويجد القارى بنفسه هذه المشاعر والانطباعات اذا درس واضحة جلية، كما كتب سيد "نارت العاصفة وانقلب البيت كله على الفتاة، وانتدبت هى من وجوههم مكانا قصيا" وران

على الأطفال ذعر صامت وهم يرون ولا يعلمون " ووجد نفسه يبكي ثم أدركته رحمة الله فنام" -

المدينة المسحورة

هذه الرواية صدرت تحت " سلسلة اقرأ " دار المعارف، قدم فيها سيد قطب نموذجاً جميلاً في أسلوب رائع للأدب الرمزي -

وقد وضع الدكتور صلاح الدين العمري الفكرة الأساسية لهذه الرواية "أن الفكرة الأساسية لهذه الرواية هي أن شهر زاد إذا تعبت، ومل شهر يار باستماع القصص لألف ليلة وليلة، فأذن شهر يار أن تخرج شهر زاد وتاوي إلى جزأ خاص من ذلك القصر، وتقف وقتها لترية البنين وإنباتهم نباتاً حسناً، ووضحت تلك الحالة التي قضت شهر زاد عقب ألف ليلة وليلة وهي تقص، ومامت من الليالي بغير شهر يار وهي تبلغ إلى ٩٩ ليلة كي تقدر على أن الشهر من القصص الرائعة المفرحة التي توري إلى السيطرة على قلبها زوجها الملك" (٤٠)

واستعان سيد قطب بمشاعره الدقيقة وطبيعته الشعرية، وجدانه الحساس، وألف قصة عبر هذا العالم على أفكاره وانطباعاته -

وكتب الأستاذ يوسف العظم أن سيد قطب قد استفاد بثلاثة مراجع لتأليف هذه القصة أسلوباً وفكراً -

(١) ألف ليلة وليلة

لأنه بدأ الرواية بذكر شهر يار وشهر زاد، وما وقع من القصص والوقائع تدل على أنه متأثر ومستفيد بهذه الثروة القصصية -

(٢) دراسة تاريخ مصر القديم والمجتمع الفرعوني، بأنه يذكر كثيراً من السحر والسحرة، والكهف والصراء والتمايم والكهان -

(٣) القرآن الكريم: خاصة سورة الكهف، لأن حركة الحياة المدنية فيها تجمدت وسكنت

إلى مئات من السنين وجعل أهل المدينة جامدين وساكتين-

وهذا الأسلوب والمنهج يجد القارى كثيرا فى ظلال القرآن ، وخاصة فى تفسير أصحاب الكهف وتفسير الآية ”الذين يؤمنون بالغيب“ فيكتب سيد قطب ”ما قيمة هذه السمة فى الحياة وما جدواها؟ قيمتها هى الاتصال المباشر بين الروح البشرية والوحدة الكونية ، فلا تقوم حواجز الحس دون هذا الاتصال الوثيق ، عندئذ تصان الطاقة الفكرية المحدودة الجمال عن التبدد والتمزق فيما لم تخلق له ، ولم توهب القدرة عليه ، ولا يجدى أن تتفق فيه ، أن الطاقة الفكرية موكلة بهذه الحياة والواقفة القريبة ، تنظر فيها وتعمقها وتتقصاها ، وتعمل وتنتج وتنمى هذه الحياة وتجملها على أن يكون لها سند من تلك الطاقة الروحية التى تتصل مباشرة بالوجود كله وخالق الوجود ، فأما محاولة إدراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود الطاقة ، دون سند من الروح الملهم والبصيرة المفتوحة فهى محاولة فاشلة أولا ، ومحاولة عابثة أخيرا ، فاشلة لأنها فوق طاقة العقل المحدودة وعابثة لأنها تبدد تلك الطاقة التى لم تخلق لمثل هذا المجال ، ولا تملك له أداة ، ولا تعرف إليه سبيلا ، وحتى سلم العقل البشرى بالبديهة والقياس الناشئين فى الحس والتجربة ، حتى سلم بهذه البديهة الأولى لزمه أن يسلم بأن إداركه للمطلق مستحيل ، وأن إحاطته بالكل متعذرة ، وأن عليه أن يكمل الغيب إلى طاقة أخرى غير طاقة العقل الذى يدرك معاملته وينتج فيه ، وأن لا يفتقر بنفسه ، فجعل من ذاته إليها ، ومن تصورات ديننا ، ومن مقولاته شريعة ، لأنه عرضة للخطأ فى الحس ، والضلال فى التجربة ، والتأثر بشئ المؤثرات (٤٢)

فالأستاذ يوسف العظم كتب حول هذه الرواية ”هذان الحق أنها رواية اذا مس القارى فلا يتوقف إلا بعد نهاية الرواية ، ولو أنها تخلو من البواعث الجنسية ، لاتصور فتاة جميلة وجسما فتانا يتلطف بها الشباب مرضى الفكر والذين يحبون الإباحية ، بل هذه الرواية تحمل كفيات الحب العذرى ، وتقدم المشاعر البشرية ، والأحاسيس الإنسانية بدقة وصناعة حيث لا يجد القار

ى الخلق السيئة والأفكار الرزيلة التى تسمم الأذهان والأفكار“ (٤٣)

وتقضى هذه الرواية على التقاليد والطقوس السائدة فى المجتمع، وتدل على أن الحياة التى تملأ بالحب والإخلاص والتضحية، فهى الحياة، لا يتهاون فيها الإنسان على الدناءة والقبح والسخافة بمل قواه، ويتردى به جميع ذلك إلى الهاوية -

ويقدم سيد قطب فى كل مكان من سداجة الحياة والمناصب الملكية و طريقة المتملقين والمكرو الدهاء ويدعوا إلى أن الانسان لافضل له على غيره بالمنصب والجاه والمكانة فى المجتمع ، بل الفضل له بأعماله وعقله وقلبه -

قصص الأنبياء

القصة لون جميل من الحديث ، يستلفت الأسماع ، ويستهوى القلوب ، فاذا كانت القصة دينية قوية الأسلوب ، محكمة النسيج ، ازدادت بهاء وروعة ، وتضاعف تأثيرها فى النفوس والأرواح ، والإسلام الحنيف ممتلىء بالكوان القصص والأحاديث ، ومواقف العبر والعظات ، مما يعد خير زاد يوضع بين أيدي الناشئين من أبناء المسلمين ، حتى يقوم بنیان أرواحهم وعقولهم على أساس متين من هدى القرآن ونور النبوة وصفات البطولة ومكارم الأخلاق -

كانت هذه المؤثرات والعوامل التى هزت سيد قطب مع الأستاذ عبد الحميد جودة السحار أن يقدم إلى الأطفال المسلمين مجموعة من القصص الإسلامى المستمدكى يفترندا من مناهل المعرفة الصحيحة ، والأنباء الصادقة ، والحقائق التاريخية الثابتة -

وهذا كتاب قدم فيه سيد قطب من قصص سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام إلى سيدنا محمد ﷺ وجميع أحوالهم بالصدق والأمانة والصفاء وأختار من الجمل أيسرها وأهونها ، مجارة منه لمستوى الذين سيقراون هذه القصص فيخدم بذلك دينه ، اذ يعرض عن طريق هذه

القصص كثيرا من مبادئه وتعاليمه التي يتلائم ذكرها مع القصة ، أو تنبعث أضوائها من البحر المحيط بالقصة ويخدم بذلك أطفال المسلمين لأنه يقدم إليهم أحسن القصص وأجمل الحوار، وأروع الحوادث ، فيرضى الميول المختلفة في نفس الطفل الهائم بالاستطلاع -

فهذا عمل جميل يضاف إلى أعمال سيد قطب في حقل الدعوة الإسلامية وينبغي أن يذكر مما كتب سيد قطب حول قصص النبيين للأستاذ أبي الحسن الندوي "فليس الكبار وحدهم هم الذين يجب أن يبلغ إليهم الإسلام في صورته النقية ، بل إن قلوب الصغار لاتوم إلى هذا الغذاء ، ليشبوا وطعم الإيمان في نفوسهم ، ونوره في قلوبهم ، بشاشة في أرواحهم والقصص هي المادة الأولى التي تفتح لها تلك القلوب الصغيرة البرئية" (٤٤)

الأطيار الأربعة

هذا كتاب يشتمل على الكتابات المنفصلة لسيد قطب ومحمد قطب وأمينه قطب وحميده قطب ، هؤلاء الأربعة كتبوا عن شخصياتهم ، وكتب أكبرهم سيد قطب في مقدمة الكتاب هذه انطباعات أربعة أطيار ، وهي عصارة نفوسهم وظلال حياتهم ، فتسمى هذه الأطيار والمشاعر بالأطيار الأربعة -

ويحتوى طيف سيد قطب أربعين صفحة من ذلك الكتاب ، يتجلى فيه متانة الفكر ورشاقة البيان، وصور الكاتب مشاعره الداخلية ورنات الحياة المتحركة ، فيقدم من أحاسيسه المنبعثة في وفاة أمه والدعاء لها عند الله والوجد على الدهر ، وحرارة قلبه المشتعلة تجاه فتاة اختارها حياته ، ولكنها كانت لغيره ، وجعلت شجرة ممنوعة ، لا يستطيع أن ينظر إليها ويمديده إليها -

فهذه الانطباعات توقد نفس الكاتب وتفرغ عليه من قوة العواطف وشدة الوجدان ، وكثرة المطامع والأهداف ، فتتشكل من هذه العناصر قصة مجسمة تتحرك على شاشة الحياة -

وإذا ذكر من حادثة حبه وغرامه وهيامه ، فيبدو أنه شديد الحب إليها ومقيد بحدودها وسجين في سجن ذاتها ، لكنه ليس له نصيب من الاتصال والاذدواج ، فيصرخ كيئبا وحزينا أيتها الشجرة الممنوعة ؟ لماذا أتيت في طريقى ؟ ولماذا جعلت شجرة ممنوعة لأستطيع أن أنظر إليها ولأأمسها ، هذا قضاء غير منصف -

فهذه قصة تدل على الحرية الفكرية للكاتب الأديب أنه يواجه جميع القيود والعوائق الاجتماعية ، يعلن ثورته على هذه الحدود التي تحدد الإنسانية وتجعل الإنسان حيوانا ، فهذا طيف أثر عن قلم الكاتب الشاب وحياته يترشح منها الحب والشوق والنشاط والحركة ، ومسئوليته يغيره من الإنسانية والأخوة -

ومانجد في كتابات سيد قطب البدائية ، فهي حرية الفكر وبيان الصداقة والثورة ضد القيود الاجتماعية ، واذادات التجارب يومافيوما ، جعل قائدا ثائرا وناقدا جريئا وأديبا صادقا ، وداعيا مخلصا للإسلام والمسلمين - (٤٥)

طفل من القرية

هذه من إفادات النهضة الحديثة أن الكتاب بدأوا يكتبون عن أنفسهم كثيرا ، ويسجلون إحساسهم بالنسبة للحياة والحوادث - وشاركوا بنفوسهم في كل ماجد وما يجد على هذه الأرض مما يقع تحت سمعهم وبصرهم وحواسهم جميعا - ولم يكتف بعضهم بهذا ، بل أخذوا يلتفتون إلى وراء ، يدونون حياتهم الماضية ويحيون أشجانهم وآمالهم القديمة ، في عهد الطفولة والشباب ، وبين ذلك وبعد ذلك ، بل راحوا يسجلون ذلك تسجيلا على سبيل القصة أو الحكاية أو الدراسة - أما الأول فهو الدكتور طه حسين في كتابه "الأيام" والثاني الأديب الساخر الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني في حكاياته الكثيرة - وقد نشر بعضها في كتابه "صندوق الدنيا" والثالث الأستاذ سيد قطب في كتابه الذي نحن بسبيله -

والأستاذ سيد قطب أديب ناقد شاعر فى طليعة الأدباء المعاصرين ، وهو من رواد المدرسة الحديثة على القول بوجودون المدارس فى الأدب ، وهو يحمل أيضاً ذاته شخصية متكاملة ووجوداً مستقلاً.

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا صور ريفية منذ خمسة وعشرين عاماً تقريباً ، نقلها عن قرية من قرى الصعيد بما فيها من سراء وضراء وأحزان كظيمة ، وقد عنى الأستاذ سيد قطب برسم صورة عن الطفل فى قريته ، وكأنه لا يريد لهذه الصورة أن تتدرج من سنة إلى أخرى فى سنى حياته بل يريد لها صورة عامة لطفل فى فترة من الزمن قد تكون عشر سنوات أو أكثر أو أقل من غير نظر إلى ترتيب الحوادث ترتيباً زمنياً ، وهذه طريقة حسنة فيما نرى ، وهى أقرب إلى الطريقة التصويرية منها إلى الطريقة الإنشائية التاريخية أى هى أقرب إلى فن التصوير والرسم منها إلى فن الكتابة ، لولا هذه الكلمات التى تتخذ مادة لتكوين الصورة والتعبير عنها وهى تخضع لبعض نظريات علم النفس ، والأستاذ سيد لا يفوته أن يشير إلى الانطباعات الأولى فى نفس الطفل التى لها أثر فى حياته فيما بعد ، وليس يفعل ذلك فى كل حين ، لأن الكتاب كله إشارة إلى هذه الانطباعات . إنما يفعله فى أهم الأشياء عنده وأغرها لديه . أنظر إلى الشاعر الأديب الذى يهدف إلى نوع خاص من الجمال وهو يردّه إلى أصله الأول ، إلى البنت . وهى زميلته فى المدرسة ، وهواه البكر . التى زارت أخته هى وصواحبها "كانت هذه الثانية خمرة اللون ، ذات طابع خاص غير مكرر فى الوجود . ولم يكن حسب مقاييس القرية جميلاً ، فليست بيضاء البشرة ، وليست أنفها دقيقاً بالقدر المطلوب ، وليس كذلك "خاتم سليمان" . ولكنها هى وحدها من بين بنات المدرسة جميعاً ، كانت تبدو فى نظره جميلة ، وكان سر جمالها عنده أنها ذات طابع خاص ، وإن لم يكن يدركه فى ذلك الحين معنى الطابع الخاص وعند ما غادر القرية إلى القاهرة ظل هذا الوجه يخاليل له ويرسم نماذج الجمال فى نظره ، حتى عاد بعد ثلاثة أعوام ،

وقد تغيرت حياته وتغيرت ثقافته وتغير عالمه إلا أن السؤال الذى توجه فى حذر والتواء كان هو السؤال عن مصير الطفلة التى فتنته أول مرة ، وعلم أنها متزوجة ، وأنها تزوجت فى جهة نائية عن القرية ورأى نفسه فى حاجة لأن ينسحب من الجمع ورأى عينيه يتغران بالدموع -

وأهم فصول الكتاب على ماأرى فصل العفاريت ، وفصل حركة ثقافية وفصل إخوان الريف - فصل الحركة الثقافية فصل فيه الأستاذ ما كان مجوزة الطفل من الكتب، وكان أهم هذه الكتب فى الطفل كتاب إلى معشر المملوكى، وكتاب شهورس - اذ كان يابى إلا أن يستجيب لرغبات الأوانس السيدات فى عقد الوداديين الأزواج والحب بين الأوانس والشباب، ولكن مما يثير التساؤل أنه لم يتكلم عن قصص أبى زيد، قصص الزبير سالم وكليب، وقصص الرناتى خليفة ودياب بن غانم، وقصة الأميرة ذات الهممة، سيدى محمداليطال، ولم يحدثنا عن حدود احتفاءه بها وكلفه بقرأتها، مع أنه يخيل إلينا أنها ذات أثر فعال فى حياته فيما بعد -

والكتاب مهدلة إلى الدكتور طه حسين، وفيه مشابهة من كتاب "الأيام" وإن لم تكن مقصودة ، وأقلها أنه طلع علينا بالطفل مميزا ليسعى، ووقف بنا معه على حدود القاهرة ، وقد أدرك الأستاذ ذلك فى إهداءه الكتاب - فقال "إلينا يا سيدى أيام كايامك - عاشها طفل فى القرية - فى بعضها فى أيامك مشبه، وفى سائرها عنها اختلاف" (٤٦)

سيد قطب - شاعرا

سيد قطب قد قرض الأشعار والقصائد حين أعلن طبعها ونشرها فى أربعة دواوين، ولكن من سوء الحظ أن لم ينشر إلا ديوان واحد ، يسمى ب "الشاطى المجهول" - أما "قافلة الرقيق" "والكاس المسمومة" "وحلم الفجر" فلم يكتب لها من الطباعة والنشر، بل طبعت عدة قصائد وأشعار فى المجلات والجرائد -

يحتوى هذا الديوان على ١٦٠ صفحة، عبر فيها عن هموم قلبه وخلجات نفسه

بالصدق والحرارة، ونقل شعره عن طبع دقيق، وحس صادق، وذوق سليم، وروح قوى، فيأتى به مطرد السلك، محكم السبك لا يشوبه ضعف ولا لغو ولا تجوز ولا قلق، وهو يحاول أن يخرج الشباب والناشئين من حب المال والجاه والسجود للأعيان والروساء، ويحاول أن ينكس الأعلام والطواغيت الفراعنه أمام الإيمان والقيم الإسلامية، والمثل الإنسانية، فيعرض عن المدح أو الوصف أو الرثاء، ولا يمس الشعر الفاحش، والمدح الكاذب، والهجو، والصيت المتزايد، وانصرف بالهامه وأنغامه إلى الدين، ويذود عن فكرته، ويهتف بمجده، ويعرب عن شعوره وينقل عن طبعه، ويتغنى بجهاده، حتى مدحت له مصر والعالم الإسلامى-

وصاغ الشاعر من الألفاظ المتخيرة، والمعاني المبتكرة، وصار ينشد الحب والموت والجمال والصدقة والإنسان والفطرة وحافظ فى دينه ولغته وفنه فى جميع الأوقات-

فينقب الشاعر عن ماضيه الذى فقدته فى الروض والأزهار والليالى المظلمة وفى الليالى القمرء وفى الفجر والأنداء والشذى وفى لحن الطائر، فهو يقول:

أنقب عن ماضى بين سرائرى	فألحمه كالوهم أو طيف عابر
أنقب عن نفسى التى قد فقدتها	بنفس التى أعيها بها غير شاعر
أطلبها فى الروض اذا كان همها	تأمله يفضى بتلك الأزاهر
وفى الليل اذ يغشى وكانت اذا غفا	تقظ فيها كل غاف وسادر
وفى الليلة القمرء اذ تهمس الرؤى	وتولى للأرواح إيماء ساهر
وفى الفجر والأنداء يقطرن والشذى	يفوح، ويشجى سمعه لحسن طائر

واذا ذكر الحب والهوى فيبعد عن الفحشاء والمنكر والفكر المتخلف، بل يقدم فى الأفكار السامية والمشاعر العفيفة، ولا تترشح من أى شعر العواطف الدنيئة، بل الحب يفيض

على الحياة بخصبه ويوفر النفس من الطمأنية والهدوء، ويملى الكون بالحركة والزهرة والنشاط،
فينشد:

تغلو الدقائق فى حياة خصبة وتهون أعوام بعمر محبوب
الحب فاض على الحياة بخصبه وأجد عمراننا بكل محرس
وأزاح أستار الدجى فتكشفت ظلماته عن كل زاه معجب

وينادى الشاعر حبيبته اذا غزا عليه اليأس والقنوط، فيقول:

هذا الفواد الذى خلقتة تعباً مضى معنى يرجى منك تقرباً
هذا الرجاء دماء اليأس فانطمست آثاره وتوارى ضوئه وخبا
وبات قلبى كالمحراب دارسة أطلاله يترأى موحشاً خرباً
يجلل الصمت والذكرى جوانبه ويطويان به الأجيال والحقبا

واذا وصل الربيع وبدت تباشيره، فكيف يرى الشاعر

زهرة قد كاد الذلول ثم حيتها تباشير الربيع
فهى ترنو بين صحو وذهول مثلها تحترق فى العين الدموع

هذه قصيدة "الصبح يتنفس" كيف أفرغ سيد قطب فيها من جمال الفطرة وحسن الطبيعة -

نسمات زفها الفجر الوليد بعد ما جاش بها صدور الحياة
ناعمات مثل أنفاس الورود بلل الطل شذاه نبده
ستخلف الأيام قاعاً صفصفاً تدور الرياح بها غبار الفدالفد

وهبل هبل رمز السخافة والدجل رمز السخافة والجهالة والدجل

هبل هبل رمز الخيانة والجهالة والسخافة والدجل

هتافه التهريج ماملوا الشناء

زعموا له ماليس عند الأنبياء

ملك تجلب بالضياء وجاء فى كبد السماء

هو فاتح هو عبقرى ملهم

هو مرسل هو عالم ومعلم

هبل هبل

رمز الخيانة والعمالة والدجل

لكنما الأحرار فى هذا الزمان هم القليل

فليدخلوا السجن الرهيب ويصبروا الصبر الجميل

وليشهدوا أقسى رواية، فلكل طاغية نهاية

ولكل مخلوق أجل هبل هبل

وكذلك يكاطب الشاعر أحياءه الأصدقاء الذين يبيعون أنفسهم فى سبيل الله، فيقول

أخى أنت حروراء تلك السدود أخى أنت حر بتلك القيود

إذا كنت بالله مستعصما فماذا يضيرك كيد العبيد

أخى ستبىد جيوش الظلام ويشرق فى الكون فجر جديد

فأطلق لروحك أشواقها يرى الفجر يرمقنا من بعيد

أخى قد أصابك سهم ذليل وغدرا رماك ذراع كليل

سيتر يوما فصير جميل ولم يرم بعد عرين الأسود

أخى قد سرت فى يدك الدماء أبى أن تشل بقيد الأماء

سترفع قربانها للسماء فحضبت به بوسام الخلود
 أخى هل تراك سئمت الكفاح وألقيت عن كاهلك السلاح
 فمن للضحايا يواسى الجراح يرفع رايتها من جديد
 أخى إن ذرفت على الدموع وبللت قبرى بها فى خشوع
 فأوقد لهم من رفاتى الشموع وسيروا بها نحو مجد تليد
 أخى أن أمت دون أحبائنا فروضات ربى أعدت لنا
 وأطيارها رفرفت حولنا فطوبى لنا فى ديار الخلود
 أخى إننى ماسئمت الكفاح ولأننا القيت عنى السلاح
 وإن طوقنى جيوش الظلام فأنى على ثقة بالصياح

وكذلك عبر عن قوته وشهادته وجرأته اذ كانت الدنيا تتغنى بأغنية الفرعون ، فأبدى
 ما أبدى الشاعر لم يكن إلالمومن مجاهد لا يخاف الا الله ، ولا يخاف قوة ولا حكومة ، فيقول فى
 القصيدة "فلسطين الدامية -

عهد على الأيام أن لاتحزنوا النصر ينبت حيث يرويه الدم
 من حيث تعبط الدماء فأيقنوا أن سوف تحيا بالدماء وتعظموا
 تبغون الاستقلال تلك طريقه ولقد أخذ تم بالطريق فيمحوا
 وهو الجهاد حمية جياشة ما أن تخاف من الردى أو تحجم
 إن الخلود لمن يطيق ميسر فليمض طلاب الخلود ويقدموا

سيد قطب - ناقد أدبي

قدم سيد قطب من البحوث النقدية، وعرض كل ما وجد حول كتاب وشخصية بلاخوف لومة لائم صادقا في صدده ومخلصا للفن والأدب، فأتى بنقد حول كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" والنقد الأدبي - أصوله ومنهجه "و"كتب و شخصيات" -

هذه الكتب تبدى لنا سيد قطب كناقد عظيم حيث فتح منافذ عديدة - في مجال البحث والنقد -

فأحاول أن أعرف الكتاب "النقد الأدبي - أصوله ومنهجه" هذا كتاب من أهم كتب سيد قطب في مجال النقد الأدبي، لأنه استعرض فيه جميع المشاكل التي يواجهها الأدب، وألقى الضوء الكامل على مناهج النقد، ودعا إلى اختيار المنهج المتكامل -

وقد كتب سيد قطب وهو يرفع كتابه "إلى الإمام عبدالقاهر الجرجاني أول ناقد عربي، أقام النقد الأدبي على أسس علمية نظرية، ولم يطمس بذلك روحه الأدبية الفنية وكان من ذوقه الناقد، وذهنه الداعي ما يوفق به بين هذا وذاك، في وقت مبكر شديد التكبير"

وذكر في المقدمة من وظيفة النقد الأدبي وغايته ملخصا "تقديم العمل الأدبي من الناحية الفنية، فبيان قيمته الموضوعية، وقيمه التعبيرية، والشعورية، وتعيين مكانه في خيط سير الدرب وتحديد ما أضافه إلى التراث الأدبي في نعته، وفي العالم الأدبي كله، وقياس مدى تأثيره فيه، وتطوير سمات صاحبه وخصائصه الشعورية والتعبيرية وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوينه والعوامل الخارجية كذلك" (٤٨)

ولقد خطونا خطوات لها قيمتها قديما وحديثا - مافي ذلك شك، ولكننا لم نزل بعيدين عن الكمال، أو ما يشبه الكمال في هذا الاتجاه -

وأول نقص ملحوظ أنه ليست هناك أصوله مفهومة، بدرجة كافية - للنقد الأدبي

وليست هناك مناهج كذلك تتبعها هذه الأصول -

ومعظم ما يكتب فى النقد الأدبى عندنا اجتهاد ، وذلك طبيعى مادامت الأصول لم توضع ، والمناهج لم تحدد بالدرجة الكافية -

وجعل موضوع النقد الأدبى هو "العمل الأدبى" وماهيته وغايته والقيم الشعورية والتعبيرية فيه ، وفنونه المتنوعة ، وأن يبين أصول كل فن من فنونه ، وطريقه نقده وتقديمه وقال "إن الموضوع لا يحدد طبيعة العمل ، ولكن طريقة الانفعال بالموضوع التى هى تحدده ، فمجرد وصف حقيقة طبيعية مثلاً وصفا علمياً بحثاً ، ليس عملاً أدبياً مهما تكن صيغة التعبير فصيحة مستكملة - لشروط التعبير : أما التعبير عن الانفصال الوجدانى بهذه الحقيقة فهو عمل أدبى ، لأنه تصوير لتجربة شعورية ولكن التعبير عن التجربة الشعورية لا يقصد به مجرد التعبير ، بل رسم صورة لفظية موحية مشيرة للانفعال الوجدانى فى نفوس الآخرين ، وهذا شرط العمل الأدبى وغايته ، وبه يتم وجوده ويستحق صنعه" (٤٩)

ولم يخالف سيد قطب فى أى مرحلة الاستفادة من النقد الأوروبى ، ولكن قيدها بشرط أن له ظروف تاريخية وطبيعته غير ظروفه ، وقال "بل أثرت أن أتحدث عن هذه المناهج فى محيط النقد العربى القديم والحديث ، فإذا اضطرت إلى الاقتباس من مناهج النقد الأوروبى ، كان هذا فى الحدود التى تقبلها طبيعة النقد فى الأدب العربى ، وتنتفع بها وتنموا بها طبعاً ، بعيداً عن التكلف والافتعال" (٥٠)

وقد تحدث عن مناهج النقد وقسمها فى أربعة أقسام : المنهج الفنى ، والمنهج التاريخى ، والمنهج النفسى ، والمنهج المتكامل ، وأثر المنهج الفنى على المنهج التاريخى والمنهج النفسى ، ولكن يتضح بعد الدراسة أن المنهج المختار لدى المؤلف هو المنهج المتكامل الذى تنتفع بهذه المناهج الثلاثة جميعاً ولا يحصر نفسه داخل جامد أو منهج واحد ،

وإذا بحث المنهج التاريخي فحكم على أنه يقوم على دعامتين : الأولى : تأثرنا الذاتي بهذا النص ، ذلك التأثير المنبعث من ذوقنا الخاص وتجاربنا الشعورية والفنية السابقة - الثانية : نظرنا الموضوعية على قدر الإمكان إلى القيم الشعورية الكامنة في هذا العمل - (٥١)

وقد أثر المؤلف المنهج الفني ، وهو في الحقيقة متكامل من منهجين أو ثلاثة : المنهج التأثري والمنهج التقريرى ، والمنهج الذوقى ، أو الجمالى - وإنما هو أقرب المناهج إلى طبيعة العمل الأدبى -

وإن هذا المنهج أى المنهج المتكامل لا يعد النتاج الفنى افراز للبيئة العامة ولا يحتم عليه كذلك أن يحصر نفسه فى مطالب جيل من الناس محدود ، فالفرد فى عصر من العصر قد يعبر عن أشواق إنسانية للجنس البشرى كله ، ولمشكلات هذا الجنس الخالدة التى لاتتعلق بوضع اجتماعى قائم أو مطلوب ، إنما تتعلق بموقف الإنسانية كلها من هذا الكون ومشكلاته الخالدة ، كالضيق والقدر وأشواق الكمال الدنية الكامنة فى الفطرة البشرية - (٥٢)

وبالجملة هذا التأليف إنما هو مصدر مهم لدراسة النقد الأدبى العربى ومناهجه مع الاستفادة من الآداب الأخرى -

كتب وشخصيات

هذا كتاب ثان فى مجال النقد والبحث ، وهو استعراض كامل ، أدرك فيه المؤلف فصل النقد فى المكتبة العربية ، وظهر كناقذ ووضع مفتاح كل مؤلف فى أيدي القراء ، وجعل هذا المفتاح لازماً للمؤلف نفسه ، كما يكتب " لابل إن هذا المفتاح ضرورى للمؤلف نفسه ، لا للقراء وحدهم - فكثير من المؤلفين لا يعرفون أنفسهم ، ولا يلتفتون إلى خصائصهم ، وهم يستفيدون من الناقد الذى يضع المرأة أمام وجوههم ليتبينوا فيها ملامحهم الأصلية -

وليس من وظيفه الناقد أن يغير طبيعة المؤلف ولكن من وظيفته أن يعرف هذه الطبيعة ،

ويبلورها ، ويقيس أعمال المؤلف بها ويهديه إليها أو انحرف في فترة من فترات الضعف والكلال “ (٥٣)

وإن القارى يجد فيه أبحاث نقدية فى فصول الشعر، والقصة ، والأقصوصة ، والمسرحية ، والتراجم ، والبحوث الأدبية والاجتماعية ، وتناول المؤلف فيه شخصيات من جميع الأنماط والمستويات ومن شتى البلاد الناطقة بالعربية -

هذا الكتاب يشمل أصول النقد والفن وطريقة الأداء فى الفن والصور والظلال فى الفن ، والوعى فى الشعر العربى ، والنفس الإنسانية فى الشعر العربى والطبيعة فى الشعر العربى وعالم القصة والرواية ، مثلاً على هامش السيرة ، أحلام شهرزاد وشجرة البئوس لطفه حسين وبى جاليون والرباط المقدس لتوفيق الحكيم ، وإبراهيم الثانى للمازنى ، والرواية الشعرية بين شوقى وغريزا باظة ، والعباسة لعريزا باظة ، وسارق النار لخليل هنداوى وخان الخليلى لنجيب محفوظ، وبنت الشيطان لمحمود تيمور، وقنديل أم هاشم ليحى حقى وغيرها من العناصر النفسية والدراسات التاريخية والصحفية -

واختار المؤلف فى هذا الكتاب طريقة الاستعراض ، وكتب كل ما شعر وأحس حول شخصية أو كتابة كما يكتب حول مذهب الدكتور طه حسين وطريقته فى الكتابة ”للدكتور طه حسين مذهب فنى، له فيه تلاميذ كثيرون ، كلهم يحاول أن يتأثره ويثبت بخصائصه وينسج فيه على منواله ، ولكن واحد منهم لم يحقق هذه الخصائص إلى اليوم على الوجه المطلوب ، وأوضح مثال لهذه المحاولة هو الدكتور شوقى صنيف ، وبخاصة فى كتابه ”الفن ومذاهب فى الشعر العربى الذى نال به الدكتوراه أخيراً من كلية الآداب ونال عليه فوق الدكتوراه شكر الجامعة أيضاً -

نستطيع أن نطلق على مذهب الدكتور طه حسين إسم مذهب الاستعراضى التقريرى

”فالدكتور فى خير حالاته يرسم لوحات متتابعة أدواته فيها الكلمات والجمل : لوحات للمناظر وللحوادث وللمعانى وللخطوط النفسية والالتفاتات الذهنية على السواء ، وتلك ميزته الكبرى كصاحب شخصية أدبية وصاحب مذهب فنى كذلك“

ويلقى ضوء اعلى قيمة الكتاب فيقول ”قيمة من الوجهة الذاتية أنه وبخاصة الجزء الأخير يجمع أفضل خصائص الدكتور وأحسن مزاياه وينجو من كل عيوبه التى توجد بعض الكتب الأخرى-

وقيمته من الوجهة الموضوعية أن الكتاب الأول فى اللغة العربية الذى يجعل من بعض حقائق السيرة وبعض أساطيرها فنا حيا جذابا ولكنه لا يقف عند هذا الحد ، بل يحيل هذا الفن الحسى الجذاب صورة علمية صادقة للجزيرة العربية وأطرافها فى الفترة بين مولد النبى ﷺ فى الجزء الأول ، وانتصار دعوته فى الجزء الثالث ، صورة للحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية وصورة لما يهيجس فى الضمائر والأخلاق ، ويبدو من الاتجاهات والآراء - وصورة للبيئات وللأفراد فى الحياة هناك ، وذلك كله حسب كتاب ليكون عملا يستحق التقدير وإنه للكتاب فى أعمال الدكتور ، لا يوازيه من هذا الكتاب ”الأيام“ (٥٤)

ونقد على رأى كاتب اذا أحس أنه يخالف للأراء الجماعية كما يكتب ناقدا حول رأى محمود تيمور ”والناس فى مصر ليسوا كما يتوهم المؤلف ، لافى طبيعتهم ، ولا فى أحاديثهم ولا فى خلجاتهم النفسية ولا فى سمة من السمات المحلية الكثيرة التى تبرز طابعهم - إنهم ليسوا مصريين لأنهم ليسوا أدميين“ (٥٥)

ويوضح كثيرا فكرة الكاتب والكتابة كى يستفيد به القارى ويقوم له رأى صحيح حول مؤلف وكتاب ، فيبحث عن الفكرة التى توجد فى قصة بنت الشيطان لمحمود تيمور فيقول ”والفكرة كما ترى جيدة براقه ، ولو تولاه قلم حى لأخرج منها قطعة فنية حية ، ولكنك

تقرأها هنا فتعجبك الفكرة، ثم ينقصك التنسيق الذى يقرر الحركة المناسبة فى موعدها المرسوم وهناك مواقف بين الفتى والفتاة، تتوقع فيها حركة ما، ويرتفع نبضك فى انتظارها، ولكنك تمر كما لو كانت فى سنة! أو كما لو كنت متفرجا بغير حماس“ (٥٦)

وخلاصة القول هذا الكتاب استعراض سريع حول كتاب ومؤلف قرأه الأستاذ سيد قطب، فكتب وأحسن فى كتابته وأدلى رأيه ونقده بلا خوف ولا هوادة، وهذه الصراحة والجرأة والقوة المتدفقة متجلية فى كل لحظة. وأوان، وفى كل صفحة وعنوان، ويقوم أراءه وانفعالاته فى أسلوب قوى وطرز جميل يفرح به القارى ويدعوله.

الهوامش

- (١) خير الدين الزركلى: الأعلام، ١٤٧/٣
- (٢) أبو الحسن على الحسنى الندوى: مختارات من أدب العرب، ١٥١/٢ و The oxford Encyclopedia of the modren Islamic world v.iii p.400.
- (٣) محمد يوسف كوكن: أعلام النثر والشعر فى العصر العربى الحديث، ٤٥٠/٣
- (٤) The Oxford Encyclopidia: Ibid,P.400
- (٥) محمد يوسف كوكن: المصدر المذكور
- (٦) خليل احمد حامدى: جاده منزل ترجمه أردوية لمعالم فى الطريق، ١٦
- (٧) د/عبيد الله الفهد ود/صلاح الدين العمرى: سيد قطب شهيد - حيات وخدمات، ٣٧
- (٨) محمد الحسنى: مجلة البعث الاسلامى، المجلة العدد
- (٩) أنظر لتفاصيل، يوسف العظم: الشهيد، سيد قطب، ٧٦ والفهد والعمرى: المصدر المذكور: ١٧١-١٧٢-
- (١٠) خليل حامدى: المصدر المذكور، ٣٩-٤٠

- (١١) سيد قطب: فى ظلال القرآن، ٥/٢
- (١٢) المصدر المذكور: ٦
- (١٣) أنظر للتفاصيل: يوسف العظم: المصدر المذكور، ٢٥ وما بعد
- (١٤) سيد قطب: المصدر المذكور، ٦
- (١٥) سيد قطب: فى ظلال القرآن، ١٨٥/٣٠
- (١٦) المصدر المذكور، ١٨٦/٣٠ -
- (١٧) المصدر بنفسه -
- (١٨) سيد قطب: فى ظلال القرآن، ١٥-١٤/١
- (١٩) المصدر المذكور: ٢٣٨/٣٠
- (٢٠) المصدر المذكور: ٥١/٣٠
- (٢١) المصدر المذكور: ٥٤/٣٠
- (٢٢) سيد قطب: فى ظلال القرآن، ٨٥-٨٤/٢
- (٢٣) سيد قطب: مشاهد القيامة فى القرآن، كلمة الإهداء -
- (٢٤) المصدر المذكور: ٩-٨
- (٢٥) المصدر المذكور
- (٢٦) المصدر المذكور: ١١
- (٢٧) المصدر المذكور: ٣٨
- (٢٨) المصدر المذكور: ٣٩
- (٢٩) سيد قطب: مشاهد القيامة فى القرآن: مقدمة الكتاب، ٧
- (٣٠) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن، كلمة الإهداء -
- (٣١) المصدر المذكور: ٨-٧
- (٣٢) المصدر المذكور: ٩
- (٣٣) المصدر المذكور: ١٠

- (٣٤) أنظر للتفاصيل: سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، ٧
- (٣٥) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ٢٣
- (٣٦) المصدر المذكور: ٧٤-٧٥
- (٣٧) المصدر المذكور: ١٢٠
- (٣٨) المصدر المذكور: ١٢١ وما بعد
- (٣٩) يوسف العظم: المصدر المذكور: ٨٧
- (٤٠) د/العمرى، المصدر المذكور:
- (٤١) يوسف العظم، المصدر المذكور: ٩٧-٩٨-
- (٤٢) سيد قطب: في ظلال القرآن ١/٢٠-
- (٤٣) أنظر للتفاصيل: يوسف العظم: الشهيد سيد قطب، ٩٠-٩٧
- (٤٤) سيد قطب: مقدمة لكتاب "قصص النبيين" ج ٣ لأبي الحسن على الندوى-
- (٤٥) أنظر للتفاصيل: د/الفهد ود/العمرى: المصدر المذكور: ٢٠٤-٦-٢ ويوسف العظم: المصدر المذكور: ١٠٢
- (٤٦) أنظر للتفاصيل: مجلة الكتاب، المجلد الثانى سنة ١٩٤٦
- (٤٧) أنظر للتفاصيل: د/العمرى: المصدر المذكور: ٢٢٠-٢٢١
- (٤٨) سيد قطب: الفقء الأديب- أصوله ومناهجه، ٥
- (٤٩) المصدر المذكور: ٩
- (٥٠) المصدر المذكور: ٦-٧
- (٥١) المصدر المذكور: ٦-٧١٧
- (٥٢) أنظر للتفاصيل: المصدر المذكور: ٢٦٥-٢٦٦
- (٥٣) سيد قطب: كتب وشخصيات، ٦
- (٥٤) المصدر المذكور: ١١٤
- (٥٥) المصدر المذكور: ١٥٦
- (٥٦) المصدر المذكور: ١٨٧-١٨٨

محمد الغزالي

الشيخ محمد الغزالي، فهو من القلة النادرة التي تربي على عملها وفضلها أكثر من جيل، لا في مصر وحدها. ولكن في كثير من البلدان العربية والإسلامية -- وكيف لا وهو الذي تربي في أحضان الدعوة، ورضع من لبنائها، وتلمذ على جهابذة العلم، وأساتذة الفكر، وأساطين الدعوة، وعلى رأسهم الإمام الشهيد حسن البنا.

إن هذا النوع من الدعاة يشب الماء في ربه للظمان، وتطهيره للأبدان وتثبيته للأقدام -- إنه كالغيث أينما وقع نفع، إنه كالشمس إذا غربت في جهة أخرى، فلا تزال طالعة أبدا. مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد الغزالي الباحث الديني المصري، وعضو بارز لجمعية الإخوان المسلمين في محافظة البحيرة عام ١٩١٧م، وتدرج في مراحل التعليم في القرية، فحفظ القرآن الكريم مبكراً، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني والبدائي، ودرس فيه الكفاءة والثانوية، ثم غادر الإسكندرية إلى القاهرة، والتحق بكلية الدين في جامعة الأزهر عام ١٩٣٧م، وتخرج فيها ١٩٤١م - (١)

وتخصص في الدعوة، ثم حصل على العالمية مع إجازة التدريس، وهي تعادل الماجستير عام ١٩٤٢م. وعمل واعظاً في الأزهر، ثم مفتشاً للمساجد، وعين بعد ذلك مديراً لقسم الأوقاف، ثم مديراً لإدارة الدعوة الإسلامية، ووكيلاً لوزارة الشؤون الإسلامية. وهو في كل هذه المراحل كان محاطاً بالرعاية الربانية، فتلقى العلوم الشرعية منذ نعومة أظفاره، وحفظ القرآن الكريم في صغره، وأتم دراسته في المعاهد الدينية وارتوى من مناهل أصول الدين - وهذه الأمور مجتمعة من تشبع بروح الإسلام النقية ومن التطلع معرفة أسرار الشريعة الغراء، أثناء دراسته

تعرف على الداعية الشهيد حسن البناء، وصادفته دعوته هوى نفسه، ولمست شفاف قلبه، وانطلق مع قافلة الدعوة مجاهدا مناضلا لترشيخ أهداف الدعوة الشاملة، فكانت حياته مليئة بأنواع من النشاط المتعدد الجوانب والكفاح المترامي الذى ينوء بعمله مئات رجال- (٢)

ولكن هذا النشاط الدعوى الذى يستغرق فى العادة، كل أوقات الناس، ولم يكن ليصرف أستاذنا الكبير عن المساهمة فى الميدان الثقافى العلمى- فقد عرفته المنابر خطيبا موهوبا، وعرفته الجامعات محاضرا فذا، سريع البديهة، جديد الفكر، واسع الإحاطة، شامل النظرة، وعرفته الأوساط العلمية، مولفا قديرا، يوضح معالم الفكر الإسلامى، وينقيه مما أحاطه به من شبهات، والحق به من شوائب، وأثرى المكتبة الإسلامية بالكتب المفيدة والأفكار البناءة- (٣)

ونال الشيخ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٩هـ، وسر بذلك كثيرا وقال: حمدت الله حمدا كثيرا طيبا عند مانلت جائزته الملك فيصل العالمية، وشعرت بأن هذه المنحة إمارة أعلى الرضوان الأعلى، وتذكرت ما رواه المسلم "عن أبى ذر رضى الله عنه - قيل لرسول الله- أريت الرجل يعمل فى الخير، ويحمده الناس عليه قال: تلك عاجل بشرى مؤمن" فان تكن الجائزة التى من الله بها لبشرى معجلة، ففى الفوائد شوق إلى البشرى المؤجلة المخبثوة من طيات الغيب والتى نرتقب من المنان تباركت أسماءه أن يتطوع بها على عبد يمرح فى ستره، ويتطلع إلى عفوه "يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم- جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها، ذاك هو الفوز العظيم"

سمع الله نداء الشيخ الحار، واستجاب دعاءه، فيسر له الحضور فى مدينة الرياض فى

نفس المكان والزمان وبعد مرور ستة أعوام- (٤)

وأنه نال "جائزة الدولة التقديرية" من جانب حكومة مصر "وجائز التمتع والامتياز من الحكومة الباكستانية، وجائزة الدعوة الإسلامية فى الجزائر، ومن أبرز علامات القبول والرضوان

أن ترشح المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية "إيسيسكو" فضيلة الشيخ محمد الغزالي لنيل جائزة السلطان حسن العالمية "سلطان برونائي دارالسلام" للدراسات الإسلامية لعام ١٩٩٦م، وقد أعلنت العامة للجائزة التي يتولاها مركز الدراسات الإسلامية في لندن: أن موضوع هذه الجائزة هذه السنة وهو القرآن وعلومه، وشاءت إرادة القدر أن ينشر في مجلة المجتمع في اليوم الثالث عشر من مارس سنة ١٩٩٦م، هذا الخبر السار في وقت أثارت وفاة الشيخ حزنا عاما لجائزة الملك فيصل العالمية عند ما طلب من المنان الحنان تباركت أسماءه أن يتطوع بالمغفرة والرضوان، على عبد يمرح في ستره ويتطلع إلى عفوه. (٥)

داعيا عظيما

وكان الشيخ محمد الغزالي داعيا عظيما، ويدور رحي أكثر كتبه صاغة وموضوعا حول الدعوة والمشاكل في سبيلها، ويباهى أكثر أنه أكرم الله على نفسه أن يجعله داعيا إلى دينه وسنة رسوله.

فيذكر مما ينبغي لكل من يدعو إلى الله فيكتب "وللقراءة أهمية خاصة لكل من يدعو إلى الله، بل هي الخلفية القوية التي يجب أن تكون وراء تفكير الفقيه والداعية.

إن القراءة أي الثقافة هي الشئ الوحيد التي تعطى فكرة صحيحة عن العالم وأوضاعه وشؤونه، وهي التي تضع حدودا صحيحة لشتى المفاهيم، وكثير ما يكون قصور الفقهاء والدعاة راجعا إلى فقرهم الثقافي، والفقر الثقافي في العالم الديني أشد خطورته من فقر الدم عند المريض وضعاف الأجسام، لا بد للداعية إلى الله أن يقرأ في كل شئ يقرأ كتب الإيمان، ويقرأ الإلحاد، ويقرأ كتب السنة، كما يقرأ في الفلسفة، وباختصار كل منازع الفكر البشري المتفاوت ليعرف الحياة والمؤثرات في جوانبها المتعددة. (٦)

وكذلك يلقي الضوء على مقتضيات العصر في سبيل الدعوة والإرشاد "أما في هذا العصر،

فإن أعداء الإسلام قد تضاعف نشاطهم ، ونمت أحقادهم ، وكثرت العقبات التي وضعوها في طريق الدعاة ، استطاعوا استغلال التفوق الحضارى لوقف الزحف الإسلامى فى أقطار كثيرة ، بل ولعلمهم استغلوا ثرائهم وقدرتهم فى فتنة طوائف من المسلمين فى أفريقيا وآسيا وأوروبا ، ولذلك لا يكفى أن تعمل أجهزة الدعوة الإسلامية ، بل لابد وأن تكون من وراءها خدمات شتى اجتماعية وصحية وتعليمية وثقافة (٧)

وإن الداعية المسلم فى عصرنا هذا يجب أن يكون ذا ثروة طائلة فى الثقافة الإسلامية والإنسانية ، بمعنى أن يكون عارفاً للكتاب والسنة والفقه الإسلامى والحضارة الإسلامية ، وفى الوقت نفسه ويجب أن يكون ملماً بالتاريخ الإنسانى وعلوم الكون والحياة والثقافات الإنسانية المحاصرة التى تتصل بشتى المذاهب والفلسفة -

ويجب أن يدعوا إلى الله أن يتجرد لرسائله التى يودىها فتكون شغله ، وعليه أن يعامل الناس بقلب مفتوح ولا يكون أنانيا ولا حاقدًا ولا تحركه النزعات العابرة ولا ينحصر داخل تفكيره الخاص - (٨)

كاتباً ومؤلفاً

وقد كتب الشيخ الغزالي وألف من مؤلفات كثيرة حول موضوعات مختلفة ، كما يلي -

(١) مع الله - دراسات فى الدعوة والدعاة -

(٢) كفاح دين -

(٣) كيف نفهم الإسلام -

(٤) معركة المصحف فى العالم الإسلامى -

(٥) من معالم الحق -

(٦) نظرات فى القرآن -

- (٧) الآفاق-
- (٨) أيها الولد-
- (٩) فقه السيرة-
- (١٠) الإسلام والمفتري عليه-
- (١١) الإسلام والاستبداد السياسى-
- (١٢) الإسلام والأوضاع الاقتصادية-
- (١٣) الإسلام والطاقات المعطلة-
- (١٤) الإسلام والمناهج الاشتراكية-
- (١٥) تأملات فى الدين والحياة-
- (١٦) التعصب بين المسيحية والإسلام-
- (١٧) الجانب العاطفى فى الاسلام-
- (١٨) جدد حياتك-
- (١٩) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة-
- (٢٠) خلق المسلم-
- (٢١) دفاع العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين-
- (٢٢) عقيدة المسلم-
- (٢٣) فى موكب الدعوة-
- (٢٤) فذائف الحق-
- (٢٥) الإسلام والأديان الأخرى-
- (٢٦) الإسلام أحقاد وأطماع-

- (٢٧) حصاد الغرور-
- (٢٨) مستقبل الإسلام-
- (٢٩) ظلام من الغرب-
- (٣٠) ركائز الإيمان بين العقل والقلب-
- (٣١) الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الخامس عشر-
- (٣٢) الإسلام في وجه الزحف الأحمر-
- (٣٣) في الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء-
- (٣٤) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين-
- (٣٥) واقع العالم الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر-
- (٣٦) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية-
- (٣٧) هموم داعية-
- (٣٨) مائة سؤال في الإسلام-
- (٣٩) علل وأدوية-
- (٤٠) قصة حياة-
- (٤١) حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث الإسلامي-
- (٤٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث-
- الآن أذكر شيئاً حول الكتب المعروفة ، وهي خمسة كتب :

فقه السيرة

هذا كتاب نشر المؤلف من قبله فصولاً متنوعة في السيرة وعالج فيها بحوث العقيدة

والخلق والمعاملة والحكم ، اعتمد على سيرة رسول الله ﷺ ، فصيح إن قال المؤلف " أن

هذا الكتاب ليس صلة محدثة برسول الإسلام ، ولا جملة من الدلائل على صدقه ، ولا لمحات تكشف للمؤلف عن عبقريته وسناء دعوته “

والمؤلف يهدف إلى أن المسلمين هم لا يعرفون عن السيرة الإقشورا خفيفة ، لا تحرك القلوب ولا تستثير الهمم ، وهم يعظمون النبي ﷺ وصحابته عن تقليد موارث ومعرفة قليلة ، ويكتفون من هذا التعظيم بإجلال اللسان ، أو بما قال مؤنته من عمل -

وقال إن حياة محمد ﷺ - ليست مسلاة شخص فارغ أو دراسة ناقد محايد ، كلا كلا : إنها مصدر الأسوة الحسنة التي يقتفيها ، ومنبع الشريعة العظيمة التي يدمن بها ، فأى حين فى عرض هذه السيرة ، وأى خطو فى سرد أحداثها إسائة بالغه إلى حقيقة الإيمان نفسه -

وقد بذل المؤلف من مجهوداته ومسايعه أن يعطى القارى من صورة صادقة عن سيرة الرسول ﷺ واجتهد فى إبراز الحكم والتفاسير لما يقع من حوادث ، واستفاد من كتب السيرة القديمة والحديثة استفادة حسنة ، وقصد من وراء ذلك أن تكون السيرة شيئا ينمى الإيمان ويزكى الخلق ويلهب الكفاح ، ويخرى باعتناق الحق والوفاء له ويضم ثروة طائلة من الأمثلة الرائعة لهذا كله -

وقدم الكتاب بأسلوب يومى من قريب أو من بعد إلى حاضرنا المؤسف ، ويقول صراحة ” فإذا أراد أن يغنى أو يستمع إلى غناء فليفع ، أما تحويل الإسلام نفسه إلى غناء ، فيصبح القرآن ألحانا عذبة ، وتصبح السيرة قصائد وتواشيح ، فهذا ما لا مساغ له ، وما لا يقبله الصغار الغافلون - وقد تم هذا التحويل على حساب الإسلام ، فانسحب الدين من ميدان السلوك والتوجيه إلى ميدان اللهو واللعب ، وحق فيمن فعلوا ذلك قول الله عز وجل ” وذرا الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا “

فليفقه المسلمون سيرة رسولهم ، وهيهات أن يتم ذلك إلا بالفقه فى الرسالة نفسها

والإدراك الحق لحياة صاحبها - والالتزام الدقيق لما جاء به " (٩)

فأولا ذكر من الرسالة والأمانة والأوضاع السائدة من الوثينة والحضارات القديمة،
والعرب حين البعث ، قرر النبي ﷺ رسولا معلما ، وبين الوقائع والحوادث جميعا من الميلاد إلى
البعث ، ثم ذكر من جهاد الدعوة وإسلام الرعيل الأول ، والبيعات وطلائع الهجرة وتأسيس
البناء للمجتمع الجديد ، والغزوات والسرايا ، والصراع بين اليهود والمسلمين ، وإجلاء بنى
نضير والفتح الأعظم والثبات والنصر وموقف المنافقين والمخلفون والأمهات الموثمات
وحجة الوداع وإلى الرفيق الأعلى -

فهذا كتاب جميل حول سيرة النبي ﷺ ولو أنه غير مطول ولكنه يحمل جميع المواد
المطلوب لدى القارى فى أسلوب جذاب رائع ممتع حيث لا يمل القارى ولا يكل ، بل يصل إلى
المجتمع الذى عاش فيه النبي ﷺ وأصحابه الأخيار البررة -

وذهب المؤلف إلى شذوذ الآراء والأفكار التى غير عامة ولا مقبولة كما كتب حول
"شق الصدر" أن ظواهر هذه الآثار مقصود ، ولكن أمر الخير والشرأ بعد من ذلك ، بل من
البديهي أنه بالناحية الروحية فى الإنسان ألصق "وقد أورد من تفسير الخازن عند تفسيره لقول
الله عز وجل "لم نشرح صدرك" "وشرح الصدر الذى عنته الآيات ليس نتيجة جراحة
يجرها ملك أو طبيب - ويحسن أن تعرف شيئا عن أساليب الحقيقة والمجاز التى تقع فى
السنة" (١٠)

وقد روى البعض أن إرهابات بالبعثة وقعت عند الميلاد ، فسقطت أربع عشرة شرفة
من أيوان كسرى ، وخمدت النار التى يعبدها المجوس ، وانهدمت الكنائس حول بحيره ساوه
بعد أن غاضت -

قال البوصيرى

أبان مولده عن عن طيب عنصره ياطيب مبتداً منه ومختم
يوم تغرس فيه الغرس أنهم قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
وبات أيوان كسرى وهو منصدع كشمّل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أسف عليه والنهر ساهى العين من سرم
وساء مساواة أن غاضت بحيرتها ورد واردة بالغيظ حين ظمر
وهذا الكلام تعبير غلط عن فكرة صحيحة، فإن ميلاد محمد ﷺ كان حقاً، إيدانا بزوال
الظلم واندثار عهده، واندكاك معالمه- (١١)

وما ذكر البحث حول الحديث النبوى، فهو يدعو أيضاً إلى الدراسة والبحث، وقد انحرف
المؤلف عن الجادة المألوفة، ولكن لا مبالغ للبحث حول هذه الأفكار والآراء ههنا- (١٢) (١٣)
فى موكب الدعوة

فى هذا الكتاب مقالات حارب بها المؤلف الوهن الذى أطمع الأعداء فى إذلال
المسلمين، وأشعل بها الحماس، واستثار بها المشاعر، واستنهض الهمم، وأنحروا الأمة
الإسلامية أن تواصل كفاحها الواجب ضد الاستعمار-

فيكتب عن قصور الدعاة وتقصير العارفين "كان قصر الدعاة أول هذا القرن سبباً فى
انهيار السدود أمام امتداد الغرب، ثم كان تقصير العارفين وانكسار همهم سبباً فى تخلف
الإسلام وتقدم نهضات أخرى، وليس فى شئ من هذا ما يدعو إلى اليأس" (١٤)

"ومن المضحك أن تنظر إلى شيوخ الأزهر ورؤساء الجماعات الإسلامية، فلا ترى
رجالاً أدبرت عنهم الحياة، وقلت حظوظهم من خلال القوة، وعناصر الكفاح، تمر بهم الفوضى
الرائعة لكسب شئ يدعمون به جانب الحق فلا يتحركون، ولا يدعون من يتحرك لأنهم قادة على

الأتباع حق السمع والطاعة“ (١٥)

وأوضح الفرق الشاسع بين الفتوحات الإسلامية والفتوحات الاستعمارية الغربية وقال
و”ثمة ظاهرتان يلمحهما المرافى سير الفتح الإسلامى:

أولاهما: أنه مبرأ عن المطامع- والثانية: أن الفاتحين بذلوا جهودا متواصلة لرفع الشعوب التى
اتصلوا بها إلى مستواهم المادى والأدبى- (١٦)

وهناك ظاهرتان بارزتان فى صلة هذا الاستعمار بالأمم التى دانت له: إن دواعى الفتح
والإخضاع، والاستكشاف كانت مادية بحتة لا مكان فيها إلا للنفع الشخصى أو الدولى-
والظاهرة الثانية فى الفتح الأوروبى: أنه اذا دخل بلدا ما وجد فيها شعبا مظلوما ونظاما فاسدا
وطبقة حاكمة باغية، دع جانب البغاة، وأبقى أسباب الفساد، وأوصد الأبواب على الجماهير
المضطهدة“- (١٧)

واذا كتب حول فلسطين فيكتب ”أما والسيطرة على فلسطين لفتح الطريق إلى القاهرة
ودمشق وبغداد، بل إلى مكة ومدينة، فإن التفكير فى ترك شبر منها لإنجلترا أو لليهود ولا نسميه
إلا كفرا بالإسلام، وجهلا فاحشا بطبيعة الكفاح بيننا وبين الاستعمار الغربى“ (١٨)

ويعلم الحرب والجهاد فيوجب للمسلمين من كل جنس ومن كل بقعة ولغة أن يعلنوا
على الاستعمار الحرب، وأن يناوشوه بكل ما يقع فى أيديهم من أسلحة، وليضعوا نصب أعينهم
أنهم قاتلوا مرتين فى حربين عالميتين إلى جانب حلفاء مخادعين من هؤلاء الإنجليز
والفرنسيين، فلم يظفروا من قتالهم إلا بالغدر والخزى- (١٩)

وكذلك ألقى الضوء على جميع النواحي اللاتى مطلوبة فى ميدان الدعوة والإصلاح،
وألح على الكفاح الدائم والجهاد الصارم ضد الفساد والشر، وقرر أن يخرج الباطل، ويناوش
بإصرار، وأثبت فى هذه المقالات جملة حقائق الإسلام التى لا ريب فيها، والواقع إنها إحصاء أمين-

دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين

والكتاب الذى بين أيدينا إنما هو جملة بحوث إسلامية مشحونة بالحقائق التى يجب أن تعرف. فهذا هورد لكتاب المستشرق جولد تسيهر "العقيدة والشرعية" واستطاع المستشرق أن يستفرغ بين دفتيه كل ما فى أحشاءه من ضغائن وأحقار ضد الإسلام. فيكتب "فتبشير النبى العربى ليس إلامزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثرا عميقا، والتى رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند وطنه" - (٢٠)

فيرد الأستاذ الغزالى هذا الكذب والبطلان، فيقول "هذا كلام باطل، فان محمد ﷺ بلغه عصرنا - قبض على الفكر اليهودى والنصرانى، وقدمه إلى الضمير العالمى متهما بالتزوير على أوسع نطاق فى ميدان الاعتقاد والتشريع - ولم يكن هذا الاتهام مبهما ولا مجملا، بل واضحا مفصلا -

وكذلك عرض هذا المستشرق من التفاوت بين إسلام مكة والمدينة، وفى مكة كان يشعر أنه بنى يتيم برسالة سلسلة التوراة أما فى المدينة فقد تغيرت مقاصده وخططه واتجهت اتجاهها آخر بحكم تلك الظروف الخارجية، فيكتب الأستاذ الغزالى "تعديل جوهرى فى مقاصد النبوة وخططها لتغير البيئة؟ هذا والله هو اللغو بعينه" (٢١)

ووجد القرآن فى مكة ذاقمة رقيقة، أما فى المدينة فقد هبط مستواه، واستفاد المسلمون شريعتهم من الأمم المفتوحة، والأحاديث موضوعة، وأخذ الفقه من الرومان، والإمام أبو حنيفة عدو المرأة، والنزاع بين أهل السنة والمعتزلة والنبى العربى والرهبانية -

أما الأستاذ الغزالى، فرد هذه المزاعم والافتراءات ضد الإسلام والنبى ﷺ بالبراهين والدلائل حيث يطمئن بها القارى ولا يتكأ إلى غيره، ولا يمل حين دراسته، لأن الأسلوب

والطراز يجذب بان القارى إلى تعلقه به والانتماء إليه -

تأملات فى الدين والحياة

فى هذا الكتاب صور وخواطر، وبحوث ولفقات، لا يجمعها فى نسق مؤلف إلى هذا العنوان العام "التأمل فى الدين والحياة" وقد كتب المؤلف أكثرها منذ أعوام، ولكن يفضى من قيمتها، وقد عالج أمور الاتزال تستحق المزيد من النقد والنظر، وخير ما فيها أنها عرضت الدين على الناس نابضا بالحياة والحركة، ونشدت للحياة ضوابط الإيمان والتقوى -

فأولا ذكر من سياسة الحرية والكفاح، ووضع أن لبضائع مختلفة ثمن واحد، وهو التضحية والفداء فى سبيل الله، ولا قيمة للإنسان إلا إذا آمن بربه ودينه، ولا قيمة لهذا الإيمان إلا إذا أرخص الإنسان فى سبيله النفس والمال -

وماساد المسلمون إلا يوم أن قهروا نوازع الخوف وقتلوا بواعث القصود، وعرفتهم ميادين الموت أبطلا يردون الغمرات، ويركبون الصعاب، وكتب أيضا "إن الإسلام لا ينشئ الحرب إنشاء، إنما يلجأ إليها إلحاء والمخرج يدفع عن نفسه كيف يشاء، ويثير الحفائظ، ويستصرخ الهمم، ويحشد الجهود، ويستنفذ آخر مالدى المومنين من طاقة وحول، ليمهد لنفسه، ويريح العقبات من طريقه، فلا غرو أن يجعل الله فترة الجهاد كلها سلسلة حسنات لصاحبها حتى يتعلم المسلمون الاستقتال فى رفع رأيتهم وتدعيم مكائتهم، وحتى تكون حياتهم أعدادا واستعدادا لا ينتهيان حتى ينتهى الليل والنهار- (٢٣)

وإذا ذكر شهادة البناء، فقد اختار أسلوبا بديعا رائعا "لقد قتل حسن البناء يوم قتل، والعالم كله أهون شئ فى ناظره! ماذا خرقت الرصاصات الأثيمة فى بدن هذا الرجل! خرقت جسدا ضنته العبادة الخاشعة، وبراه طول القيام والسجود، خرقت جسدا غبرته الأسفار المتواصلة فى سبيل الله، وغضنت جبينه الرحلات المتلاحقة، رحلات طالما أصغى الملايين إليه فيها وهو

يسوق الجماهير بصوته الرهيب إلى الله، ويحشد ألوفاً ألوفاً في الإسلام، (٢٣)

وبين أيضاً من ذكريات في الريف، فهي كأنها قصة قصيرة، فأولا كتب وصور من المنظر البهيج "أن الهدوء المخيم على أرجاء القرية الموشكة على الهجوع، فانسابت أفكارى فى مجراها العميق هادئة هى الأخرى، ولاحت لعينى النخلات الباسقات المنبعثة فى فناء الدار، ورأيت طلوعها النضيد متدلّياً على عراجينها لما يحمر بعد، فخلوت الأمام فى مودة، غير أن أفكارى كانت تدور على نفسها لا يعقد بينها نظام" (٢٤)

خلق المسلم

هذا الكتاب نقل فيه كل ما يتعلق بالخلق الحسن من الكتاب والسنة، ويوجه المسلم إلى الفضائل التى يتم بها دينه وتصلح بها دنياه وأخراه جميعاً.

وبين المؤلف منهجه فى تأليف هذا الكتاب، فيقول "مهّدتها لها وعقبت عليها بتفاسير موجزة، تعالج ما انتاب المسلمين فى هذه الأعصار من انحراف وهبوط، نتيجة ما أصاب أخلاقهم من عقد وعلل واكتفيت بما سقت من آية، وذكرت من أحاديث، فلم استطرد إلى إيراد الشواهد الأخرى فى أقوال الأئمة، وحكم العلماء، وعظات العباد والمتأدبين على كثرتها فى تراثنا القديم. لأنى قصدت أن نرجع إلى الشريعة وحدها، وأن أعرض جانب التربية منها، على أنه توجيه الهى، يطالب المسلم بالتزامه، ويعبر مقصداً فى حق الله حين يعرض عنه" (٢٥)

فذكر من مقدمة أركان الإسلام ومبادئ الأخلاق، وبدأ بأن رسول الله ﷺ قد حدد

الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين فى دعوته بقوله "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"

"والعبادات التى شرعت فى الإسلام، واعتبرت أركاناً فى الإيمان به ليست طقوساً من

النوع الذى يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلفه بأداء أعمال غامضة، وحرركات لا معنى

لها، كلا كلا، فالفرائض التى ألزم الإسلام بها كل متسبب إليه، هى تمارين متكررة لتعويد المرء

أن يحيا بأخلاق صحيحة، وأن يظل مستمسكا بهذه الأخلاق، مهما تغيرت أمامه الظروف“ (٢٦)

فكل أمر أمر الله بأداءه فيه حكمة، فقال ”وأقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر“ الآية: العنكبوت ٤٥ (٢٧)

فإبعاد عن الرزائل، والتطهير من سوء القول وسوء العمل، هو حقيقة الصلاة، وقد جاء في حديثه يرويه النبي عن ربه ”إنما تقبل الصلوة عن تواضع بها لعظمته، ولم يستطل على خلقى، ولم يبت مصرا على معصيتى، وقطع النهار فى ذكرى، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب“ (٢٨)

وفصل الصدق، والأمانة، والوفاء، والإخلاص وأدب الحديث، والقوة والحلم والصفح، والجود والكرم، والصبر، والقصد والتعارف، والنظافة والتجمل والصحة، والحياء، والإحياء، والاتحاد، واختيار الأصدقاء، والفقر، والرحمة، والعلم، والعقل، والإنفاق بالوقت، والاتعاظ بالزمن، وذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حول كل أمر مأمور، كى يتسلم به المسلم ويحسن خلقه ويغير حياته كى يفلح فى الدنيا والآخرة، ويحسن المآب.

الغزالي- الشاعر

وكان الشيخ الغزالي شاعرا مع كونه داعيا ومفكرا وكاتبا، ويتجلى ذوقه الشعرى فى كتاباته فى أى مجال، وتتوضح قدرته فى أكثر مساع، فما قرض من الشعر يشتمل على ديوان مطبوع، ولكن أذكر بعض أشعاره من قصيدة تكفى للدلالة على شعرته، ويوجد فيها من اللفظة الهادئة والنغمة المتسقة، والجرس الناعم الرقيق- وكانت هذه القصيدة تسمى بـ ”العوائق“ فيقول:

ياقيودى	تحطمي	عند مثواك فارتمى
قد تأبیت	ذله	فى تباريح أدهم
وتمردت	كلما	توثيقن المحاكم
فاذا شئت	رفعه	كنت أغلال مرغم
فانا الآن	مطلق	لست للذل أنتمى
كيف يرضى سقوطها	مستطيع	التسنىم

(٢٩)

الهوامش

(١) The oxford Encyclopadia of the modren Islamic world, v.ii.p.63

(٢) مجلة الأزهر، الجزء الثالث، المجلد الرابع والعشرون ١٩ نوفمبر عام ١٩٥٢م-

(٣) المصدر المذكور

(٤) مجلة "البعث الإسلامى" العدد الرابع، المحلة الحادى والأربعون يونيو ويوليو عام ١٩٩٦م-

(٥) المجتمع، العدد ١٤، ١٣٤٥ ذوالقعدة ١٤١٩هـ

(٦) قطب عبد الحميد قطب: مراجعة د/محمد عاشور: خطب الشيخ محمد الغزالى، ١٤

(٧) المصدر المذكور، ١٦

(٨) المصدر المذكور،

(٩) محمد الغزالى: فقه السيرة، ٧

(١٠) المصدر المذكور، ٤٩، ٥٠

(١١) المصدر المذكور، ٤٦

(١٢) أنظر للتفاصيل: المصدر المذكور، ٣٠-٣٥

(١٣) أنظر للتفاصيل: حول عقلانية الغزالى، محمد جلال كشك، الشيخ محمد الغزالى بين النقد العاتب

والمدح الشامت-

- (١٤) محمد الغزالي: في موكب الدعوة، ١٣
- (١٥) المصدر المذكور: ١٤
- (١٦) المصدر المذكور: ١٦-١٧
- (١٧) المصدر المذكور، ١٨-١٩
- (١٨) المصدر المذكور: ٤٢
- (١٩) المصدر المذكور: ٤٥
- (٢٠) محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين، ٢٧
- (٢١) المصدر المذكور: ٤٠
- (٢٢) محمد الغزالي: تأملات في الدين والحياة، ٤٢
- (٢٣) المصدر المذكور: ٤٧-٤٨
- (٢٤) المصدر المذكور: ٦٠-٦٠
- (٢٥) محمد الغزالي: خلق المسلم، ٣-
- (٢٦) المصدر المذكور: ٦-
- (٢٧) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥
- (٢٨) محمد الغزالي: المصدر المذكور، ٧٠
- (٢٩) مجلة الفرقان، العدد ٤٢ عام ١٩٩٦-

مصطفى السباعي

ولادته ونشأته

هو مصطفى بن حسنى السباعي من مواليد مدينة حمص في سورية عام ١٩١٥م، نشأ في أسرة علمية عريقة معروفة بالعلم والعلماء منذ مئات السنين، وكان والده وأجداده يتولون الخطابة في الجامع الكبير بحمص جيلاً بعد جيل، وقد تأثر بأبيه العالم المجاهد والخطيب البليغ الشيخ حسنى السباعي الذي كانت له مواقف مشرفة ضد الأعداء المستعمرين، حيث قاومهم بشخصه وجهده وماله. (١)

كان مصطفى يصحب أباه إلى مجالس العلم التي يحضرها علماء حمص أمثال: طاهر الرئيس، وسعيد الملوحي، وفائق الأتاسي، وراغب الوفاي، وحين خطب للزواج أخبر الخاطبون أهل الفتاة، أن السباعي مشغول في أكثر أوقاته بأعباء الدعوة الإسلامية ليكونوا على علم بذلك، فوافقوا وتمت الخطبة.

وشارك السباعي في مقاومة الاحتلال الفرنسي لسورية، وكان يوزع المنشورات، ويلقى الخطب، ويقود المظاهرات في حمص وهو في السادسة عشرة من عمره، وقد قبض الفرنسيون، واعتقلوه أول مرة ١٩٣١م، بتهمة توزيع منشورات في حمص ضد السياسة الفرنسية والاحتلال الفرنسي، وأخرها خطبة الجمعة في الجامع الكبير بحمص، حيث ألهم حماس الجماهير وهيج مشاعرهم ضد الفرنسيين رداً على اعتداءاتهم. (٢)

تعليمه ودراسته

كان الشيخ السباعي راغباً إلى العلم منذ نعومة أظفاره، لأنه رأى العلماء والفضلاء ياتون إلى منزل أبيه من كل حدب، فبدأ دراسته في بيته، ثم في كتيب البلدة، والتحق بمعهد الشريعة،

وحصل على شهادة البكالوريوس بتقدير ممتاز، وكان الأساتذة يشجعون على ذكائه الفريد وجهده المتواصل والطلبة يحبونه بأعماق قلوبهم. وفي عام ١٩٣٣م ذهب إلى مصر للدراسة الجامعية بالأزهر، (٣) وأحرز شهادة الدكتوراه في التشريع الاسلامي وتاريخه. وهاك شارك مع إخوانه المصريين عام ١٩٤١م في المظاهرات ضد الاحتلال البريطاني كما أيد ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد الإنجليز، فاعتقله السلطات المصرية بأمر من الإنجليز مع مجموعة من زملاءه الطلبة وهم الضامن، وإبراهيم القطان، وهاشم الخازندار، وهارس الهمداني، وعلى الدويك، ويوسف المشاري، وبقوا في المعتقل قرابة ثلاثة أشهر ثم نقلوا إلى معتقل صرفند بفلسطين حيث بقوا أربعة أشهر، ثم أطلق سراحهم بكفالة. (٤)

وكان الشيخ السباعي في فترة الدراسة تلك قد تعرف إلى الإمام الشهيد حسن البناء، والمرشد العام للإخوان المسلمين بمصر، وظلت الصلة قائمة بينهما بعد عودته إلى سورية حيث اجتمع العلماء والدعاة ورجال الجمعيات الإسلامية في المحافظات السورية، وقرروا توحيد صفوفهم والعمل جماعة واحدة، وبهذا تأسست منهم "جماعة الإخوان المسلمين" لعموم القطر المصري، وقد حضر هذا الاجتماع من مصر الأستاذ سعيد رمضان، وكان ذلك عام ١٩٤٢م، ثم بعد ثلاث سنوات أي في عام ١٩٤٥م، اختار الجميع الأستاذ مصطفى السباعي ليكون أول مراقب عام للإخوان المسلمين في سورية.

الشيخ السباعي في البرلمان السوري

واختارت دمشق الدكتور مصطفى السباعي نائبا في الجمعية التأسيسية عام ١٩٤٩م، وهو ابن حمص، ولم يمض على إقامته في دمشق سوى بضع سنين، وسرعان ما لمع نجمه كبرلماني شعبي متفوق إذ كان الصدى الحقيقي المعبر لأمانى الشعب وآلامه والصوت المدوي الذي يصدع بالحق ولا يدارى ويقارع الباطل ولا يهاون ويرتفع عن المكاسب المغانم ولا

يساوم، فاتجهت إليه الأنظار، والتفت حوله القلوب، وانتخب نائباً لرئيس المجلس وأصبح عضواً بازرراً في لجنة الدستور.

وقد بذلت له العروض بالحاح وإغراء للدخول في الوزارات المتعاقبة، فرفضها موثراً العمل الشعبي والعيش مع مشكلات الجماهير وقضاياها، وكان عضواً في لجنة الدستور، وأحد الأعضاء التسعة الذين وضعوا مسودة الدستور، ولقد قاد معركة القرآن تحت قبة البرلمان، وكما قاد المظاهرات في دمشق من أجل الدستور، وتمكن السباعي وإخوانه في استبعاد الطابع العلماني عن الدستور، وفرض الطابع الإسلامي على معظم أحكامه الأساسية سنة ١٩٥٠م - (٥)

السباعي في الجامعة السورية

وفي عام ١٩٥٠م عين السباعي أستاذاً في كلية الحقوق بالجامعة السورية استفاد به وبمحاضراته الطلبة وفتحت لهم أبواب القانون الإسلامي والفقه وبدأ الأستاذ السباعي شرح قانون الأحوال الشخصية صار موسوعاً فقهياً -

وفي نفس العام عام ١٩٥٠م حضر الدكتور السباعي المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في باكستان وحضرته وفود من جميع أنحاء العالم الإسلامي، كما ذهب السباعي في العام نفسه إلى الحج للمرة الثانية، وفي عام ١٩٥٢م تقدم السباعي مع إخوانه بطلب إلى الحكومة السورية للسماح لهم بمشاركة إخوانهم والمصريين لمحاربة الإنجليز في قناة السويس، فما كان من رئيس الحكومة أديب الشيشكلي إلا أن أمر بحل جماعة الإخوان المسلمين واعتقال السباعي وإخوانه بالسجن ثم أصدر أمره بفصل السباعي من الجامعة السورية وبعده خارج سورية إلى لبنان (٦)

الشيخ السباعي في ميدان الصحافة

وقد بذل الدكتور السباعي من مجهودات جبارة في إصلاح الشعب وأوضاعها

الاجتماعية والفكرية، فوجه شطره إلى الصحافة كي يكون المجتمع نقيا وطاهرا عن الدنسات، وأصدر في ١٩٤٨م جريدة سياسية تسمى "المنار" ومازال تصدر إلى ١٩٥٠م، وما طبعت فيها من مقالات توضح قضايا سياسية، وتقدم لها الحل، وتنقد على أصحاب الحول والطول ولا تخاف لومة لائم في سبيلها، وفي سنة ١٩٥٥م، أسس مع إخوانه مجلة "الشهاب" الأسبوعية، والتي استمرت في الصدور إلى قيام الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨م، وفي العام نفسه ١٩٥٨م حصل على ترخيص إصدار مجلة "المسلمون" الشهرية بعد توقفها في مصر، وظلت تصدر في دمشق إلى عام ١٩٥٨م، حيث انتقلت إلى صاحبها د/ سعيد رمضان في جنيف بسويسرا، فأصدر السباعي بدلها مجلة "حضارة الإسلام" الشهرية وظل السباعي قائما على هذه المجلة حتى توفاه الله، حيث تولى إصدارها دا محمد اديب الصالح بدمشق. (٧)

مع الإخوان المسلمين

كان الشيخ السباعي انتمى إلى الإخوان وهو في فترة الدراسة في مصر، وتعرف إلى الإمام الشهيد حسن البناء المرشد العام للإخوان المسلمين بمصر، وتعلم به الأصول والقوانين وناب عنه في إنشاء الإخوان المسلمين في سورية.

وكان الشيخ السباعي من الذين رشح أسماءهم للمرشد العام عقب شهادة الشيخ البناء، وصار رئيس المجلس المركزي والمراقب العام للإخوان المسلمين في سورية، وكانت فترة ١٩٥٧-٥٨م في الابتلاء والمحن للإخوان، وكان الخوف يسود أعضاء الإخوان المسلمين يقتلون ويعتقلون، وحاولت البعث رد حرب الاشتراكية أن يحرقوا المركز العام، ولكن لم يفلحوا، وفي هذا الأثناء عقدت الحفلة السنوية في فندق الحجاز في لبنان اشترك فيها، وإذا عاد إلى دمشق فأصيب بالمرض وشل الطرف الأيسر واستمرت ثمانى سنوات، ضرب السباعي فيها أروع آيات الصبر على البلاء، والتسليم لقضاء الله والرضى بحكم الله عز وجل. (٨)

الشيخ السباعى - مؤلفا

والدكتور السباعى له باع طويل فى التأليف، فهو من العلماء المحققين والفقهاء المجتهدين الذين استوعبوا الفقه الإسلامى من أصوله المعتمدة ودرسوا قضايا العصر المستجدة وقاسوها على ما سبق من أحكام مستمدة من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة - ومن أهم مؤلفاته-

(١) شرح قانون الأحوال الشخصية (٣ أجزاء)

(٢) من روائع حضارتنا

(٣) المرأة بين الفقه والقانون

(٤) عظماء نافى التاريخ

(٥) القلائد من فرائد الفوائد

(٦) دروس من دعوة الإخوان المسلمين

(٧) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى

(٨) هكذا علمتنى الحياة (٣ أجزاء)

(٩) اشتراكية الاسلام

(١٠) أخلاقنا الاجتماعيه

(١١) أحكام الصيام وفلسفته

(١٢) الدين والدولة فى الإسلام

(١٣) نظام الحرب فى الإسلام

(١٤) هذا هو الإسلام

(١٥) السيرة النبوية دروس وعبر

(١٦) الاستشراق والمشتشرقون

(١٧) المرونة والتطور فى التشريع الإسلامى

(١٨) منهجنا فى الإصلاح

(١٩) العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى التاريخ

(٢٠) النظام الاجتماعى فى الإسلام

(٢١) أصدق الاتجاهات الفكرية

(٢٢) لماذا أخفقت الجامعة العربية

(٢٣) فاتون النفقات فى الفقه الإسلامى

(٢٤) ابن شهاب زهرى بين المسلمين المستشرقين

(٢٥) دعوة الإسلام واقعية لا خيال

(٢٦) أحكام الزواج وانحلاله

(٢٧) مشروعية الإرث وأحكامه

(٢٨) أحكام الموارث

(٢٩) الوصايا والفرائض

(٣٠) أحكام الأهلية والوصية

(٣١) أبو هريره بين المحبين والمبغضين (٩)

وقد تناولت بعض الكتب للبحث والدراسة و كما يلى:

القلائد من فرائد الفوائد

وقد اقتبس الأستاذ السباعى هذه النكت الحكيمة عن المصادر الموثوقة بها والمراجع

الهامة كما يتجلى بدراسة الكتاب-

فهو يشمل فتح القدير، وتاريخ الخطيب البغدادي، ومشكل الآثار للإمام الطحاوي، ونهج البلاغة، والبيان والتبيين، والأغاني، والدر المختار، وثمار القلوب لأبي المنصور الثعالبي، وكتاب الأضداد للأنباري، والأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع، وعيون الأخبار لابن قتيبه.

وهي حكايات قصيرة في الحجم وثقيلة في المعنى، وكل حكاية تحمل موعظة وعبرة لأولى الألباب.

كما نقل الأستاذ السباعي - ست هن أزواج - ابن المقفى في "الأدب الصغير" من حول الأمور احتاج فيها إلى ست: العلم والتوفيق، والفرصة، والأعوان، والأدب، والاجتهاد، وهن أزواج: فالرأى والأدب زوج، لا يكمل الراى بغير الأدب، ولا يكمل الأدب إلا بالرأى - والأعوان والفرصة زوج، لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ولا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان، والتوفيق والاجتهاد سبب التوفيق وبالتوفيق ينجح الاجتهاد - (١٠)

وكذلك بين معنى الحكمة عن الإمام النووي، وهو يذكر في "شرح مسلم" عند قوم في الحديث، "الفقه يمان والحكمة يمانية" إن الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة، وقد اقتصر كل من قائلها على بعض صفات، وقد صفنا منها أن الحكمة عبارة عن: العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكم من له ذلك وقال أبو بكر بن دريد: كل كلمة وعظمتك وزجرتك أو دعتك إلى مكرمة، يونهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم، ومنه قول النبي ﷺ "إن من الشعر حكمة أوفى بعض الروايات حكما"، والله أعلم - (١١)

إن هذا الكتاب مليان بالحكم والنوادر وهو سمط اللآلى من شذرات الذهب، وهي محاولة غالية لتوجيه الطلاب والناشئين إلى الخلق الإسلامى واختيار المنهج الصحيح القديم

الراسخ بما يجمع من الفرائد والفوائد والطرائف، وهو يقرب إلى دقائق اللغة العربية ويجلو عن جمال البيان العربى بحيث يتذوقه الطالب ويتسنيغه ويقبل عليه -

أحكام الصيام وفلسفته فى ضوء القرآن والسنة

قد اجتهد علماء هذه الأمة بتوضيح أحكام الصيام والقيام فى ليالها، وذكر من الفضائل والمشروعات والمحرمات، فبين الأستاذ السباعى فيها أحكام الصيام وفسر بعض آياته وشرح بعض أحاديثه وألقى كلمة عن هديه ﷺ فى العيدين وصدقة الفطر والزكاة، والإسراء والمعراج، فكان فى ذلك هذا الكتاب، وإنه كتاب جامع بين الموعظة والفقه بأسلوبه المعروف -

فأولا ذكر من آيات الصيام وأحاديث الصيام وأحاديث العيد، فأورد فى فضل الصيام، فى ليلة القدر، وإفطار رمضان من غير عذر، ومن الأعذار المبيحة للإفطار فى آداب الصائم، وفى المفطر ناسيا، وفى السحور، وفى الإفطار على التمر، وفى تعجيل الإفطار، وفى تأخير السحور، وفى إطعام الصائم وفى صلاة التراويح -

وكذلك ذكر الأحاديث فى إحياء ليلة العيد، وفى التعجيل للعيد، والإفطار قبل الصلوة وفى التكبير صبيحة العيد، وفى صلوة العيد -

وبين أيضا هديه ﷺ فى الصيام والعيدين فى عبادة النبى ﷺ وسخاؤه، وفطره قبل الصلوة، ودعائه عند الإفطار، وإفطاره فى السفر وفى العيدين -

وأوضح من أحكام الصيام كوجوب صيام رمضان وشروط ووجوبه وأركانها ومكروهات الصوم وآدابه ومحرماته - وذكر أيضا من صدقة الفطر -

والقسم الثانى يحتوى على شهر رمضان، فرمضان شهر الحق والقوة والحرية وفلسفة الصيام وأسراره، ورمضان شهر المواساة، وأثر العبادة فى تربية الأمة -

فيكتب الأستاذ السباعى "وفى الصوم تعويد كريم على هذا الخلق العظيم - فالصوم

عبادة مستورة- هو سريين الإنسان وربه، لا يكون فيه الرياء ولا الخداع، ولا يطلب عليه المدح والثناء، يصوم المؤمن وحسبه من جوعه وخضوعه علم الله به وإطلاعه على صدق نيته، وحسبه من الثواب أن يظهر الله نفسه من الخداع والرياء وأن يلزم لسانه الصدق والوفاء-

ينحجل من الكذب والغش والسرقة والغيبة والإيذاء والعدوان على الناس في أغراضهم وأموالهم، لأن رسوله ﷺ قال "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" ولأن رسوله ﷺ نهاه عن أن يقابل الإساءة وهو صائم، وأن يرد على البذاءة بالبذاءة "فإن شاتم أحد أو خاصمه فليقل إنى صائم" إنى ملك أَرْضِي لا أكذب ولا أخاصم ولا أؤذى..... يالها من أخلاق يحتاج إليها الزعماء والسياسيون قبل كل شيء! وفي رمضان قبل كل وقت - وفي زمننا هذا قبل أى زمن مضى" (١٢)

وألقي الضوء على شهر رمضان كشهر المواساة، وأثر العبادة في تربية الأمة، ومؤسسة الزكاة، ثم تحدث حول رمضان المبارك، وإنه يتحدث إلى أبناء الأمة الإسلامية وقال أخبرا "أن الخبر كامن والقوة متوفرة، فهل لكم أن تنعشوا الخير مخلصين، وتستمدوا القوة من معادنها لتستعملوها في رفعة الأمة؟ وقل لزعمائك أن الأمة أسلمت إليكم أمرها، ومدت إليكم بالمعرفة يدها، وإن تفرقكم هذا لهو بترليدها وطعنة بخلاء في فوادها، فكيف تبترون يدا أحسنت إليكم، وكيف تطعنون فوادا منى عليكم" (١٣)

المرأة بين الفقه والقانون

هذا الكتاب هو في أصله محاضرة ألقاها المؤلف على مدرج جامعة دمشق في الموسم الثقافي لعام ١٩٦١-١٩٦٢م- واستدل لكل موضوع من مواضيع هذا البحث بالأدلة الشرعية وبالوقائع التي تنشر عن حال المرأة الغربية، وبأقوال المصنفين من الغربيين في الدفاع عن تهجمات المتعصبين من مستشرقين ورهبانهم ودعاة الاستعمار البغيض الذين ما فتئوا يكررون

الهجوم على الإسلام والمسلمين لتبرير استعمارهم للبلاد الإسلامية، وإفهام السذج من الغربيين أن الاستعمار الغربي لهذه البلاد نعمة وتمدين واقتلاع للتشريع السيئ فى رأيهم.

واستعرض المؤلف تطور حقوق المرأة عبر التاريخ، فهى كانت عند اليونان محرومة من الثقافة وكانت محتقرة حتى سموها رجسا من عمل الشيطان، وكانت عندهم كسقط المتاع تباع وتشترى فى الأسواق- (١٤)

وعند الرومان كانت البنت تظل خاضعة لرب الأسرة مادام حيا وتفقد الأهلية الحقوقية- (١٥)

وكانت المرأة فى شريعة حمورابى تحسب فى عداد الماشية المملوكة، حتى أن من قتل بنتا لرجل كان عليه أن يسلم بنته ليقتلها أو يملكها- (١٦)

وعند الهنود لم يكن للمرأة فى شريعة مانوحى فى استقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها، فإذا مات هواء جميعا وجب أن تنتمى إلى أقارب زوجها، وهى قاصرة طيلة حياتها، ولم يكن لها حق فى الحياة بعد وفاة زوجها، بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه وهى حية على موقد واحد- (١٧)

وعند اليهود وتعتبر البنت فى مرتبة الخادم، وكان لأبيها الحق فى أن يبيعها قاصرة، وما كانت ترث إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين، وإلا ما كان يتبرع به لما أبوها فى حياته، واليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم، وعند المسيحيين كانت فى مدخل الشيطان إلى نفس الإيمان- (١٨)

ثم ذكر موقف الإسلام تجاه المرأة: أن المرأة كالرجل فى الإنسانية سواء بسواء ودافع عنها اللعنة التى كان يلصقها بهارجال الديانات السابقة، وإنها أهل للتدين والعبادة ودخول الجنة إن أحسنّت ومعاقبتها إن أسادت، وحارب التشاؤم بها والحزن لولادتها وحرم وأدها

وشنع على ذلك أشد تشنيع، ورغب في تعليمها كالرجل وأعطاهما حق الإرث ونظم حقوق الزوجين، وحد من تعدد الزوجات فجعله أربعاً، وجعلها قبل البلوغ تحت وصاية أوليائها. (١٩) وذكر من الشهادات والميراث ودية المرأة ورئاسة الدولة مفصلة وكتب حول المرأة "وليس ذلك مما يضير المرأة في شيء، فالحياة لاتقدم كلها على نمط واحد من العبوس والقسوة والقوة والغلظة ولو كانت كذلك لكانت جميعاً لا تطاق، ومن رحمة الله أن مزج قوة الرجل بحنان المرأة وقوته برحمتها، وشدتها بلينها وفي حنانها ورحمتها وقسوته برحمتها، وشدته بلينها، وفي حنانها ورحمتها وأنوثتها من سربقاءها وسر سعادتها وسعادتنا. (٢٠)

ثم ذكر الحاجة إلى الإصلاح في الأحوال الشخصية، وفي الشؤون الاجتماعية، وأبدى رأيه في قضية المرأة: (١) يجب أن تتمتع بجميع الحقوق التي منحها إياها الإسلام (٢) يجب تعلمها (٣) يجب العناية بإعدادها لأيام النكبات والحروب. (٤) يجب أن يضيق من نطاق توظيفها في الدولة بحيث لا توظف إلا في وظائف تتفق مع رسالتها ومع طبيعتها. (٥) يجب أن تهى لأداء رسالتها الاجتماعية النبيلة بما يجعل منها امرأة صالحة لتكوين الأسرة. والإشراف على شؤون البيت والأولاد. (٧) يجب عدم إفساد سعادتها باشتغال بالسياسة لتصون داخل المجتمع من خطر الخلافات الحزبية. (٨) يجب أن تهى للقيام بالإصلاح الاجتماعي والأخلاق في الأوساط النسائية. (٩) يجب أن لا يسمح للمرأة بالاشتغال خارج منزلها إلا حين تكون فقيرة لاعائل لها من زوج وأب أو قريب. (١٠) يجب منع التبرج وإبداء ما حرم الله إبداءه من جسمها وزينتها. (١١) يجب إيقاف هذا الطوفان الخطير من أدب الجنس وأن تتعاون الحكومة مع الشعب في هذا الشأن. (٢١)

وأخيراً ذكر من الملاحق أسند فيها إلى المراجع الغربية ذاتها أو إلى غيرها من كتب وصحف ومجلات وأنباء وهي توضح كثيراً الأوضاع النسائية في الغرب من انتشارها في الذهن

وندامتھا علی اشتغالھا خارج المنزل وھرب الأزواج من الزوجات و كثرة الطلاق و انھیاد الشباب و غیرھا من المشاكل التي يواجهھا الشباب و الشبابات فی المجتمع الغربی أو المتأثر بالغرب و هذا كتاب یفید كل من أراد أن یقف علی مشاكل المرأة فی المجتمع الإسلامی و حلھا الصبیح و مفسد الغرب و إفساده المجتمع الإنسانی بكل مزالقه۔

الهوامش

- (۱) المجتمع، العدد ۲۷، ۱۳۰۹ ربيع الأول ۱۴۱۹هـ المصادف ۲۱/۷/۱۹۹۸م۔
- (۲) المصدر المذكور
- (۳) خير الدين الزركلي: الأعلام، ۷/۲۳۱-۲۳۲۔
- (۴) The oxford Encyclopedica of modern Islamic world, v.iv.p.71.74
- (۵) أنظر للتفاصيل: مجلة المجتمع۔ المصدر المذكور۔
- (۶) سلمان شمسی ندوی: اسلام اور مستشرقین (ضمیمہ)
- (۷) د/ محمد اجتباء الندوی: تاریخ فکر اسلامی، ۲۸۵
- (۸) المجتمع، المصدر المذكور۔
- (۹) محمد سمیع اختر: عالمی تحریکات اسلام کی چند انقلابی شخصیات، ۸۱-۸۲ (اردو ترجمہ مصطفی محمد الطحان: القیادة فی العمل الاسلامی۔
- (۱۰) مصطفی السباعی: القلائد من فرائد الفوائد، ۱۲۹
- (۱۱) المصدر المذكور: ۱۱۱۔
- (۱۲) مصطفی السباعی: أحكام الصیام و فلسفته فی ضوء القرآن و السنة، ۴۳۔
- (۱۳) المصدر المذكور: ۱۱۱
- (۱۴) مصطفی السباعی: المرأة بین الفقه و القانون، ۱۳
- (۱۵) المصدر المذكور: ۱۷

(١٦) المصدر المذكور: ١٨

(١٧) المصدر المذكور: ١٨

(١٨) المصدر المذكور: ١٩

(١٩) أنظر للتفاصيل: المصدر المذكور، ٢٥-٣٠

(٢٠) المصدر المذكور، ٤١

(٢١) أنظر للتفاصيل: ٢٠٣-٢٠٤

عبد القادر عودة

حياته وشخصيته

هو محام من علماء القانون والشرعية بمصر، وكان من زعماء جماعة الإخوان المسلمين ولما أمر جمال عبد الناصر بتنظيم محكمة الشعب، كتب صاحب الترجمة نقداً لتلك المحكمة، وفي جملة ما ذكر أن رئيسها جمال سالم طلب من بعض المتهمين أن يقرأوا له آيات من القرآن الكريم بالمقلوب، واتهم بالمشاركة في حادث إطلاق الرصاص على جمال (١٩٥٤) (١)

وأعدم شنقا على الأثر مع بضعة متهمين آخرين، (٢) وكتب الأستاذ خليل الحامدي نقلا عن الجريدة "فرانس سوار" الصادرة من باريس "أن المتهم الأخير كاد أن يشنق كان الشيخ عبد القادر عودة، وكان من أعضاء الإخوان المسلمين، وقادة الفكر الإسلامي، وكان واسطة الوصل بين الإخوان واللواء محمد نجيب، وقدم، فألقى البحث العلمي على حكم المحكمة، وإذا صدرت المحكمة حكما بالإعدام، فتبسم على رده وتقبل بالشكر، ومرأمانا أعلى الرأس، وشرع الحلم في مشيته، ويلوح الابتسام في فمه، ويرتل القرآن بأعلى صوته، وأنشد بيتا في النهاية"

ولا أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان في الله مصرعي

وأعلن أن دمه سيجعل لعنة على النظام الحاضر، وأنكر أن يأخذ شيئا وسارع إلى جنة

عرضها السموات والأرض - (٣)

وله تصانيف كثيرة - منها

(١) الإسلام وأوضاعنا القانونية -

(٢) الإسلام وأوضاعنا السياسية-

(٣) التشريع الجنائي الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى (جزآن)

(٤) المال والحكم فى الإسلام

(٥) الإسلام بين جهل أنباءه وعجز علماءه

والكتاب الذى جعل صيته فى العالم وهو "التشريع الجنائي الإسلامى" ونال قبولا حسنا بين أبناء القانون وأهلها، وأرادت الحكومة على أن تمنحه جائزة فواد الأول، ولكنه بشرط أن يحذف بعض العبارات رأتها الحكومة غير مناسبة لشأنها، فأنكر الشيخ عودة، وأوجد على نفسه الملك فاروق، ولم يحظى بالجائزة-

وها أنا أقدم شيئا بتعريف الكتب المعروفة للشيخ عودة، وهى كمايلى

التشريع الجنائي الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى

هذه دراسات فى التشريع الجنائي الإسلامى مقارنا بالقوانين الوضعية، وأبدى فيها المؤلف من محاسن الشريعة، وأظهر تفوقها على القوانين الوضعية وسبقها إلى تقرير كل المبادئ الإنسانية، والنظريات العلمية والاجتماعية التى لم يعرفها العالم ولم يهتد إليها العلماء إلا أخيرا-

وهذه المقارنة هى بين قانون العصر الراهن وبين الشريعة، بين قانون متغير منظور يسير حثيثا نحو الكمال حتى يكاد يبلغه، وبين الشريعة نزلت من ثلاثة عشر قرنا لم تتغير ولم تتبدل- وهى المقارنة بين أحدث الآراء والنظريات فى القانون وبين أقدمها فى الشريعة-

واعتمد المؤلف فى هذه الدراسة على المذاهب الأربعة المشهورة، وهى المذهب المالكي، المذهب الحنفى، والمذهب الشافعى، والمذهب الحنبلى، فبين أحكام كل مذهب من هذه المذاهب فى كل موضوع، واجتهد أن يبين أساس الخلاف بين المذاهب- (٤)

وبدأ المؤلف بالقسم الجنائي، لأنه فى عقيدة جمهور رجال القانون لا يتفق مع عصرنا الحاضر، ولا يصلح للتطبيق اليوم، ولا يبلغ مستوى القوانين الوضعية، وهى عقيدة خاطئة مضللة، وإذا حاول أى شخص منصف أن يعرف الأساس الذى قامت عليه هذه العقيدة، فسيعجزه أن يجد لها أساسا سوى الجهل، وسيد هشه أن يعلم أننا نحكم على القسم الجنائي فى الشريعة بعدم الصلاحية، ونحن نجهل كل الجهل أحكام الشريعة الجنائية محملة مفصلة- (٥)

ويجد القارى فى هذا الكتاب البحوث مبوبة منظمة على غرار كتب القانون، لأن أصحاب القانون لا يشعرون بغيرية وغير مالوفة لهم-

واستعرض نشأة القانون والشريعة وقال "إن الشريعة لا تماثل القانون ولا تساويه، ولا يصح أن تقاس به، وإن طبيعة الشريعة تختلف تماما عن طبيعة القانون، ولو كانت طبيعة الشريعة من طبيعة القانون الوضعى لما جاءت على الشكل الذى جاءت به، وعلى الوصف الذى أسلفنا، ولوجب أن تأتى شريعة أولية، ثم تأخذ طريق القانون فى التطور مع الجماعة، وكان يمكن أن تأتى بالنظريات الحديثة التى لم تفرقها القوانين الوضعية إلا أخيرا، بل ما كان يمكن أن تصل إلى مثل هذه النظريات إلا بعد أن تعرفها القوانين وبعد مرور آلاف من السنين- (٦)

وهذا الكتاب يوفر موادا ضخمة فى مجلدين لمقارنة التشريع الجنائي الإسلامى مع القوانين الوضعية، ويفيد القراء أن الإسلام يهذى الناس إلى جميع فروع الحياة ومغلقاتها، ولا يحتاج الإنسان إلى أى قانون وضعى مع الإسلام لو كان يريد العمل على أحكام إسلامية مستفادة من الكتاب والسنة-

واختار المؤلف للكتابة اللغة التى يكتبها ويفهمها رجال القانون الآن مكتفيا بإلقاء الإصلاحات الفينة الشرعية أو ذكرها وذكر ما يقابلها من اصطلاحات القانون-

الإسلام بين جهل أبناءه وعجز علماءه

هذه رسالة صغيرة جمع فيها المؤلف من أحكام الشريعة لا يغنى عنها المسلم المثقف، حينما رأى المؤلف أن المسلمين يسرون من ضعف إلى ضعف، ويخرجون من جهل إلى جهل، وهم لا يدرون أن العلة الحقيقية لما هم فيه إنما هي الجهل بالشريعة الإسلامية، وإهمال تطبيقها على كمالها وسموها ولا يعلمون أن تشبثهم بالقوانين الوضعية الفاسدة هو الذى أفسدهم، وأورثهم الضعف والذلة.

وتشمل هذه الرسالة على فصلين: أحدهما، ما يجب على المسلم أن يعرفه من أحكام الإسلام ومقوماته. وثانيهما: مدى علم المسلمين بشريعتهم.

وقد ذكر المؤلف فى أحكام الإسلام ومقوماته، وقال "وأحكام الإسلام هى المبادئ والنظريات التى نزل بها القرآن، وأتانا بها الرسول ﷺ. ومجموع هذا المبادئ والنظريات هو ما نسميه الشريعة الإسلامية، فالشريعة اذن هى مجموعة المبادئ والنظريات التى شرعها الإسلام، فى التوحيد، وإيمان، والعبادات، والأحوال الشخصية، والجرائم، والمعاملات والإدارة والسياسة ومن غير ذلك من الأغراض وأعظم مقومات الإسلام هو العمل بأحكامه، اذا الإسلام لم يوجد إلا لتعرف أحكامه، وتقام شرائعه وشعائره، وعلى هذا، فمن أهمل العمل بالشريعة الإسلامية أو عطّلها فقد أهمل الإسلام وعطله" (٧)

وكذلك بين أن أحكام الإسلام إنما هى مشروعة للدين، والدين وأحكام الشريعة لا تتجزأ، التجزئة تخالف الغرض من الشريعة، ولأن الشريعة الإسلامية شريعة إلهية عالمية، وشريعة كاملة دائمة، والشريعة والقانون مفترقان وطبيعة الشريعة تختلف عن طبيعة القانون، وتختلف الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية اختلافا أساسيا من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن الشريعة من عند الله، أما القانون فمن صنع البشر، وكلا الشريعة والقانون

يتمثل فيه بجلاء صفات صانعه.

الوجه الثاني: أن القانون عبارة عن قواعد موقنة، تضعها الجماعة لتنظيم شئونها وسد حاجاتها. الوجه الثالث: أن الغرض من الشريعة هو تنظم الجماعة وتوجيهها وخلق الأفراد الصالحين، وإيجاد الدولة المثالية، والعالم المثالي، وأما القانون، فالأصل فيه أنه يوضع لتنظيم الجماعة ولا يوضع لتوجيهها ومن ثم كان القانون متأخرا عن الجماعة، وتابعاً لتطورها. (٨)

والفصل الثاني يشتمل على مدى علم المسلمين بشريعتهم وقال المؤلف إن المسلمين فيقسمون إلى ثلاث طوائف بحسب علمهم بالشريعة: الأولى، طائفة غير المثقفين، والثانية، طائفة المثقفين ثقافة أوروبية، والثالثة، طائفة المثقفين ثقافة إسلامية. (٩)

وأخيراً ذكر من أن يمكنوالمثقفين ثقافة أوروبية من دراسة الشريعة والاطلاع على مبادئها ونظرياتها مدى تفوقها على القوانين الوضعية، ويبينوا للحكام ورجال الهيئة التشريعية حكم الإسلام في القوانين المخالفة للإسلام، وفيمن يضعها وينفذها، ويعملوا على أن لا يصدر أى قانون جديد إلا تحت رقابتهم وبعد استشارتهم حتى لا يصدر أى قانون جديد على خلاف الإسلام.

وكل منا من جماهير والحكومات الإسلامية مسئول عما نحن فيه وعما انتهى إليه أمر الإسلام، وعلى معشر الروساء أن يكونوا مسلمين من قبل، ويضعوا الإسلام فوق كل شئ يحكموه في أنفسهم، ويجعلوه أساساً حكمكم، وقيموا عليه الدولة الإسلامية، لأن أشخاصهم فانية، وليس بعد الموت إلا الجنة أو النار، ولن ينفع أحدكم ملكه أو ماله أو أهله، ينفعه العمل الصالح والقيام على أمر الله.

الإسلام وأوضاعنا القانونية

كما ذكر أن الشيخ عبد القادر عودة، إنما هو قاض ومحام، فله حق تام للبحث حول

القانون وهجمها، وكتب أولا وهو يعتذر إلى القانون "أن القانون يحرم على الموظفين وعلى الأخص القضاة أن يبدوا رأيهم فى المسائل العامة، ويعد ذلك منهم اشتغالا بالسياسية، والسياسة عند صانعى القانون هى كل ما يمس المسائل الاجتماعية والاقتصادية والمالية، وكل ما تعلق بتنظيم الدولة وصلتها بالأفراد والجماعات والدول، وكل ما اتصل بنظام الحكم، بل كل ما اتصل باستقلال الدول وحريتها وكرامتها.

إن صانع القانون يريدون أن يجعلوا من الإنسان آلة، يريدون من القاضى أن يغمض عينيه فلا ينظر، وأن يعم أذنيه فلا يسمع، وأن يمسك لسانه فلا يتكلم، وأن يتجرد إنسانيته فلا يحس ولا يشعر ولا يفكر. (١٠)

وإذا عبر الشيخ "أن القوانين هى أداة لجر المغانم والترخيص بالمظالم، وأن وظائف الدولة وخيراتها مقصورة على الأنصار والمحسوبين والمنسويين، وأن النفاق هو وسيلة النجاح فى الحياة، وأن التحلل من الأخلاق والإباحية هو أول ما يقرب إلى ذوى النفوذ والجاه" فجعل يخاف "أن أناسا ستحمر أنوفهم عند ما يقرأون هذا الكلام غضبا وحمية لأصنام الحاضر، وما الأصنام إلا هذه القوانين التى هم عليها عاكفون، هذه القوانين التى يطبعها المسلمون فيما يغضب الله، وتحرم بها الحكومة الإسلامية ما أحل الله، وتحل بها ما حرم الله." (١١)

ودعا المؤلف المسلمين إلى أن يجعلوا واجبا عليهم عصيان الحكومات والحكام فيما يومر بهم من معصية الخالق، ويحرم على كل مسلم أن يطيع قانونا أو أمرا يخالف شريعة الإسلام، ويخرج على حدود ما أمر به الله ورسوله، ويتعاون مع أخيه بتغيير المنكر وتحطيم هذه الأصنام والطواغيت، ووظيفة القانون هى خدمة الجماعة وسد حاجتها، فإن كل قانون لا تحقق نصوصه هذه الوظيفة، أو تخرج عليها بفقد مبررات وجوده ومسوغات مشروعية فهو باطل لا يصح أن يطاع، ولا يستحق أن يحترم.

وقال إن القوانين المصرية هدفها الأول هو حماية التجارة الإنجليزية وتضع مصر أرضها وسماءها وجهود أبناءها وأموالهم في خدمة الاستعمار- (١٢)

ووضح الفرق بين طبيعة الشريعة وطبيعة القانون، فالشريعة لها العنصر الروحي والأخلاق الفاضلة، ومصدرها الله جل شأنه، والقانون ليس له العنصر الروحي إلا ما شاء الله، والأخلاق الكريمة لا تمس إلا بشئ من الضرورة والاحتياج، ومصدرها الإنسان يقوم بوضع هذه القوانين-

ثم بين ماذا فعلت بالمسلمين القوانين الوضعية وكيف خسر المسلمون معركة الاستقلال بالانحراف عن الإسلام، وإن القوانين الوضعية تهدد نظامنا الاجتماعية، وجعل الاستعمار العدو الأول للإسلام والمسلمين، وقال إنها لعداوة طبيعة، فما يستطيع الاستعمار أن يقف على قدميه في بلد يطبق أحكام الإسلام، وذكر وسائل الاستعمار- (١٣)

وأخيرا قال الشيخ عودة أن الأحكام المسلمين بالإسلام، ويخافون ذهاب سلطانهم إذا عملوا على أحكام الإسلام، وعضوا عليها بالنواجذ، فلا يقدمون ولا يبحثون على أن يكون الإسلام المصدر الوحيد والقانون العزيز لجميع قضايا المسلمين ومشكلاتهم فيقول "هذه هي أوضاعكم تنكرها ألسنتكم، وتأبأها قلوبكم، ولكن الاستعمار يفرضها عليكم بسلطانه، ويستعين على إقامتها بينكم بأعوانه، وأن الإسلام ليقضى أن تحطم هذه الأوضاع وتزول، ولن تزول إلا إذا تحطم الاستعمار وزال، فجاهدوا الاستعمار، فهو عدو الإسلام الأول وعدوكم، وابذلوا في جهاده من أنفسكم وأموالكم، وتعاونوا على إخراجهم من دياركم، واستعينوا على إخراجهم بتسوية صفوفكم، وتوحيد مناهجكم، وأعدوا واستعدوا ليوم الخلاص، فقد اقترب أجله" ولينصر الله من ينصره" (١٤)

"والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (١٥) (١٦)

الهوامش

- (١) خير الدين الزركلى: الأعلام، ٤٢/٤
- (٢) ترجمان القرآن: العدد الثامن، أغسطس عام ٢٠٠٠ م
- (٣) خليل أحمد الحامدى: الإخوان المسلمون، تاريخ دعوت وخدمات ٨٠-٨٧
- (٤) عبد القادر عودة: التشريع الجنائى الإسلامى، ٦/١
- (٥) المصدر المذكور: ٦
- (٦) المصدر المذكور: ١٧
- (٧) عبد القادر عودة: الإسلام بين جهل أبناءه وعجز علماءه، ٧٥
- (٨) أنظر للتفاصيل: المصدر المذكور: ١٨-٢١
- (٩) المصدر المذكور: ٣٨
- (١٠) عبد القادر عودة: الإسلام وأوضاعنا القانونية، ٥
- (١١) المصدر المذكور: ٩
- (١٢) المصدر المذكور: ١٢
- (١٣) أنظر للتفاصيل: المصدر المذكور: ٤٦-١١٤
- (١٤) سورة الحج: الآية، ٤٠
- (١٥) سورة يوسف: الآية، ٢١
- (١٦) عبد القادر عودة: أوضاعنا القانونية، ١١٩

الشيخ عمر التلمساني

حياته

ولد الشيخ عمر التلمساني في "غورية" القاهرة ٤ نومبر ١٩٠٤ م، هذا حي قديم، تجلى قدامته من كل وجه، فيه أزقة دقيقة وغرف واسعة.

وكانت أسرة الشيخ التلمساني أصلاً من الجزائر، وكان أجداده يعيشون في بلدة تلمسان، ولذلك يلقب الشيخ وأهله بالتلمساني، وإذا شنت فرنسا غارة على الجزائر، فقاتل أهل التلمسان إلى نهاية الحرب، وسقطت التلمسان في آخرها بيد فرنسا ويذكر أهل فرنسا من الشجاعة والقوة التي تسلحت بها التلمسان، وجاهدت في دفاعها والذود عنها، ويخص قسم في متحف "لوور" بباريس بتلمسان وأشياءها التي حصلت فرنسا. (١)

وإذا قامت سلطة الفرنسيين في الجزائر عام ١٨٣٠ م، فهاجر جد الشيخ الثاني مع عياله إلى مصر، وبدأ بها التجارة، وكان يتاجر الأقمشة والأطعمة في مصر والخرطوم وسنغافور، ولكن بعد وفاته أعرض جد الشيخ عمر التلمساني عن التجارة وشغل في الزراعة، وجعل من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقام يطبع الكتب العديدة لهذه الحركة على نفقته الخاصة، تتزين بها مكاتب المملكة العربية السعودية إلى الآن، وكان من أحبابه وأصدقاءه عدد كبير من العلماء والمشائخ في الجامع الأزهر، وكان منهم المرحوم الشيخ الإمام السقا، ويدعوا أكثرهم إلى زراعة، ويستفيض في علمه ويتمتع بعلومهم وعبقريتهم في الفنون الجميلة.

ونشا الشيخ عمر التلمساني في هذا الجو العلمي، ورضع من لبنان العلم والفن، ورغب إلى العلم، فدخل في مدرسة "سيدى على" واستفاد من المرحوم الشيخ عبد العزيز القلماوى، والمرحوم الشيخ أحمد الرفاعي. (٢)

وحفظ القرآن الكريم، ودرس بعض كتب الحديث والدينية، وقرأ كتب الأستاذ أبوزيد الهلالي سلامة، وسيرة عنترة بن شداد وسيف بن ذي نيرن، وتأثر بقصص الإسكندر ديماس وجرأته وشجاعته، ودرس أيضا جميع كتب المنفلوطي، وبكى واشتد الحزن، وحاول أن يقرض الشعر، ولكنه رجع ولم يبذل من جهوده في ذلك المجال، ثم عاد إلى دراسة الكتب الدينية، وتفسير الزمخشري، وابن كثير، وابن القرطبي، وسيرة بن هشام، وأسد الغابة، والطبقات الكبرى، ونهج البلاغة، والأمالى والعقد الفريد، والصحيح للبخارى، والصحيح للمسلم، ولكنه اعتبر استفادة هذه الكتب قطر الندى لا يشبع ولا يغني عن العطش- (٣)

وتخرج في المدرسة الهامية وحصل على شهادة الليسانس في الآداب- (٤) ثم التحق بكلية الحقوق، وحصل على شهادة الليسانس في الحقوق، وبدأ حياته الجديدة بكونه محاميا، وعزم أن لا يخذع مؤكله، بل يبدى كل شئ بصدق وأمانة، فجعل يتقدم يوما فيوما- وإذا انتمى إلى حركة الإخوان المسلمين، تغيرت دنياه، وقام المرشد العام بتربيته تربية حسنة، وأنبته نباتا حسنا، ولم يجرى وراء الدنيا، وجعل مدير بيت المال للإخوان المسلمين، واشترك جميع البرامج التي أقامتها حركة الإخوان، وجاهد في سبيل الحق حتى اعتقل وسجن باسم الإخوان، ولكنه ثبت وصبر، ونصر الله بالعز والشرف وجعل المرشد العام للإخوان المسلمين- وألف الشيخ عمر التلمساني "شهيد المحراب عمر بن الخطاب، و"ذكريات" فأنا أقدم صورة لهذين الكتابين-

ذكريات

هذا الكتاب من ذكريات المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين السيد عمر التلمساني، وهو مجموعة الوثائق والحوادث التي رواها المرشد العام، وبدأت الجريدة اليومية الشهيرة "الشرق الأوسط" ونشرت في الثالث من شهر يوليو عام ١٩٨٤م، ورتب هذه الذكريات

الصحفى المعروف عصام الفازى، وهذه الجريدة إنما هى تصدر من لندن، وباريس، وجدة ورياض، والمراكش ونيويورك فى وقت واحد، وهى تقدم من مبلغ خطير كل من تنشر ذكرياته ومقالاته فى هذه المجلة. (٥)

هذه هى أمانة التضحية العظيمة والنصيحة الكاملة والثبات الدائم، وكل باب من أبوابها تتجلى فيه أنواع من المصائب والنوائب والنكبات التى واجهها الإخوان المسلمون، وهى ليست سيرة ذاتية تدور حول شخصية واحدة، بل تدور رحاها حول شخصيات متعددة ومآثر متنوعة تذكر المسلمين من البلاء الحسن، والتاريخ العظيم.

فيروى المرشد من شوقه ورغبته إلى الكتب الدينية، والتحاقه بهذه الجماعة المباركة، وتعلقه بالمرشد العام حسن البنا ودعوته وحماسه وغيرته للدين والإسلام، وشهادته ورسالته، ودعوة الإخوان، متطلباتها من المسلمين وسر انحطاط المسلمين فى العالم، وعلاقة الإخوان المسلمين مع الأحزاب السياسية الأخرى مصر الفتاة والإخوان، وشخصية حسن الهضبي، واللواء جمال عبد الناصر، وتعذيبه الإخوان والأخوات، وإصدار حكم الإعدام والاعتقال، ومواجهة الإخوان بأشد العذاب، وقتل السادات، واعتقال الإخوان، والرئيس حسنى مبارك، وإصلاحه الناقص فى ميدان الزراعة والسياسة، كل جزأ من الإخوان يجدها القارى فى هذه المذكرات.

إن المرشد العام قد أبان فيها من تاريخ الإخوان ونواحيها الكامنة، فلا يخاف لومة لائم، ولا يشرك بالله أحدا، ويروى أن الشهداء الذين نالوا هذه المنزلة الرفيعة، وضحوا أنفسهم ابتغاء مرضات الله، إنما كان كل هذه الجريمة الشنيعة الفحشاء على إشارة اليهود. (٦)

وأخيرا قدم من سيرة العباقره مثلا سيد قطب الشهيد، وعبد القادر عوده الشهيد، والسيد صالح أبو رفيق وذكرهم من الذكر الجميل والثناء الجزيل، وألقى رسالة إلى الأمة الاسلامية. (٧)

وذكر أيضا من أسباب هذه الذاكرة، فيقول إنما الغرض من هذه المذكرة هي إيضاح النفس بالصورة الأصلية، وما مرت من مراحل عديدة في حياته من المحام إلى المرشد العام، واعترف أنه من أجل الإخوان، ودعا أن يتقبل الله قبولاً حسناً من خدماته التي أداها في سبيل الله - (٨)

شهيد المحراب عمر بن الخطاب

هذا الكتاب ألفه الشيخ عمر التلمساني في سيرة شهيد المحراب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو ليس أول كتاب في هذا الصدد، بل كتب عدد كبير من العلماء والأدباء حول هذه الشخصية الفاخرة، وهذا الكتاب من زيادة مفيدة في هذا الركب الميمون، وباعث اليمن والبركة وإبانة الحب مع من أحب، فيقول المؤلف "قلت: فعمر اذن - ووجدت مجال القول فيه واسعاً فاستنحرت الله وكتبت، ولا أكتب عن عمر رضي الله عنه، مورخاً، ولكني أكتب عنه ولياً من أولياء الله، عمر الذي جملته هذه الولاية في كل مأخذ من مأخذ الحياة لاتغافقه في أي مذهب من مذاهبها تسدده وترشده وتهديه إلى كل ما يمكن أن يعرض لمسلم، ولاية الله صفته وخشية الله سريره وعلايته، وما يستهديني شيء في الحياة ما يستهويني حب أوليائ الله" (٩)

وكذلك وضح وجهة نظره الخاصة "ولكني اكتب عنه من وجهة نظري الخاصة قد تروق وقد لاتروق، فما ذالك في التعذير، وقد تفيد وهذا ما أتمناه من كل قلبي، وقد لا تفيد وهذا ما أسي عليه، على أن أحاول، وليس لي تحقيق النتائج، فهذا شيء لا يسأل فيه إنسان، ولكن يتولاه صاحب الشأن الأكبر جلاوعلا - (١٠)

وكتب المؤلف حول حياة أمير المؤمنين ما قبل الإسلام فيقول "كان عمر شديد النكير على المسلمين في جاهليته، إلا أن سلامة فطرته المهيأة للخير كانت تبدو منها ومضات تدل على ما في دحيلة نفسه من خير، (١٢)

وكان الحياء، والحياء خير كله، فطرة عمر حتى قبل إسلامه، وكانت فطرته السليمة، واستعداده الطيب، ورضاء الله عنه كانت كلها لما وصل إليه في الإسلام من مكان رفيع- (١٢) وبعد إسلامه كان إسلامه حدثاً في تاريخ الإسلام، فما كان المسلمون يستطيعون الصلاة بالبيت الحرام لما يلقونه من إيذاء قريش وعنتهم، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى أرغم المشركين على ترك المسلمين يصلون بالبيت- وهكذا "إن تنصر الله ينصركم ويثبت أقدامكم" (١٣)

ثم ذكر المؤلف سيدنا عمر رضي الله عنه والذين معه من الصحابة رضي الله عنهم وما ورد عنهم في فضل عمر وكرمه وشرفه، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه "مابال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبوى المسلمين بما أنا منه منتزه، ومما يقولون برئ، وعلى ما يقولون معاقب، فالذى فلق الجنة، وبرأ النسمة، لا يجبهما إلا كل مومن تقى ولا ييغضهما إلا كل فاجر غوى، اخو رسول الله ﷺ وصاحبه ووزيره" (١٤)

وكذلك ذكر المؤلف أن عمر رضي الله عنه هو الذى أشار على أبى بكر الصديق رضى الله عنه بجمع القرآن، فأمر زيد ابن ثابت بجمعه، ولم يكتف بذلك، وقد أدى المشورة فقبلت، ولكنه كان يحضر الكتبة وهم يكتبون ذلك إما تشجيعاً أو استحساناً وإما تبركاً وإما إشرافاً-

وألقى الضوء على خلافة عمر رضى الله عنه ويكتب رواية عن اللغة العربية "فيرى عمر رضى الله عنه أن الضعف فى اللغة العربية شر من الضعف فى التدريبات العسكرية، وإنى لأرتاح هذا الفهم، إن عمر يعرف مالمالمة اللغة العربية من أثر فى حفظ كيان الأمة الإسلامية، بل وعلى بقائها إسلامية فعلاً، فيلفت النظر فوراً إلى ما من اللحن فى شرو خطاً، ولو قدر دعاة العامة مافى دعوتهم من أخطار داهمة على إسلامهم وعلى الأمة العربية مسلميها وغير مسلميها لأقلعوا فوراً عما يدعون إليه" (١٥)

وعمر وخالد وعمر وأرض الخراج أيضاً من عناوين الكتاب، يستلفت أنظار القراء ويوفر

مواداً ضخمة لطلبة السيرة الفاروقية، وإذا وصل إلى استشهاد عمر رضى الله عنه فيتدقق قلمه، ويرتشف جره، فيكتب "واستشهد عمر، وهو أرحم المسلمين بالمسلمين، بل هو أرحم الناس بالمسلمين وغير المسلمين، لا يجد الشر إلى نفسه مسلماً، ولا تعرف القسورة في قلبه مستقراً لها وبيت القتل له ظلوم، واستشهد عمر وهو مهيب مهاب، تملأ هيئته القلوب، حتى لينسج بعض من في مجلسه عن الكلام مهابة وإجلالاً----- فلم تدفع الهيبة عنه اغتيالاً" (١٦)

وأخيراً كتب "لقد كان هد في من الكتابة التعبد الخاص من نفحات روضة ولاية عمر رضى الله عنه، والذي كانت ولايته لله آية في كل ما أجرى الله على قلبه ولسانه ويده، وأمل أن أكون قدمت خيراً" "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب" (١٧)

الهوامش:

- (١) عمر التلمساني: يادون كي أمانت، ٥١
- (٢) المصدر المذكور: ٥٣
- (٣) المصدر المذكور: ٥٦
- (٤) المصدر المذكور: ٦٥
- (٥) أنظر للتفاصيل: المصدر المذكور: ٤١-٤٢
- (٦) المصدر المذكور: ٤٨٢-٤٨٣
- (٧) المصدر المذكور: ٤٥٠
- (٨) المصدر المذكور: ٥٠٦
- (٩) عمر التلمساني: شهيد المحراب عمر بن خطاب، ٤
- (١٠) المصدر المذكور: ٧

(١١) المصدر المذكور: ٥٦

(١٢) المصدر المذكور: ٥٧

(١٣) المصدر المذكور: ٥٧

(١٤) المصدر المذكور: ٦٥

(١٥) المصدر المذكور: ١٨١

(١٦) المصدر المذكور: ٢٤٨

(١٧) المصدر المذكور: ٢٨٣

مصطفى محمد الطحان

إن شخصية مصطفى محمد الطحان شخصية بارزة اتصلت في ريعان شبابها بحركة الإخوان المسلمين، ووقفت حياتها في سبيل هذه الحركة الإسلامية وفي خدمة الإنسانية جمعاء.

حياته وشخصيته

ولد الشيخ مصطفى محمد الطحان في لبنان عام ١٩٣٨ م، وحصل على شهادة الماجستير في الهندسة الكيماوية، واشتغل بمنصب عظيم في مجال البترول بالكويت، وتحرك لقيام حركات طلابية إسلامية في استنبول خلال ١٩٦٠ م - ١٩٦٤ م، وأنشأ منظمة للطلاب العرب المتخرجين من جامعة استنبول وألح على المجاهدة في سبيل الله، وكان عضوا مستقلا للأمانة العامة من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٧ م، وصار أميناً عاماً سنة ١٩٨٠ م، وأصدر مجلتي في العربية والإنجليزية لأبناء الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي، وكذلك هو أمين عام للتجمعات الإسلامية باستنبول - (١)

مؤلف و كاتب

وألّف الشيخ الطحان كتباً حول الفكر الإسلامي وحركات الدعوة والجهاد، أذكر منها

الأهم:

(١) الفكر الحرّكي بين الإصالة والانحراف.

(٢) الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا.

(٣) القومية بين النظرية والتطبيق.

(٤) نظرات في واقع الدعوة والدعاة.

(٥) نظرات فى واقع المسلمين السياسى-

(٦) القيادة فى العمل الإسلامى-

(٧) فى التدريب التربوى-

(٨) حاضر العالم الإسلامى ١٩٩١م-

(٩) حاضر العالم الإسلامى ١٩٩٢م-

(١٠) فلسطين والموامرة الكبرى-

(١١) مستقبل الإسلام فى القوقاز وبلاد ما وراء النهر-

(١٢) دور الشباب فى بناء الأمة-

(١٣) النظام الإسلامى منهاج منفرد-

(١٤) رد على كتاب آيات شيطانية-

(١٥) شخصية المسلم المعاصر-

(١٦) تحديات سياسية تواجه الحركات الإسلامية-

(١٧) المرأة فى موكب الدعوة- (٢)

ها أنا ذا أقدم من تعريف الكتائب الشهيرين:

(١) مستقبل الإسلام فى القوقاز وبلاد ما وراء النهر

هذا الكتاب يشمل ذكريات الرحلة التى قام بها الشيخ الطحان فى هذه البلاد، ولكن

يتجلى لنا بعد دراسته، أنه ليس من مذكرة الرحلات، بل هو تاريخ وجيز لهذه البلاد وسكانها

وثقافتها وحضارتها، ونجد فيه تاريخ الفتح الإسلامى لقفقاز وتركستان، والسلطة العثمانية

والاستعمار الروسى، ومرحلة الانتشار للاستعمار وذيوها فى أكثر المناطق وانحطاط الاتحاد

السوفيتى، والجمهوريات الإسلامية فى مناطق ما وراء النهر-

فاذا تحدث المؤلف حول أى بلدة، فيذكر من محل الوقوع وعدد السكان والمعادن والمصانع، وكيف ما دخل الإسلام فى هذه البلدة؟ والحالة المعاصرة بعد الحرية، وحالة المسلمين وشوقهم ورغبتهم إلى الدين، والجميعات الدينية، واتجاه عام بين الشعب، فيذكر على هذا الدرب من ذكر تاجكستان، فاينما تقع؟ وكيف الأرض؟ وعدد السكان، وأى مسلك فقهي يعمل المسلمون عليه؟ وما هى من أهم البلاد والمدن؟ وماهى الوسائل الفطرية؟

فيلقى المؤلف الضوء على دخول الإسلام فى هذه البلاد، دخل الإسلام فى هذه البلاد فى عهد الأمويين سنة ٧٠٦م، وقامت السلطة السامانية فى القرنين التاسع والعاشر، تشمل جميع بلاد آسيا الوسطى وأفغانستان، وكانت عاصمة هذه البلاد بخارى تعد من أكبر مراكز الإسلام فى مجال الحضارة والفن، ولكنها سقطت على يد الترك سنة ٩٩٩م- (٣)

وذكر المؤلف أيضا الثورة الإيرانية والجهاد الأفغانى، والإصلاح مع اللادينين، والحرية وتشكيل الجبهة الوطنية بالإبانة والتفصيل-

وكذلك ذكر جميع المناطق الإسلامية المتعلقة بالاتحاد الروسى، ومستقبل الإسلام فى هذه المناطق، وصورة موجودة فى مجال السياسية والدين وما يتمناها المؤلف فى المستقبل- (٤)

القيادة فى العمل الإسلامى

هذا الكتاب يوفر من معلومات مفيدة حول الحركات الإسلامية المعروفة، ومؤسسيها، ويفيد القارى من خدمات طويلة متنوعة أداها هذه الشخصيات المباركة فى أنحاء العالم المختلفة، مثلاً الشيخ حسن البنا والسيد أبو الاعلى المودودى، والعلامة مصطفى السباعى، والإمام عبد الحميد بن باديس، والشيخ عز الدين القسام وغيرهم-

هؤلاء هم الرجال الذين عرفوا الدين ودعوا الشباب إلى الاسلام من جديد، وأثبتوا

بجهودهم الجبارة والإيمان الكامل أن الاسلام هو الدين الوحيد يقدم الحل لجميع المشاكل المتواردة من مختلف الجهات، ولا يمكن الفوز والفلاح إلا به والسير على دربه ومنواله-

فيجد القارى فيه الدكتور مصطفى السباعى الذى أنشأ حركة، وربى جيلا، وأوقد منارا استفاد به غيره، وهو رجل سياسى، مغوار باسل، ومجاهد جليل يتلأأ على جبين التاريخ الإسلامى المعاصر- (٥)

وهذا هو رجل صالح وشاب غيور أى عز الدين القسام، أعلن الجهاد ضد الاستعمار الفرنسى حتى نفى من داره، ووصل إلى فلسطين أقام بها منظمة حربية واتضح له بفراسته المؤمنة وحكمته الموهبة أن اليهود قد دخلوا فى فلسطين لقيام الحكومة الصهيونية، وهذه الحكومة لا تقوم إلا بعد القضاء على الشعائر الدينية وإجهاض أسس الدين، فقام للجهاد ضد هذه الحكومة وحلفاءها حتى استشهد- (٦)

وهذا الإمام عبد الحميد بن باديس الذى ولد فى الجزائر وعاش مدة طويلة فيها، حتى صارت من مستعمرات فرنسا، فتفكر الإمام لتحرير البلاد، وبدأ يعمل فى هذا الصدد، ولقى طبقة الشباب وألقى فى قلوبهم من الحب للإسلام وللحرية، ودعا إلى اختيار المناهج والعمل عليها كى يسهل لهم طريق التحرير، وجاهد هؤلاء الشباب حتى كتب الله لهم الفتح والحرية- (٧)

وهذا الشيخ أبو الاعلى المودودى أنشأ حركة إسلامية فى شبه القارة الهندية، ألف وخطب وجاهد، واشترك فى التظاهرات، وتحمل شدايد السجن ومحن الاعتقال، وواجه النكبات والتعديات وقال دائما لو جلست فى هذا المجال، فمن يقوم ويودى الواجبات؟ (٨) وهذا الشيخ سعيد رمضان نورسى أسس حركة النور، مازال يستفيد بها شباب تركيا-

والآن يواجه الشباب المسلمون تلك الأوضاع التى واجهها هؤلاء السلف وجاهدوا ضدها لنيل العزة وحصول المجد والشرف، فيدعو هذا الكتاب إلى التسلح بجميع الأسلحة التى

كانوا متسلحين بها والنهج على تلك المناهج سلكوا عليها كي يقدر لهم المعالي ويحفظوا بالسيادة والنوالى-

الهوامش

- (١) مجلة ترجمان القرآن، العدد الثامن، المجلد ١٢٧- أغسطس عام ٢٠٠٠م
- (٢) أنظر للتفاصيل: المصدر المذكور
- (٣) د/عبيد الله فهد الفلاحى: وسط ايشيا ميں اسلام كا مستقبل، ٧٤ (ترجمه أردية لكتاب مستقل الاسلام فى القوقاز وبلاد ما وراء النهر
- (٤) أنظر للتفاصيل: المصدر المذكور
- (٥) د/محمد سمیع آخر: عالمی تحریکات اسلام کی چند انقلابی شخصیات ترجمه أردوية لكتاب القيادة فى العمل الاسلامی لمصطفى محمد الطحان- ٤٤- ٨٥
- (٦) أنظر للتفاصيل: المصدر المذكور، ٨٦- ١١٥
- (٧) المصدر المذكور: ١١٩- ١٧٥
- (٨) المصدر المذكور: ١٧٨- ٢٢٦
- (٩) المصدر المذكور:

د/سعيد رمضان

حياته وشخصيته

ولد الدكتور رمضان فى مدينة طنطا فى ١٢ ابريل / ١٩٢٦م، ونشأ على يد زعيم الإخوان المسلمين فى هذه البلدة والعالم الشهير د/بهي الخولى، وتخرج فى كلية الحقوق ١٩٤١م من جامعة القاهرة. وعمل مجاهدا فى سبيل الله وداعيا إلى الرجوع إلى الكتاب السنة، وأبلى فى سبيل هذه الدعوة والمجاهدة بلاء احسنا وتعرض محنة الاعتقال والتعذيب أكثر من مرة بسبب اهتمامه بالدعوة الإسلامية.

وقد كان الأستاذ الدكتور سعيد رمضان يشارك فى أعمال الدعوة وإصلاح المجتمع التى كان بدأها الإمام حسن البناء، وفاز بالدرجة الأولى والمكانة المرموقة فى مجال الدعوة والتربية، وجعل زعيما بارزا وقائدا عظيما للإصلاح والتبليغ منذ أيام شبابه، وساهم زملاءه وأصدقاؤه فى تغيير المجتمع الصادم الفاسد المملوء بالفساد والدمار، فأثروا على المجتمع المصرى ونالوا الإعجاب والقبول من كل جانب، ولكن قامت ثورات عسكرية فى بلاد العالم العربى وتشكلت حكومات قادت بالقومية العربية أولا، ثم مزجت هذه الدعوة بالعلمانية المعادية لدين الإسلام، فلم يستطيع الدعاة المسلمون الصبر على هذا الانحراف الجارف الهدام للإسلام فى مهاده وأوطانه، وبدأوا يكافحون هذا الانحراف حتى صاروا مكروهين مبغضين من قبل الحكام التابعين فى سياساتهم للقوى الكبرى فى العالم، ونشأت هناك خصومات وعداوات بين الفريقين فى بلاد الإسلام، ويتلقى التوجيهات الغربية العلمانية، ويطبقها على القائمين للإسلام فى بلاده وأوطانه، وفريق لا يرضى بهذه السياسة المارقة المعارضة للفكرة الإسلامية، ويريد أن يعمل شيئا لخدمة الإسلام والمسلمين، وهو فريق المومنين بالفكرة

الإسلامية، والقائمين بعمل الدعوة وإصلاح الاتجاهات الفاسدة في أعينهم- (١)

لقد عانى الدكتور سعيد رمضان قسوة وجفاء شديدا من حكومات بلاده وبلغ به الأمر إلى أن اضطر إلى مغادرة وطنه إلى بلاد الكفر ليكون في مأمن من نعمة الحاكمين من أبناء وطنه وبلاده، فان بلاد الكفر لم تكن وصلت إلى حد تضيق الخناق للمعارضين كما بلغته حكومات الشرق-

وكان الدكتور سعيد رمضان صهرا للإمام الشيخ حسن البناء، رحمه الله تعالى - وكان في حياته متصلا به فكرة وعملا، وسلك طريقه في الدعوة ونقد على الفكر المنحرف في بلاده، أوغر صدور الحاكمين في وطنه ضده لأن النقد على سياساتهم المنحرفة المستبدة كان سببا لضعف نفوذهم السياسي في بلادهم وكانوا لا يرضون بذلك-

وساهم الدكتور سعيد رمضان في إنشاء المنظمة الإسلامية العالمية الجلية "رابطة العالم الاسلامي" في مكة المكرمة، وكان عضوا تأسيسيا فيها يحضر دوراتها السنوية مع زملاءه المؤسسين من كبرى الشخصيات الإسلامية، وذلك تحت إشراف الملك فيصل بن عبد العزيز- وقام الدكتور بإعداد بحث للدكتوراه على القانون الإسلامي، ونال عليه درجة الدكتوراه من جنيف، وأصبح بذلك دكتورا علميا، وحصر عمله في المجال العلمي وترك العمل السياسي لئلا يضطرم نشاته باتجاهات الحاكمين والحكومات في بلاده وغير بلاده ودام يقوم بجهوده الأدبية الفكرية الإسلامية عن طريق مركزه الاسلامي بجنيف-

أنشأ الدكتور سعيد رمضان مركزا إسلاميا في جنيف، واستخدمه لنشر الوعي الإسلامي، وخدمته الفكرة الإسلامية، وكان لهذا المركز أعضاء من الشخصيات الإسلامية كانوا يحضرون في دورات مجلسه السنوية، ويصادقون على خطط عمل القوعية الإسلامية في بلاد العرب، فان التوعية الإسلامية اذا لم تكن يقلبها المتصرفون بسياسة البلاد الإسلامية، فلا

باس فى أن ييسط عملها فى ديار الغرب الكافر التى لاتمنع مثل هذا الجهد الكريم، وكان الدكتور سعيد رمضان صحفيا إسلاميا اشترك فى المجالات العديدة كما سيأتى فيما بعد- (٢) لقد كان الدكتور سعيد رمضان مليئا بقوة العمل- نشيطا فى عمل التوعية، شديد الرأى، صحيح الفكر، متحركا للدعوة، يملك من المقدار الخطائية وقوة البيان ما ينفخ حيوية كبيرة وحامسا للعمل فى الجماهير وخاصة فى الشباب-

ولكن أفل نجم الدعوة الإسلامية والحماسة الدينية توفى يوم الجمعة ٦/ من شهر ربيع الأول عام ١٤١٦هـ فى مدينة حنيف فى سويسرا، بعد حياته حافلة بالعمل الإسلامى والدعوة- (٣) صحفيا إسلاميا

وإذا صدرت مجلة "الشهاب" تحت إشراف الإخوان المسلمين، فجعل الدكتور سعيد رمضان مديرا لها، ولكن لم تعمر هذه المجلة من عمر طويل، فأصدر الدكتور سعيد رمضان مجلة أخرى سماها "المسلمون" فى القاهرة، وأصبحت هذه المجلة مخزن العلماء والأدباء والكتاب المسلمين، وذاع صيتها فى العالم الإسلامى، فاذا نشبت الخلافات بين مجلس الشورى والإخوان، فجعلت عرضة وتوقفت، ولكن لم يرضى سعيد رمضان أن تتوقف هذه المجلة الغراء، وإذا هاجر إلى سوريا، تحدث مع الأستاذ الجليل د/مصطفى السباعى كما يتحدث القصة بنفسه:

"ولعل من أصدق دلالات ذلك أننى حين جئت إلى سوريا من الأردن قبل تسع سنوات بعد أن ضاق به كلوب، وفكرت فى إعادة إصدار "المسلمون" التى انقطعت منذ هجرته من مصر قبل ذلك بعام، لم تكن لى جنسية سورية تجعلنى ذاق فى طلب رخصة إصدار وفق قانون المطبوعة السورى، وكان رحمه الله أقرب شخصية سورية يمكن أن تتحمل مسؤولية التحرير، فما أن أسررت إليه بذلك حتى تطوع عمله فى ثقة عزيزة لا أزال أذكرها بعميق العرفان بالفضل

والشكر الكريم، وهكذا وافقت الحكومة السورية على الترخيص بصدور "المسلمون" فجعلت تصدر أكثر من عامين في دمشق، حاملة في صدر صفحاتها اسم مصطفى السباعي رئيساً مسئولاً عن التحرير دون أن يلقي هوء لا على مادة التحرير في قليل أو كثير، بل لقد رضى أن يكون شأنه شأن قراء المجلة مع كل عدد ياتيها بعدد الصدور. مع أنه كان يتحمل أمام حكومته. من دونهم أو من دون كتابها. مسئولية كل ما ينشر فيها من مقال أو تعليق" (٤)

وكذلك أنشأ الدكتور سعيد رمضان مركزاً إسلامياً في جنيف واستخدمه لنشر الوعي الإسلامى وخدمة الفكرة الإسلامية، وكان الدكتور قد أصدر مجلة إسلامية شهرية باسم "المسلمون" في مدينة دمشق أولاً ليكون نفعها واسعاً، ولما ضاق المجال على إصدارها في دمشق، نقل إصدارها منها إلى مدينة جنيف، ومن المدينتين صدرت المجلة سنوات طويلة، من دمشق أولاً ومن جنيف ثانياً، ودامت تثبت الوعي الإسلامى في الطبقة المتعلقة للمسلمين.

مؤلفا وكاتبا

مع هذه الحياة الحافلة بنشاطات الدعوة ألف الدكتور سعيد رمضان كتباً ورسائل، وأنشأ الجرائد الصحفية، لتقديم الصورة الصحيحة للإسلام وترديد كل مكائد الأعداء ونفورهم من الدين الحنيف.

وهذه الكتب والرسائل كما يلي:

(١) فقه السيرة النبوية مع موجز تاريخ الخلافة الراشدة

(٢) القضايا الثلاث يواجهها العالم الإسلامى

(٣) التشريع الإسلامى حيازه وعدالته

(٤) خواطر

الخواطر:

فهذه ديوان الكلمات التي كان ينشرها الأستاذ سعيد في "المسلمون" وترجم لها بعنوان "خاطرة" ولا يجاوز فيها على الغالب الصفحة من صفحات المجلة، وهي كلمات فيها على اختصارها أفكار عميقة واضحة، مكتوبة بأسلوب صحيح وإن خلا من زخارف البيان تنبع كلها من معين الدعوة الإسلامية.

فهذه هي الخواطر تحمل من العلم والأسلوب الذي يتبعه القراء لأن كل متعلم تخطر على ذهنه، وإذا قرأ كتاباً أو سمع حديثاً، أو تأمل في الوجود خواطر ان قيدها وحبسها يقيت ذكرها، وذخرا للناس، وإن أهملها لحظة مرت كما يمر سرب الطير أمام الصياد، يغفل عنه لمحة، فلا يستطيع أن يصل إليه أبداً، ولقد عني العلماء والأدباء قديماً وحديثاً بتقييد هذه الخواطر، ومن أجمل ما كتب القدماء من ذلك، الكتاب العظيم للإمام العظيم، صيد الخاطر لابن الجوزي، وشوارد لعبد الوهاب العزام.

فهذه ثلاثون خاطرة. جمعت من ثلاثين عدداً من أعداد "المسلمون" ولم يكن أكثرها يشغل أكثر من صفحة في كل عدد، وهذه الخواطر تبين كثيراً من ملامح الفكرة التي نشأت من أجلها "المسلمون" وتجعلني آفاقاً من مسارح الروح التي عاشت بها الفكرة وشقت طريقاً في العالم الإسلامي كله.

وإذا سمع صاحب هذه الخواطر نبأ مقتل الإمام البنا، فيكتب "هيه يا فضيلة المرشد: سلام عليك حيث أنت! في قدسك وعلياك، وجزاك الله خيراً ما جرى إماماً عن تلامذته وأتباعه.

كان الحسن البنا إماماً بكل ما تسع الإمامة في معنى كان مثلاً أعلى في كل شيء، في علمه، في إيمانه، في إخلاصه، في نشاطه، في حدة ذكاءه، في دقة ملاحظته، وروحه الطاهرة (٥)

وكتب أيضا "هيه يا فضيلة المرشد، أحق ما يقولون من أنك مت، ومت قتيلا في شارع من شوارع القاهرة، ودفنت بعد أن صلى عليك نفر قليل في مسجد قيسون، وكان المشيعون بضعة من أهلك وأقاربك؟ لم تمت يا فضيلة المرشد! ألا والذي خلقك! لا والذي أنعم علينا بك! ومتعنا بصحبتك لقد فتحت قلوبنا على النور، ووضعت أيدينا على أول الصراط وجمعتنا من شتات" (٦)

فهذه الخواطر تملأ النفوس عزة وإيمانا وقوة وفكرة للإسلام والمسلمين، والحب الصادق والاعتناق الصحيح للدين الحنيف.

الهوامش

(١) مجلة البعث الإسلامي: العدد الثامن، المجلد الأربعون، من شهر أكتوبر عام ١٩٩٥م

(٢) أنظر للتفاصيل: المصدر المذكور

(٣) مجلة ترجمان القرآن، العدد الثامن، من شهر أغسطس، عام ٢٠٠٠

(٤) مجلة المسلمون، العدد الثالث من شهر نوفمبر، عام ١٩٦٤م

(٥) د/سعيد رمضان: خواطر، ٦٦

(٦) المصدر المذكور، ٧٠

زينب الغزالي

ولدت هذه الداعية الكبرى والقذوة الفذة للإخوان المسلمين في ٢/يناير ١٩١٧م، وكان والدها متخرجاً من الجامع الأزهر ويتاجر، وأتمت دراستها البدائية في بيت أبيها، ثم دخلت في الكتاتيب الرسمية، حصلت فيها علم الحديث والتفسير والدعوة، وهداها أبوها إلى أن تعيش داعية ومعلمة، وتسير في حياتها على سيرة السيدة نسيبة بنت كعب المازنية، وساهمت في باكورة شبابها في حركة النساء للهدى الشعراوي ولكن تيقنت بعد سنوات أنها تضل النساء في العالم وتمكر مكرًا ودهاءاً باسم التحرير والحقوق، وتفكرت إذا أعطى الإسلام جميع الحقوق لهن ولا تحتاج المرأة إلى نظام جديد أو فكرة آتية، فأسست "جماعة السيدات المسلمات" في عمرها الثامن عشر سنة ١٩٢٦م، وحرّضت النساء المسلمات والطالبات على بذل المجهودات في سبيل الإسلام، وحظرت الحكومة عليها بعد شيوعها وقبولها، وبلغ عدد الأعضاء آنذاك ٣ مليون، وإذا بدأت تخطب في مسجد طولون على العناوين الإسلامية أسبوعياً، اشتركت في الحفلة ثلاث آلاف نسوة في البداية، ثم زادت وبلغت إلى خمسة آلاف نسوة- (١) ونظمت جماعة السيدات المسلمات إلقاء الخطب والدروس، وأنشأت دور اليتامي، وزودت الصافرين بإعانة، ولعبت دوراً مهماً في تصفية النزاعات الأهلية وألحت على نفاذ الكتاب والسنة في السياسة الوطنية.

وإذا طالب المرشد العام للإخوان المسلمين أن تنضم جماعة السيدات المسلمات بأخوات المسلمات، ولكن لم يكتب لها الانضمام، ولكن قبيل شهادة المرشد العام حسن البنا بايعة زينب الغزالي يده، ووهبت جميع الخيار له، ولكن المرشد أشار إلى أن تعمل جماعتها حرة، عملت الجماعة مع الأخوات المسلمات في عهد الظلم والطغيان عام ١٩٥٠م، وكفلت

الإخوان المتعلقين فى السجون وأهلهم بكل إعانة ممكنة، وأسرت السيدة زينب الغزالى عام ١٩٦٥م، وإذا جلس أنور السادات على أريكة الرئاسة وتحففت العقوبات، ولكنها أصابت بمظالم مدهشة ونكالات مرعشة، تعكس فى سيرتها الذاتية "أيام من حياتى" قالت فيها أن هذه النكبات التى كانت مزعجة بحيث لا يستطيع الرجال على احتمالها، وإن لم ينزل التوفيق والصبر من الله، فأنا لا أكون حيا.

وإذا اعتقلت السيدة زينب الغزالى فانضمت حركتها بحركة أخرى، وإذا تحررت فبدأت تكتب فى مجلة "الدعوة" على موضوعات دينية، وإذا توقفت هذه المجلة فى عهد الرئيس أنور السادات، فجاهدت بمجلة أخرى، وهى "لواء الإسلام" وهى تعتبر نفسها أم الأخوات المسلمات، ووجهت شطرها خالصة لأغراض الدعوة الإسلامية.

وكانت زينب الغزالى وجهتها واضحة صريحة تجاه الإسلام والدعوة الإسلامية، وإقامة الحكومة الإسلامية، ومناهجها، وترى الثورة قبل حكومة الكتاب والسنة على المجتمع فاشلة وغير مقيدة ولوتبذل من مجهودات جبارة، وهى تقول "بلى! لا عجلة لنا، لأن السنوات والعشرات والقرون لا تهتم فى تاريخ الأمة فى تاريخ الحركات والدعوات، بل الأصل إنما هو الثبات والصبر فى سبيلنا، ونثق بأنفسنا أننا على الصراط المستقيم" ونحن على يقين كامل ونطمئن أننا نريد لبنات فى بناء الإيمان والإسلام، والأهم أن لانصاب بالدهن والبغض والكسل، ولا نتخلى عن عقيدتنا ونعمل عملا صالحا بالاعتصام بالتوحيد والإيمان، ولا ينس المجاهد فى سبيل الله هذه الدروس والعظات، كى لا يحدد إلى الفكاهة والتزهر والتلطف.

وإذا ألقى الخطر على جماعة السيدات المسلمات عام ١٩٦٥م، فقامت زينب الغزالى وأخواتها المسلمات وهن يرفضن هذا القرار ويذمن أشد مذمة. (٣)

وكانت هذه الداعية الأدبية مولفة وكاتبة قديرة، فهى ألفت (١) "أيام من حياتى"

الصادرة من القاهرة وبيروت ١٩٧٧م، هذا الكتاب كتبت فيها المؤلفة كل ما جرى بها في السجن من التعديات والعقوبات، والمحن والشدائد، وكيف واجهتها وكيف قامت ثابتة صابرة في سبيلها؟

ورأت المؤلفة، لولا التحمل والصبر كانا من عند الله، فلا يستطيع الإنسان أن يعيش

بهذا العذاب الأليم- (٤)

الهوامش

(١) The oxford Encyclopedia of modren Islamic world v.ii.p.65.

(٢) المصدر المذكور

(٣) المصدر المذكور

(٤) أنظر للتفاصيل: زينب الغزالي: أيام من حياتي

الباب الرابع

الدراسة الأدبية ومدرسة الإخوة

(دراسة مقارنة)

إن الفصول السابقة تهدف إلى إعطاء صورة كاملة قدر المستطاع لمساهمة الإخوان المسلمين في تطوير اللغة العربية وآدابها مدعومة بشخصياتهم وكتبهم ومنشوراتهم. لأنهم قد أعطوا مناهج واضحة ونماذج رائعة، وقامت هذه النماذج بتمثيل جوانب الحياة الإسلامية وصورت كثيرا من مفسد المجتمع ومكارهه كى يقف عليها الناس ويقوموا بالقضاء عليها والرجوع إلى الإسلام كافة من حيث العبادة والدين والأدب.

وإذا تأسست هذه الجمعية كان الأدب الحر الملتزم، وكان الأدب المحافظ الملتزم، وكان أدب الملاهى والحانات، وكان أدب الطهر والنزاهة، ومن هنا كان صحيحا أن يكون الأدب إسلاميا وغير إسلامي، أما الأدب غير الإسلامى، فهو حر كحرية الشيطان، ولكن الأدب الإسلامى فهو أدب يلتزم بالأخلاقية التى فرض الإسلام التزامها فى الحياة، والإسلام ليس منهجا محدودا ضيقا للحياة، فليس أدبه أدبا محدودا وضيقا، وليس الإسلام تزمنا وانكماشاً فى الحياة، فليس أدبه أدب التزمت والانكماش وليس محصورا فى ناحية أو فى نواحي محدودة فى الحياة، بل هو متسع كاتساع الحياة ومتعدد الجوانب، ولكن كتعدد الجوانب للحياة الملتزمة بالأخلاق الإسلامية.

دأب غير المسلمين فى عصورهم المختلفة على أن ينظروا إلى الإسلام بنظرة التصغير والتضييق، ولا يرونه لائقاً بأن يكون له أدب، وإذا كان له أدب فى حال من الأحوال، فليس لائق بأن يعد أدبا حيا مقبولا، وقد سيطر هؤلاء أخيرا على العقول والأفكار، ولأهم أن يتحكموا على الأهواء والرغبات فأثاروا الغبار على الإسلام، وأدب الإسلام، وكسوه بغبار كثيف من دعاياتهم وتعليقاتهم، فلم يكن أدب الإسلام يعد أدبا حتى فى نظر المسلمين أيضا، وذلك بتأثير

دعايات مخالفى الإسلام وتعظيم لعيون محبى الاسلام”-(١)

ويتجلى هذا الفرق بين الأدب الإسلامى وغير الإسلامى من قبل تأسيس الجمعية، لأن الكتاب والمثقفين كانوا مقيدون بأغلال التقليد أسلوبا وفكرا، وهم لا يريدون الانفكاك عن حالتهم المألوفة، ولا يحبون التحرير عن التقليد وجعلوا طبقتين: طبقة مفتونة بالغرب، وطبقة دينية.

وفى هذه الصورة المعقدة رجل قام بالدعوة إلى الإصلاح وصد الهجوم على الملة الإسلامية، ودعا دعوة صريحة إلى ترك ذلك الأسلوب العقيم الذى كان يسود فى عصره، فهو السيد جمال الدين الأفغانى.

وكان الأدب عبدا للارستقراطية لاهم له إلا مدح الملوك والأمراء، والتغنى بأفعالهم وصفاتهم من ظلمهم، فحول السيد جمال الدين مجرى الأدب ونقله من حال إلى حال، وجرّد الأدب من القيود وسخره لخدمة الشعب يطالب حقوقه ويدفع الظلم عنه: ويهجم من اعتدى عليه كائنا من كان، يبين للناس سوء حالهم ومواقع بؤسهم، ويبصرهم سبب فقرهم، ويحرضهم على أن يخرجوا من الظلمات إلى النور، وأن لا يخشوا بأس الحاكم. (٢)

وكتب الأمير شكيب أرسلان عن تأثير سيد جمال الدين الأفغانى فى الأدب، "واندفع مريدوه وحمله علمه يكتبون ويخطبون ويثون إلى الملأ ما التقطوه من فوائده وانتظموه من فرائده، كان ذلك لسانا عاليا، لا عهد للناس بأمثاله أسلوبا راقيا انقطعت منذ قرون عديدة، فأحدث فى الأمة حركة أفكار لم تكن من قبله، ونفخ فيها روحا سرية ظهر عليها طالع عرفانه وفضله، فنشطت همم واستجدت عزائم، وهبت قوى، وفاضت قرائح" (٣)

وكان جوهر دعوة السيد جمال الدين مكافحة خطر السيطرة الأوربية الذى كان يهدد العالم الإسلامى كله بعلومه وثقافته، واستعمار السياسى وكان يؤمن بأن ذلك الهدف لا يتحقق إلا بالوحدة وإبراز الشخصية الإسلامية، فخلق روح الجمود فيها وكان يرى الجهالة

رأس البلاد، والجمود العائق الأكبر في التقدم- (٤)

ودعا السيد جمال الدين الأفغانى إلى حكومة إسلامية تقدم على أساس تعاليم الإسلام،
وحيثما رأى تعذر ذلك، دعا إلى تحالف بين الحكومات على أساس القرآن، والعدل والشورى،
يكون سلطانهم جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذى ملك على ملكه يسعى
بجهده لحفظ الآخرين، فإن حياته بحياتهم وعزه بعزهم-

وكانت دعوة الأفغانى ألهمت مشاعر الشعب وهزهم على صيانة التراث الإسلامى
والشخصية الدينية، وتنقيتها من الشوائب، وكافحت الانحلال الخلقى وغزو الحضارة الغربية،
ودافعت عن الإسلام وعن الغربية وقاومت حركات التغريب التى كان يقودها المثقفون الجدد
كطه حسين، وسلامة موسى، وقاسم أمين وغيرهم الذين سيطروا على الصحافة والإسلام،
ونفثوا سمومهم وساندتهم الحكومات القائمة-

وكما ذكرت آنفا أن الكتاب والأدباء كانوا منقسمين فى طبقتين متضادتين: الأولى
طبقة المستغربين- وثانيهما: طبقة دينية-

وكل منهما بذل من مجهوداته لنشر أفكاره وبث دعوته فى أسلوب رزين رشيق ويختار
كل وسيلة مستطاعة- فالاستعراض لهذه المجهودات سيأتى فى الصفحات الآتية ويلقى الضوء
على المحاربة التى جرت بين الطبقتين-

مدرسة المستغربين

هذه الطبقة للأدباء والكتاب كانت تشمل عددا كبيرا من الأفواج التى عادت من
الجامعات الغربية حاملة شهادات عالية، واحتلت مناصب النفوذ والتأثير الفكرى فى العالم
الإسلامى، وكان أول عمل قام به هؤلاء المثقفون الجدد الدعوة إلى التغريب، وحيث أن هذا
العمل لا يمكن أن يتم إلا بالتشكيك فى العقائد الدينية، والمقررات التاريخية، وإضعاف ثقة

الأمة الإسلامية فى ثقافتها واحترامها للشخصيات الإسلامية والأسس الاجتماعية، شن هولاء الخريجون فى المدارس الأوروبية، وفى مقدمتهم الأدباء والكتاب المارونيون وأدباء المهجر حملة شعواء على التراث والتاريخ والأدب واللغة، وكان من الغريب المدهش أن هولاء الكتاب كانوا يظهرون أنفسهم دعاة العربية، لكنهم كانوا يشنون حملة على حضارة العرب وتاريخهم وثقافتهم، وفى آن واحد كان هولاء الكتاب يهاجمون على الإسلام وحضارته فى الوقت الذى كانت أكبر قوة إسلامية تحتضر، وكان المجتمع الإسلامى فى حالة انفكاك وتشتت، فسارت حملة علمية وحضارية وأدبية ودينية لزعزعة الثقة فى الإسلام وصلاحيته لمسيرة الزمان ولغرس تفوق الغرب فى القلوب والأذهان، والادعاء بأن غلبة الإسلام وانتشاره كان حادثة أو مصادفة، وأنه لم يعد يصلح لهذا الزمان. (٥)

فهذا قاسم أمين حامل راية الإصلاح الاجتماعى والداعى إلى السفور والخروج، وقد رأى أن من أهم أسباب تأخرنا عن الغرب حجاب المرأة وجهلها وشل هذا الجزء الحمى فى مجتمعنا وإهدار جميع حقوقه فى الزواج بل فى الحياة، وكتب فى ذلك مجموعة من المقالات نشرها فى صحيفة "الموید" ثم جمعها فى كتاب بعنوان "تحرير المرأة" وأتبعه بكتاب آخر سماه "المرأة الجديدة" وفيه دافع ثانية دفاعاً حاراً عن حرية المرأة، ورسم خطوط هذه الحرية، وانه ينبغى أن تخرج إلى حياتنا العامة، وأن تشترك فى أعمالها ومسئولاتها المختلفة، وكان ذلك ثورة فى أول القرن، وخاصة فى البيئات المحافظة، وكتب لهذه الثورة أن تنجح نجاحاً هائلاً بعد الحرب الأولى حين ردت إلينا حريتنا، فخلفت المرأة الحجاب وتعلمت، وأصبحت فى الأعمال الحكومية والمهن الحرة من طب وغير طب" (٦)

وهذا سلامة موسى يجعل الأدب والفن السابق قديماً، ويهاجمه هجوماً عنيفاً، وقد استطرد سلامة موسى فى مقالة يهاجم القديم جملة، فالأدب العربى السابق كله لا يصلح

لحياتنا، فهو يدعو بقوة إلى الانغمار في التيار الأوروبي بكل ما فيه من علم وأدب ونظم سياسة، ولكن رائد هذه الطبقة كان الدكتور طه حسين، فهو يدعو إلى التغريب وإنكار الصلات مع الشرق، فهو يكتب "إننا لا نعرف أن قد كان بينها وبين الشرق البعيد صلات مستمرة منظمة من شأنها أن تؤثر في تفكيرها أو في سياستها أو في نظمها الاقتصادية" (٧)

وعلى هذا الأساس يدعو الدكتور طه حسين المصريين إلى اختيار الحضارة الغربية حضارة لهم، ومشاركة الغربيين أعضاء الأسرة العقلية الواحدة في جميع مناهجهم ومقاييسهم وأذواقهم وأحكامهم، فهو يكتب "أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، ويجب منها وما يكره، وما يحمل منها وما يصاب" (٨)

وأضاف الدكتور قائلا "فاذا أردنا أن نلتمس المؤثر الأساسي في تكوين الحضارة المصرية، وفي تكوين العقل المصري، وإذا لم يكن بد من اعتبار البيئة في تقديرها هذا المؤثر، فمن اللغو والسخف أن نفكر في الشرق الأقصى أو في الشرق البعيد"

"ولا ينبغي أن يفهم المصري أن الكلمة التي قالتها اسماعيل وجعل بها مصر جزءاً من أوربا، قد كانت فنا من فنون التمدح أو لونا من ألوان المفاخرة، وإنما كانت مصر دائما جزءاً من أوربا في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وألوانها" (٩)

وإذا أصدر الكتاب "في الشعر الجاهلي" فانتهج منهج ديكارت الذي يقوم على الشك، فحاول طه حسين أن يطبق هذه الدراسات في الشعر اليوناني القديم على الشعر الجاهلي، وأخرج من كثرة الانتحال في الشعر الجاهلي وأن الشعر الكثير دخل فيها، كما يكتب بنفسه "أريد أن اصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكارت للبحث عن حقائق الأشياء في أول العصر الحديث، والناس جميعا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن

يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه حلوا تاما----- فلنصطنع هذا المنهج حين نريد أن نتناول أدبنا العربي القديم وتاريخه بالبحث والاستقصاء“ (١٠)

فهو يشبه أكثر الشعراء والشعر بما ورد بعدهم ”أليس اليسير أن تفترض، بل أن نرجح أن حياة امرأ القيس كما يتحدث بها الرواة ليست إلا لونا من التمثيل لحياة عبد الرحمن استحدثه القصص إرضاء لهوى الشعوب اليمنية في العراق واستعاروا له اسم الملك الضليل اتقاء لعمال بني أمية من ناحية“ (١١)

وكذلك صدر في هذا الموضوع كتاب لعالم ديني من علماء الأزهر والقاضي الشرعي، شغل الناس، وأحدث ضجة في الأوساط الدينية والعلمية وهو كتاب ”الإسلام وأصول الحكم“ للشيخ على عبد الرزاق وهو يدل دلالة واضحة جدا على مدى تغلغل فكرة المستشرقين في عقول الطبقة المثقفة، حتى تبناها عالم ديني، ودعاليه بحماس وإخلاص، وهو يدور حول إثبات أن الخلافة نظام تعارف عليه المسلمون وليس في أصول الشريعة ما يلزم به، ويخرج منه نتيجة إنكار أن تكون الخلاصة أو القضاء- أو وظائف الحكم ومراكز الدولة جميعا في الدين في شيء وإنها خطط دنيوية صرفة لاشأن للدين بها- (١٢)

مدرسة دينية

وإذا استعرضنا تاريخ الأدب المعاصر من هذه الناحية، لمعت أسماء أولئك الكتاب الذين كانوا أقلام الغزاة من الغرب وتلاميذهم من المنتسبين إلى العرب وحضارتهم وآدابهم، وكان في مقدمتهم الأمير شكيب أرسلان ومصطفى صادق الرافعي والمنفلوطي، والدكتور محمد محمد حسين وغيرهم من الكتاب الذين أدر كوا الخطر الجديد فقد اقتبسوا من تعقد قلب الأفغانى، لكنهم بتربيتهم الدينية، وجهم للعرب وروح الإيمان وثقتهم بسداد هذا الدين لرفع

المسلمين عربهم وعجمهم، ومعرفتهم لعدوهم الحقيقي الذى يكيد لهم، لم يتحرفوا إلى المجهود السياسى المجرد الذى كان على حساب المثل، وتضحية الشخصية الإسلامية، بل بذلوا مجهودات، وسعوا إلى الحرية الكاملة عن الاستعمار، وإعادة مجد المسلمين، وتكوين ثقافتهم من جديد، واشتركت معها عن هذا الكفاح تلك البلاد النائية التى حاربت الاستعمار الغربى، وساندت العرب فى كفاحهم، ودعت إلى الجامعة الإسلامية.

فتقدم الأمير شكيب أرسلان وتصدق لهذه المزاعم والدسائس التى قامت الغرب بنشرها وتبليغها، وإذا رأى الكتاب "حاضر العالم الإسلامى" فقام برد جميع الأدعاء الباطلة وعلق عليه من تعليقات واضحة وحواشى قوية، فهذه التعليقات تدل على حرصه على حماية الدين الإسلامى وتاريخه ودوره فى إنقاذ البشرية وصلاحته وأهله للقيادة العظمى أى لقيادة الإنسانية جمعاء، وأدى من فريضة عظيمة فى سبيل الدفاع فى الإسلام، كما يكتب الأستاذ واضح رشيد الندوى "بين أمير البيان شكيب أرسلان مواضع تدسيس أدعاء العلم فى الغرب وكشف عن جهلهم لأصول العربية، وأن جهلهم قد أوقعهم فى أخطاء كثيرة، فكتب يقول: فنته متحد لقة متفلسفة فى كل شئ مؤلفة بالنقض وهدم النظريات المقررة بدون داع إلى ذلك سوى الميل إلى الأطراف والاتيان بشئ جديد، وفى الشرق متنطعون لا لصحبهم إلا تقليد هذه الفئة من الأفرنج" (١٣)

وقام الأستاذ مصطفى لطفى النفلوطى، ونبه القوم من مفسد الحضارة الغربية، وما نتجت عنها الفساد، وفى الأخلاق والعقيدة، وكيف تستهان الحضارة الإسلامية والقيم الدينية؟ وكيف تصبح المثل العليا متلوثة بدناءة وقباحة فى كل عمل وشطر؟ فكيف يقول "أصبحت أعتقد أن مفسد الأخلاق والمدنية الغربية شيان متلازمان وتوما أن متلاصقان، لا افتراق لأحدهما عن صاحبه إلا إذا افترت نشوة الخمر عن مرارتها، فكيف أتمناها لأمة هى أعز على

من نفسى التى بين جنبيّ“ وكتب أيضا ”الخلق هو أداء الواجب لذاته بقطع النظر عما يترتب عليه من النتائج، فمن أراد أن يعلم الناس مكارم الأخلاق فليحى ضمائرهم ويث في نفوسهم الشعور بحب الفضيلة، والنفور من الرذيلة بأية وسيلة شاء، ومن أى طريق أراد، فليست الفضيلة طائفة من المحفوظات تحشى بها الأذهان، بل ملكات تصدر عنها آثارها صدور الشعاع عن الكوكب، والأريج عن الزهر“ (١٤)

وكتب الأستاذ واضح رشيد الندوى وهو يوضح مكانة المنفلوطى ”كان المنفلوطى بحق مربى الجيل، وقد خدم اللغة العربية والإسلام، والأخلاق وخلق الجدية فى المجتمع العربى الذى كان يخطو خطوات واسعة إلى كونه أمة تلد وتلعب على نغمات مزمار الغرب“ (١٥)

وكان الغرب وأتباعه من المتغربين الأدباء والمثقفين يقومون بتشكيل فى التراث العربى الإسلامى، ويدعون إلى ترك الشعائر الدينية وراء ظهورهم، لو يتمنون لهم السيادة والقيادة فى الدنيا ولو تكون كلمتهم هى العليا، فيدعون الحكومات إلى تقليد الحكومات اللادينية الأوربية واليونانية، لأنها هى الأصل قديما وتصلح المسيرة مع الزمن فى كل شئون الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية - وهذا العوامل على أن يشمروا عن ساق جدهم فى الرد على الغرب وحواشيه، وتحلى اسم الرافعى أيضا مع الكتاب السابقين فى هذا المجال، فانه قام وتصدى لمواجهة هذه التحديات وذكر اهتمامه على الإرشاد إلى سبيل الرشده والصواب -

فانه كان يعرف عن كذب ما قام به المبشرون والكتاب النصرانيون وأتباعهم من غرس الشكوك فى التراث العربى، والتاريخ الاسلامى وأثروا على الفكر العربى بتمجيد أوروبا وتشويه الإسلام، وقد كان مخلصا فى نقده للحضارة الغربية، ونقد آراء الأدباء العرب المتفرنجين المقلدين، فقد كان يرى أن الإيمان محور الحياة، ولا تتطور الحضارة الإنسانية ولا الحياة الوطنية إلا بالتمسك بالعقيدة الصالحة التى تربط الأمة، والأخلاق الفاضلة - بالإضافة إلى رده على

الحملة على العربية والعرب والإسلام.

فاذا صدر الكتاب "البؤساء" لفكتور هيجو، أخرج الرافعي كتاب "المساكين" في معارضة هيجو، واذا اصطدمت المعركة بين القديم والجديد، والطبقة الدينية والمتغربة، دافع بقوة عن المثل الإسلامية واللغة العربية، وألف كتاب "تحت رؤية القرآن" أو المعركة بين القديم والجديد عقب ظهور كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" وفيه صوب سهامه إلى كل ما في هذا الكتاب في آراء وأفكار.

والأستاذ الرافعي نشأ نشأة إسلامية عربية، فاذا هي تتحول إلى نثر فني يفيض بالإخلاص والطهر والإحساس بالآم الجماعة وكوارثها والشعور الدقيق بمآثر العرب ودورهم في التاريخ، وبمعاني الإسلام ومثله الرفيعة، وهو إلى ذلك يصف الحب ومعانيه والجمال وألوانه، وطبيعتها ومفاتها وما أودع الله فيها من المعاني التي تبهجح الإنسان. (١٦)

يقول الرافعي في موضع "لا يذهبن عنك أن الرجل المومن القوى الإيمان الممتلى ثقة وإيمانا ويقينا ووفاء وصدقا، وعز ما وإصرارا على فضيلة، وثباتا على ما يلقي في سبيلها، لا يكون رجلا كالناس، بل هو رجل الاستقلال الذي واجبه جزأ في طبيعته وغايته السامية لا تنفصل عنه، وهو رجل صدق المبدأ، وصدق الكلمة وصدق الأمل وصدق النزعة، وهو الرجل الذي ينفجر في التاريخ، كما احتاجت الحياة الوطنية إلى إطلاق قنابلها"

ويقول عن اللغة العربية وأهميتها للعرب "ماذلت لغة شعب الإذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وادبار، وليس في العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على لغة نفسها" (١٨) ويقول عن نهضة العرب "والذي أراه أن نهضة الشرق العربي لا تعتبر قائمة إلا على أساس وطيد، اذا نهض الركبان الخالدان للدين الإسلامي، بحكمه على شئ إلا بشاهدين من المبدأ والنهاية" (١٩)

هذه هى الأوضاع الأدبية والثقافية وكانت تدور رحاها حول هاتين النقطتين: الدينية، واللا دينية المستغربة، وكان كل منهما كمدرسة يلحق بها أعضاء ها، فمن كان منهم متغربا أو يحب الغرب، فيحتذيه من كل جانب من جوانب الحياة، ويدعو الشعب إليه، فكانت هذه الدعوة فرادى وجماعات، وإن أيدتها الحكومة فيسير مع أذيالها على ذلك الدرب المنشود، ولكن ما كان من رد أو هجوم على هذه الدعايات والدعوات الغربية اللا دينية فكان ردا منفردا وذاتيا تحت الحمية الدينية والغيرة الإسلامية كى لا يجعل الشباب والجيل المتطور عرضة لها ولا يلقي دينه وإسلامه على وراءه ظهريا.

وإذا تحررت البلاد الإسلامية نتيجة لحركات التحرير، قامت فيها حكومات، كان زمامها فى أيدي رجال الطبقة التى نشأت فى مراكز التربية الغربية، وتولى مقاليد الحكم أفراد كانوا غرباء بذهنهم فى بلادهم، فنشأ بذلك صراع فكرى، مفكرى العرب، ليمثلوا دورهم فى سبيل الدعوة بصراحة وقوة وعزم ووضوح روية.

واما الدين الإسلامى، فينظر إليه كأي دين من الأديان الكثيرة التى تدين بها أمة أو بلاد، ويضعها جميعها فى صعيد واحد، ومستوى واحد، ويسمح لها بالبقاء ويعترف بها بالشرف والتأثير. (٢٠)

إن مواجهة حضارة الغرب وجهها لوجه، ونقدها النقد الجرى الأصيل، والظهور أمام الغرب فى مظهر الداعى المهاجم كان يتطلب دراسة أعمق، وجهودا أكثر ترابطا وأكثر تركيزا، ومعرفة أدق بطبيعة الحضارة الغربية وتركيبها، وحماسة أشد فى الدعوة إلى الإسلام ونظمه ومناهجه، ويتطلب موقفا غير موقف الزعيم السياسى الذى وقفه جمال الدين الأفغانى ويوقف المحامى المدافع عن الشريعة الإسلامية الذى وقفه الشيخ محمد عبده.

وإذا رأى الإمام حسن البنا هذه الصورة البشعة تكاد أن تهلك الأمة الإسلامية وكانت

على شفا حفرة من الهلاك والدمار، فقام وأقام حركة وأسس مؤسسة دينية ومدرسة أدبية إسلامية، والتف حولها الباحثون النوابع والمفكرون الإسلاميون، ورجال الاختصاص الفني، والدراسات الواسعة العميقة التي قد بدت طلائعها، تملأ الفراغ الفكري في الشرق، وتنهج في تأسيس المجتمع الإسلامي القوى المستقل في شخصية وفي تفكيره وفي وطنه، ولكن محاربة القوات المتجهة إلى العلمانية والاشتراكية لها قد حرمت العالم العربي ثمرات هذه الحركة والواسطة القوية التي كانت أقوى دينية وثورة إسلامية في العصر الحاضر، وكان ذلك رزاء وخسارة للعالم الإسلامي.

جمعية الإخوان المسلمين مدرسة أدبية دينية

لقد اذكرت آنفا أن الكتاب والمفكرين المثقفين الذين كانوا يكتبون من مقالات وكتب أدبية مع مراعاة القيم الدينية والمثل الإسلامية، كانوا فرادى، غير منضمين إلى مدرسة أدبية مخصصة، ولكن الإخوان اذا ظهوروا على منصة الشهود، فدخلوا في كل ميدان من ميادين الحياة، في الصحافة والكتابة، وفي الكفاح والجهاد، كما تتجلى هذه الحقيقة بالمقال الافتتاحي الذي صدر في العدد الأول، بقلم الإمام حسن البنا بعنوان "أيها الإخوان تجهزوا، جاء فيه: الإسلام عبادة وقيادة ودين ودولة وروحانية وعمل وصلاة وجهاد، وطاعة وكلمة، ومصحف وسيف، لا ينفك واحد من هذين عن الآخر، إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" (٢١)

وأضاف قائلا "أيها الإخوان أدعوكم إلى الجهاد والعمل بعد الدعوة القولية، والجهاد بثمان، وفيه تضحيات، وسيكون من نتائج جهادكم هذا في سبيل الله والإسلام يتعرض الموظفون منكم للاضطهاد، وما فوق الاضطهاد، وان يتعرض الأحرار منكم للمعاكسة وأكثر من المعاكسة، وأن يدعى المترفون المترفون منكم إلى السجون، وما هو أشق من السجون،

وستبلون فى أموالكم وأنفسكم، فمن كان هنا فى هذه الخطورة، فليتجهز وليستعد لها“ (٢٢) وكانت هذه الدعوة تشتمل على جميع نواحي الحياة الروحية والعملية والاجتماعية والاقتصادية والصناعية والزراعية والسياسية والحربية وغيرها من نواحي تتصل بالدين أو الدولة بسبب من الأسباب، ولا يعرف تاريخ الإسلام دعوة بهذا المفهوم الواسع الشامل، وإذا رُمى بعض الرماة، ما علاقة الدين بشركة تجارية؟ أو مزرعة تعاونية أو فرق كشفية؟ فرد أصحاب هذه الدعوة قائلين ”هذه مظاهر قديرها الناس متنافرة ولا يلتئم بعضها ببعض، ولو علموا أنها جميعا يجمعها الإسلام ويأمر بها الإسلام ويحض عليها الإسلام، لتحقيقوا فيها مظاهر التأم ومعاني الانسجام“ (٢٣)

وبرز فى هذا الصف عدد من الكتاب بمؤلفاتهم القيمة فى مواضيع مختلفة فى التفسير والأدب، والنقد، والاجتماع، والسياسة والفن، وإن نظرة على مؤلفاته تدل على الشمول والتنوع فى معالجة المسائل التى تخص سائر الميادين، للتأثير على الفكر العاصر، وإثارة الضمير فى العالم الإسلامى، وتحويل الاتجاه فى جميع مجالات الإسلام، والعمل من أجل إعلاء كلمته، وإقرار نظامه، فنجد فى بعضها ثورة على الأوضاع، ونجد فى بعضها تصويرا وجدانيا، وفى مؤلفات معالجة لمشاكل الحياة ومشاكل الحضارة، بواقعية وجدية وعرض للتاريخ الإسلامى، فأغنوا المكتبة الإسلامية، بمؤلفات تقدم بتنشئة الأجيال القادمة وإعدادها فكريا، ينقد الحضارة الغربية والعودة إلى الحضارة الإسلامية ونبذ التبعية، والعودة إلى الإصالة.

فهذا الإمام الشيخ حسن البنامؤسس الإخوان المسلمين، مهذب النفوس تهذبا عاليا، ومثقف البشر ثقافة إسلامية، وداع إلى الكتاب والسنة دعوة واضحة، وكاتب الإسلام بيانا وصراحة، ويولف وينشر ما يهز على الأدب الإسلامى ولا يترك أية شائبة، وربية فى الدين، ويخلص الشباب والحيل الصارم بكل ما ترفع كلمة الله هى العليا، ويدعو إلى الجهاد والقوة،

فدعر الاستعمار، ونشط دسائسه يحيك منها ما يحيك، وهب الحكام يقولون؛ فوضى وثورة على القانون، ومضى الذين لا يعجبهم عجب ينقون كالضفادع فى جهالة وسخف: مالنا وللجهاد، كان الجهاد أيام النبي والخلفاء، وأين نحن من تلك الأيام؟

ونشط الداعى إلى عدالة الإسلام يندد بجشع الرأسمالية، وظلم أولئك الذين يستحلون من جهود الضعفاء ما ليس لهم بحق، فقالوا: شيوعى مدمر يدعوا إلى إفساد ما بين الطبقات-

ولم يطلق المسلم الحى أن يغزوه الإلحاد الشيوعى فى عقر داره، فانبهرى لمنزلته فى قوة وإيمان، فقالوا ناشية تنزع إلى الدكتاتورية والتعصب-

وأثبت هذه الداعية الأديب أن الأمة الإسلامية تحمل رسالة الله لعباده وتحرس أمانته فى أرضه أمانة المثل العليا والأخلاق الكريمة والأوضاع السليمة التى تقوم على العدل والإحسان، وإيتاء ذى القربى، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى-

وقد صرح فى مقالاته ورسائله أن الله قد أخذ العهد والميثاق على هذه الأمة التى اجتباها، وما جعل عليها فى الدين من حرج، وجعل أمة وسطا هى خير أمة أخرجت للناس أن تبلغ رسالة الله لعباد الله، وأن لا تقصر فى هذه التبليغ بحال من الأحوال وأن تحفظ هذه الأمانة القدسية، وتحميها من كل أعداء وأن تبذل فى سبيل هذه التبليغ، وهذه الحماية كل ما تملك من أنفس وأرواح ودماء وأموال وافترض عليها الجهاد بذالك كله فى سبيل الله حتى تعرض رسالة الله وأمانته التى بين يدي هذه الامة لبغى الباغين وعدوان المعتدين-

وإنه كتب وخطب حول قضايا المسلمين ومشاكلهم فى أسلوب رزين رشيق حى كما كتب كاتب إسلامى "إنه كاتب مجيد لا يشق له غباره، بلغ من جزالة لفظه وتسلسل فكرته، وعذوبة أسلوبه، وسهولة مأخذه مستوى كبار الكتاب البارزين وأعلام رجال الأدب وحملة القلم----- يكتب المذكرات والمقالات والنشرات والرسائل----- لا يعجزه موضوع عن

التناول، يعالج المسائل الاجتماعية والثقافية والفقهية والقانونية والتشريعية، كما يتناول مسائل الدين من ناحيتها الفقهية الخالصة، شأنه في الخطابة حين يتناول أى موضوع في أية ناحية من النواحي بالشرح أو التعليق من غير اقتصار على ناحية من النواحي، فعبقريته هيأته لكل الثقافات ولقد اعترف به التاريخ خطيباً ممتازاً بارعاً، وأقرأه بأنه كاتب ممتاز موهوب“ (٢٤)

ويمثل سيد قطب ذلك الجيل من الكتاب الذين اختاروا الأسلوب الهجومي، والاستيلاء بإعانة القوى، أن هذا الدين دين الغلبة، لأنه دين حق، والحق يعلو، سواء توفرت له أسباب القوة أم لم تتوفر، فإن هذه الدعوة تتغلب على الصعاب، فحث على الاجتهاد والعمل في سبيل إحقاق الحق، فهو يقول ”إن التصور الإسلامى هو التصور الوحيد الذى بقى قائماً على أساس التوحيد الكامل الخالص، وأن التوحيد حاصيته من خصائص هذا التصور، تفرده وتميزه من بين سائر المعتقدات السائدة فى الأرض كلها على العموم“ (٢٥)

ويقول أيضاً ”إن هذا الدين جاء لينشئ أمة ذات طابع خاص متميز منفرد، وهى فى الوقت ذاته أمة جاءت لقيادة البشرية، وتحقيق منهج الله فى الأرض، وإنقاذ البشرية مما كانت تعانيه من القيادات الضالة، والمناهج الضالة، والتصورات الضالة، وإدراك المسلم لطبيعة التصور الإسلامى، وخصائصه ومقوماته، هو الذى يكفل له أن يكون عنصراً صالحاً فى بناء هذه الأمة، ذات الطابع الخاص المتفرد المتميز، وعنصراً قادراً على القيادة والإنقاذ، فالتصور الاعتقادى هو أداة التوجيه الكبرى، إلى جانب النظام الواقعى الذى ينشئ منه، ويقوم على أساسه، ويتناول النشاط الفردى كله، والنشاط الجماعى كله، فى شتى حقول النشاط الإنسانى“ (٢٦)

ويكتب أيضاً ”لم تكن الدعوة فى أول عهدها فى وضع أقوى ولا أفضل منها الآن، كانت مجهولة مستنكرة فى الجاهلية، وكانت محصورة فى شباب مكة، مطاردة من أصحاب

الجاه والسلطان فيها، وكانت غريبة فى زمانها فى العالم كله، وكانت تحف بها أمبراطوريات ضخمة عاتية تنكر كل مبادئها وأهدافها.

ولكنها مع هذا كله كانت قوية، كماهى اليوم قوية، وكماهى غدا قوية، إن عناصر القوة الحقيقية كامنة فى طبيعة هذه العقيدة ذاتها، ومن ثم فهى تملك أن تعمل فى أسوء الظروف وأشدها حرجا، إنها تمكن فى الحق البسيط الواضح الذى تقوم عليه، وفى تناسقها مع الفطرة التى لاتملك أن لاتقاوم سلطانها طويلا، وفى قدرتها على قيادة البشرية صعودا فى طريق التقدم، وفى أية مرحلة كانت البشرية من التأخر والتقدم الاقتصادى والاجتماعى والعلمى والعقلى----- كما أنها تكمن فى صراحتها هذه، وهى تواجه الجاهلية بكل قواها المادية، فلاتخرج حرفا واحدا من أصولها، ولا ترتب على شهوات الجاهلية، ولا تندسس إليها تدسس، انما تصدع بالحق صدعا، مع إشعار الناس بأنها خير ورحمة وبركة، (٢٧) ويدعو سيد قطب إلى هجر الأسلوب الدفاعى، ويحث على الاعتزاز بالإسلام وكشف القناع عن الحضارة الأوروبية المزعومة.

ويصف سيد القطب الاعتذارين الذين بهرتهم الحضارة الغربية، فيحاولون التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية، وهى العقلية التى سادت على الكتاب الإسلاميين فى أوائل القرن العشرين.

وبعد دراسة الكتاب "معالم فى الطريق" يتجلى أن سيد قطب يدعو إلى الاستعلاء، وينشر ثورة المومن الأبى الغيور الواثق بنصر الله، وهو أسلوب ينشأ طبعيا فى ظروف القهر والاضطهاد التى صادت فى العالم الإسلامى بسبب التبعية لأوروبا السياسية والفكرية.

يبدو سيد قطب فى أكثر مؤلفاته كاتباً يختار الأسلوب التحليلى وأسلوب الجدال، فيعالج مشاكل العصر وأسباب تخلف المسلمين ويقوم بالحلول. ويدافع بكتاباته عن الإسلام

والمسلمين، ويرمى إلى الغرب وحضارة رميات تزعج أهلها وأتباعها ويحث الذين يخلصون
لدين الله على أن يدخلوا في السلم كافة ولا يتبعوا خطوات الشيطان.

نشأ في هذا العهد عدد كبير من الكتاب المفكرين من الإخوان المسلمين الذين درسوا
مشاكل المسلمين، وعرفوا الحضارة الغربية، وقارنوا بين محاسنها ومساوئها، وعالجوا أمراض
المسلمين، وفي مقدمتهم محمد الغزالي، مصطفى الطحان، د/مصطفى السباعي، ود/سعيد
رمضان ود/يوسف الفضاوي ود/حسن الترابي وغيرهم من الكتاب الإخوان المسلمين، الذين
كانوا من أعضاء هذه الجمعية رسمياً، واتبع على درب هؤلاء المفكرين عدد من أصحاب الأقلام
الرشيقة مثلاً محمد القطب، الأستاذ محمد المبارك، وعلى الطنطاوي وغيرهم، وأثرت هذه
الجمعية في البلاد الإسلامية فضلاً عن البلدان المتجاورة المسلمة، فخرج في الهند وباكستان
والسودان وسوريا وغيرها من البلاد مثلاً سماحة الشيخ أبو الحسن علي الندوي، والأستاذ
أبو الأعلى المودودي، والأستاذ محمد الحسن، أيّدوا بكتاباتهم، وأحتفوا المكتبة الإسلامية في
كل موضوع من المواضيع العلمية والأدبية والفنية، وألفوا في سائر فنون الآداب كالقصة
والرواية والمسرحية والشعر، كما ألفوا في النفس والاجتماع والاقتصاد والتاريخ والنقد
بالمنظور الإسلامي.

وكما قلت آنفاً أن الشخصيات الإسلامية كانت موجودة وتكتب حول الاسلام
والمسلمين، وتدافع عن الحضارة الإسلامية وتذود عن مهدها وحصنها اذا أتت عليها من أى
ناحية حملة شعواء، ولكنها كانت مجهوداتها منفردة وذاتية. ولكن جمعية الإخوان اذا أسست
فاجتمع حولها عدد كبير من الكتاب والأدباء بذلوا من أقصى جهودهم في تقديم القضايا
الإسلامية وحلولها إلى المسلمين أجمعين، وأثبتوا أن المسلمين في الواقع كأعضاء الجسد
الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فان نزلت عليهم مصيبة

أولحقت بهم خسارة ، صرخ هولاء الكتاب و حملوا على الحكومات حملة صارخة، وان منعوا عن الدخول فى تلك البلاد - كما هم أصيبوا بأنفسهم-

وأثرت هذه الجمعية فى جمعيات ورابطات عديدة سارت على منوالها فى الأدب الإسلامى، مثل "رابطة الأدب الإسلامى العالمية" تحت إشراف سماحة العلامة أبى الحسن على الندوى ، و "حلقة الأدب الإسلامى" المتعلقة بالجماعة الإسلامية فى الهند وباكستان- واليوم مانرى من آثار أدبية اسلامية، فهى ثمرة تلك الضحايا التى قدمت جمعية الاخوان المسلمين-

الهوامش

- (١) أنظر للتفاصيل: محمد الرابع الندوى، مقدمة الكتاب "أدب الصحوة الإسلامية" للأستاذ واضح رشيد الندوى-
- (٢) واضح رشيد الندوى: أدب الصحوة الإسلامية نقلا عن أدب الثورة الإسلامية، ٢١
- (٣) الأمير شكيب أرسلان: حاضرمالعالم الإسلامى، ٢٩١
- (٤) أنظر للتفاصيل: واضح رشيد الندوى: المصدرالمذكور ٢٤
- (٥) المصدرالمذكور: ٣٩-٤٠
- (٦) شوقى ضيف: الأدب الحديث فى مصر، ١٤
- (٧) طه حسين: مستقبل الثقافة فى مصر، ١٨٤
- (٨) المصدرالمذكور: ٤١
- (٩) المصدرالمذكور: ١٨-٢٨
- (١٠) طه حسين: فى الأدب الجاهلى، ١١٨
- (١١) المصدرالمذكور: ١١٩
- (١٢) أنظر للتفاصيل: أبوالحسن على الندوى: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية، ١١٩
- (١٣) واضح رشيد الندوى: المصدرالمذكور، ٤٤

- (١٤) مصطفى لطفى المنفلوطى: النظرات، ١٨٣/٣
- (١٥) واضح رشيد الندوى: المصدر المذكور، ٤٣-٤٢
- (١٦) انظر للتفاصيل: شوقى ضيف: الأدب العربى المعاصر، ٢٥١-٢٤٢
- (١٧) مصطفى صادق الرافعى: وحي القلم، ٤٠/٢
- (١٨) المصدر المذكور: ٢٧
- (١٩) المصدر المذكور: ٢٠٠
- (٢٠) ابوالحسن على الندوى: المصدر المذكور: ١٣٠
- (٢١) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، ١٥٠-١٥١
- (٢٢) المصدر المذكور: ١٥٣
- (٢٣) اسحاق موسى الحسينى: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية، ١٦٠
- (٢٤) أحمد أنس الحاجى: روح وريحان، ٢٩٠
- (٢٥) سيد قطب: خصائص التصور الإسلامى، ٢١٨
- (٢٦) المصدر المذكور: ٤
- (٢٧) واضح رشيد الندوى: المصدر المذكور:

Maulana Azad Library, Aligh Muslim University

خلاصة البحث

خلاصة البحث

أفادت هذه الدراسة والاستعراض أن جمعية الإخوان المسلمين قد بذلت من مجهوداتها المشكورة في تطوير المجتمع المصرى وإخراجها عن الاستعمار واللا دينية والإباحية التى كانت تسود على الحياة الفردية والاجتماعية فى مصر خاصة، وفى البلدان الإسلامية عامة، وكانت هذه العناصر تحيط كل مجال من مجالات الحياة الأدبية والفكرية من كل حذب، ولم تكن أية حركة إسلامية قامت بهذا الأسلوب وقاومت هذا الانحراف الجارح، كما وقفت هذه الجمعية، أسسها الإمام الشهيد حسن البنا.

وصرت هذه الدراسة أيضا أن هذه الجمعية قاومت فى كل وقت الاستعمار وما نتجت عن السفور والتعليم اللاديني والأدب الإباحي والثقافة الغربية، ونقدت بكل قواها الحضارة الغربية ومن دعا إليها من المفكرين والمثقفين، ولم تترك أى مكان للشعب أن يقلدوا ويتركوا مآثرهم الجليلة وراء ظهورهم.

وجعلت هذه الجمعية أغراضها السموحة وتبنى المجتمع على أساس إسلامي، وجاهدت ضد الاستعمار والاشتراكية وقامت بحماية الشعب من ضيق الثقافة الغربية والتسجين الثقافي، ولعبت دوراها ما فى نشوب الثورة السياسية والثقافية وجعلت مثلاً رائعا للبلاد الإسلامية الأخرى، وأثرت على الأدب العربى المعاصر، وأنجبت أصحاب أقلام متعددين حاملين الفكر الإسلامى فى نشاطاتهم فى الثقافة والسياسة، وما كتبوا وألفوا، فيدور كله حول الإسلام وفلسفته العظيمة وآدابه الرائعة، فبعضهم جعلوا أعضاء هذه الجمعية وضحو حياتهم فى سبيلها حتى صلبوا وشنقوا ولحقوا بربهم، فرضى الله عنهم لأن حياتهم كان غرضها الوحيد أن تكون كلمة الله هى العليا.

وجعلت هذه الجمعية مدرسة أدبية إسلامية، لأنها قدمت نماذج رائعة تتكون وتستمطر موادها من أى مكان ولكن تبرز في طراز الإسلام وفي الأسلوب الذى يليق بالأدب الإسلامى طاهرا نقيًا من دنسات الجنس والإباحية والثقافة والغريبة، فيجد فيه القارى حمية دينية وغير إسلامية فى صورة الأدب، ولا يستطيع أن ينسى دينه حتى دراسته الأدبية والفنية.

وكما ذكر أن هذه الجمعية مدرسة أدبية، فأولا يتجلى المرشد العام حسن البنا الشهيد، ويتلأأ على جبين الأدب بخطبه ورسائله ومذكراته، وهى تسمى الرسائل والمذكرات ولكنها قطعاً أدبية تقدم للنماذج والمثل، ولا يكل القارى ولا يمل فى أى حين بالدراسة والمطالعة. وسيد قطب الشهيد فهو أديب وكاتب أولاً، ثم الباحث الإسلامى والمفكر الإسلامى ثانياً، فهو يكتب ما يكتب، يمثل أدباً عالياً ونموذجاً رائعاً للأدب الإسلامى يقلده الكتاب الإسلاميون الذين يلونه، وأملأ المكتبة الأدبية بأدبه الإسلامى، وأثبت أن الإسلام يسير مع كل فن وأدب جنباً لجنب، ولا يبطأ أى قدم فى مسيرته ولا يفقد الفكرة والخيال والأسلوب والصورة اللفظية مطلوبة عبد الكتاب والأدباء.

ويناسب الذكر بهذه المناسبة الأستاذ محمد الغزالى، د/مصطفى الرفاعى، د/سعيد رمضان وغيرهم من الكتاب الإخوانيين الذين أبلوا بلاء حسناً فى ميدان الكتابة والفن.

وأكتفى بما كتب الأستاذ W.G. Smith فى كتابه "Islam in modren History"

إنه لا يصح أبداً أن نعتبر الإخوان المسلمين رجعيين على الإطلاق، فإن هذه الحركة قامت بمحاولة تستحق التقدير والإعجاب لإنشاء مجتمع عصرى على أسس العدالة الاجتماعية وحب الإنسانية الذى هو صفوة القيم والتقاليد القديمة.

إنها لا تريد العودة إلى أسس للمجتمع تقوم على قيم خلقية ثابتة مجمع عليها، وتفكير متزن، عادل، إنها تستطيع أن تحول الإسلام من تحمس عاطفى لأتباعه ومحبيه والمتعبدى له الذين

تخلوا من كل شعور ومن كل نشاط، أو من حقل قديم لهواة التقاليد المحترفين الذين تشبوا بالماضى فى تفكيرهم وعملهم إلى قوة ناهضة صادعة يستطيع أن تشق طريقها وسط القضايا العصرية ومشكلاتها.

إن فى دعوة الإخوان حلا عمليا سريعا لأكثر مشكلات المجتمع، وإذا لم تقم هناك طائفة أخرى لمعالجة هذه المشكلات بتحمس أكثر ورغبة أكبر نستطيع أن نوكد بأن حركة الإخوان سوف تعيش وتستمر رغم سوط الإرهاب والاستبداد، أن الإخوان هى الحركة الوحيدة فى هذا الزمان (عدا الشيوعيين) التى قدمت أمام الناس فكرة تجاوزت تقديسا باللسان وتشديقا

بالكلام إلى كسب التأييد والولاء بنطاق أوسع "Islam in modren History p.171-62

وقد أفادت البحوث التى صدرت عن قافلة الإخوان المسلمين وأقلامهم زيادة الثقة بفضل التعاليم وجدارتها للبقاء والانتشار، وصلوحها للسيادة والحكم، وقد كان كذلك بحوثهم العلمية عبارة عن مستوى عال، وفى أسلوب قوى لمشكلات العصر وحلولها الإسلامية دوى فى الأوساط الإسلامية التى تعاني قلقا فكريا، ولا تزال فى أمس حاجة إلى زاد فكرى ومدد علمى.

فقام هؤلاء الأدباء الإخوان المسلمون ملين ببناء تحديات الفكرة الغربية وقاموا بحل المشكلات العصرية وقدموا الأدب الإسلامى القوى فى أسلوبه وعرضه، وركزوا جمودهم على ملاء الفراغ وتحقيق رغبة الجيل الإسلامى المثقف الحديث فى مطالعة الكتاب الإسلامى الذى يعرض الفكرة الإسلامية فى نقاء وصفاء وقوة وإيمان يخلو من كل شبح للخضوع للفكرة الغربية والثقافة اللادينية.

فہرست المصادر والسرارجع

فهرس المراجع والمصادر

(الكتب العربية)

القرآن الكريم

د/ إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب

د/ إبراهيم عبده: مستقبل الصحافة فى مصر، دار الفكر العربى، القاهرة مصر- ١٩٥٧ م

أبو الحسن على الحسنى الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الطبعة العاشرة، دار القلم

كويت ١٩٧٧ م

أبو الحسن على الحسنى الندوى: قصص النبين للأطفال، الجزء الثالث، الطبعة الخامسة ملتزم

الطبع و النشر ندوة العلماء لكهنؤ، الهند

أبو الحسن على الحسنى الندوى: العرب والإسلام، منشورات المكتب الإسلامى بيروت

أبو الحسن على الحسنى الندوى: الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا

أبو الحسن على الحسنى الندوى: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار

الإسلامية، الطبعة الثانية، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٨ م

أبو الحسن على الحسنى الندوى: مختارات من أدب العرب ج ٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف

العثمانية بحيدرآباد دكن الهند

أحمد أنس الحجاجى: روح وريحان، القاهرة، ١٩٥٤ م

أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربى، الطبعة الخامسة، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر

بمصر- ١٩٣٠ م

أحمد رشاد: مصطفى كامل حياته وكفاحه-

- أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- ١٩٤٨م
- أديب مروه الصحافة العربية نشأتها وتطورها: الطبعة الأولى، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، ١٩٦١م
- اسحاق موسى الحسيني: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، الطبعة الثانية، دار البيروت، بيروت ١٩٥٥م
- الأمير شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي
- أنور الجندی : حسن البناء: الداعية الإمام المجدد الشهيد، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨م
- حسن البناء: رسالة الشباب، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة بغداد ١٩٥٦م
- جرجى زيدان: تاريخ أداب اللغة العربية ج ٤، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت- ١٩٦٧م
- حسن البناء: مذكرات الدعوة والداعية، دار الكتاب العربي مصر
- حسن البناء: رسالة المؤتمر الخامس، دار الكتاب الاول، مصر
- حسن البناء: الأمس واليوم، الطبعة الثانية، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة بغداد -
- حسن البناء: رسالة الجهاد، دار الكتاب العربي بمصر، محمد حلمي الميناوى
- حسن البناء: دعوتنا فى طور جديد، دار الكتاب العربي بمصر محمد حلمي الميناوى ١٩٥٤م
- حسن البناء: إلى أى شى ندعو الناس
- حسن البناء: نحو النور، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧٧م
- حسن البناء: مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى، الطبعة الثانية، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة بغداد
- حسن البناء الماثورات دار الكتاب العربي بمصر محمد حلمي الميناوى
- حسن البناء: المناجاة طباعة ثانية، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة بغداد ١٩٥٦م
- حسن البناء: العقائد، مطبعة دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٥٦م

- حسن البنا: الإخوان المسلمون تحب راية القرآن، دار الكتاب العربى مصر
- حسن البنا: من أين نبدأ دعوتنا، دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة
- خير الدين الزركلى: الأعلام ٣/ الطبعة التاسعة، دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٠م
- خير الدين الزركلى: الأعلام ج ٧، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين بيروت - ١٩٩٠م
- خير الدين الزركلى: الأعلام ج ٢، الطبعة التاسعة، دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٠م
- خير الدين الزركلى: الأعلام ج ٧، الطبعة التاسعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠م
- خير الدين الزركلى: الأعلام ج ٤، الطبعة التاسعة، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م
- رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى، مطبعة المنار مصر - ١٩٣١م
- زكى محمد شوقى: الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٥٤
- زينب الغزالى: ايام من حياتى، القاهرة وبيروت ١٩٧٧م
- سعيد حوى: المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين، عمان، ١٩٧٩م
- د/سعيد رمضان: خواطر، مكتبة الشهاب، دمشق
- سيد قطب: فى ظلال القرآن ج ٢، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، مصر
- سيد قطب: فى ظلال القرآن ج ٣، الطبعة الاولى دار إحياء الكتب العربية، مصر
- سيد قطب: فى ظلال القرآن ج ١، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، مصر
- سيد قطب: مشاهد القيامة فى القرآن، دار المعارف، مصر
- سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر
- سيد قطب: النقد الأدبى أصوله ومناهجه، دار الفكر العربى، مصر ١٩٥٤م
- سيد قطب: كتب وشخصيات، القاهرة، ١٩٤٦م
- سيد قطب: خصائص التصور الإسلامى ومقدماته، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، مصر

شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، الطبعة الثانية، دارالمعارف بمصر، ١٩٤١م

طارق البشري: الحركات السياسية في مصر

د/ طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، مطبعة المعارف ومكتبة مصر، ١٩٤٤م

د/ طه حسين: في الأدب الجاهلي، دارالمعارف، مصر، ١٩٥٨م

عاصم الدسوقي: مصر في الحرب العالمية الثانية

عبدالرحمن الرافعي: عصر محمد علي، الطبعة الثالثة، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م

عبدالرحمن الرافعي: عصر إسماعيل علي، الطبعة الأولى (جزأين)، مطبعة النهضة المصرية مصر

١٩٣٢م

عبد الرحمن الرافعي: الثورة العربية

عبدالقادر عودة: التشريع الجنائي الإسلامي، الطبعة الثانية دارالروية، القاهرة، ١٩٥٩م

عبدالقادر عودة: الإسلام بين جهل أنباءه وعجز علماءه، مؤسسة الرسالة، الشركة المتحدة

للتوزيع، بيروت-

عبدالقادر عودة: الإسلام وأوضاعنا القانونية، دارالكتاب العربي، مصر ١٩٥١م

عبد اللطيف حمزه: الصحافة والأدب في مصر، مطبعة البرلمان مصر- ١٩٥٥م

عمر التلسماني، يادون كي امانت، ترجمه حافظ محمد ادريس، طبع اول، مدينه پبلشنك

سينتر، دهلي ١٩٩٣م

عمر التلسماني: شهيد المحراب عمر ابن الخطاب، تحقيق على جمعه، مطبعة التقدم، القاهرة

عمر الدسوقي: محمود سامي البارودي، دارالمعارف بيروت- ١٩٥٣م

فوزي جرجيس: دراسات في تاريخ مصر السياسي منذ العصر المملوكي

قاسم أمين: المرأة الجديدة، مطبعة المعارف مصر- ١٩٠٠م

قطب عبد الحميد قطب: مراجعة د/ محمد عاشور، خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة، دار الاعتصام، القاهرة

كامل إسماعيل شريف: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، القاهرة

محمد جلال كشك: شيخ محمد الغزالي بين النقد العاقب والمدح الشامت، الطبعة الأولى، مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٩٠م

محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية ج ٢

محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية ج ١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- ١٩٥١م

محمد صالحة وسميع أبو مغلى: تاريخ الصحافة العربية نشأتها وتطورها، دار الكتاب العربي، عمان

محمد الغزالي: في موكب الدعوة، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٤م

محمد الغزالي: فقه السيرة، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي مصر ١٩٥٥م

محمد الغزالي، في موكب الدعوة الطبعة الاولى دار الكتاب العربي، مصر ١٩٥٤م

محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المشتشرقين، الطبعة الثانية، دار الكتب

الحديثة، القاهرة ١٩٦٣م

محمد الغزالي: تأملات في الدين والحياة: دار الكتاب العربي، مصر

محمد الغزالي: خلق المسلم، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربية، مصر ١٩٥٦م

محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج ١ مكتبة الآداب، القاهرة-

محمد واضح رشيد الندوى: أدب الصحوة الإسلامية، الطبعة الأولى مطبعة دارالعلوم ندوة

العلماء لكهنؤ الهند-

محمود محمد شاكر: المتبنى، الطبعة الثالثة، مطبعة المدنى، القاهرة- ١٩٨٧م

محمد يوسف كوكن: أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث ج ٣، دارالحافظة

للطباعة والنشر ۱۳ - حارة ميلابورن مدراس الهند ۱۹۸۴ م

د/مصطفى السباعی: القلائد من فرائد الفوائد، مکتبه الشباب ۱۹۶۲ م

د/مصطفى السباعی: أحكام الصيام وفلسفته فی ضوء القرآن والسنة، الطبعة الثانية، المکتبة الإسلامية بیروت، ۱۳۹۷ هـ

د/مصطفى السباعی: المرأة بین الفقه والقانون، الطبعة الرابعة، المکتبة الإسلامية بیروت ۱۹۷۵ م

مصطفى صادق الرافعی: وحی القلم ج ۲، الطبعة السادسة، مطبعة الإستقامة، القاهرة

مصطفى لطفی المنفلوطی: النظرات ج ۳، الطبعة السادسة، المطبعة الرحمانية مصر- ۱۹۳۲ م

یوسف العظم: الشهيد سید قطب حياته ومدرسته وآثاره، دار القلم، بیروت ۱۹۸۰ م

(الكتب الأردویة)

سید ابوالحسن علی حسنی ندوی: شرق اوسط کی ڈائری، مکتبہ فردوس، لکھنؤ ۱۹۷۷ء

خلیل حامدی: حسن البنائ کی ڈائری، طبع اول، مرکزی مکتبہ اسلامی، دہلی ۱۹۸۹ء

خلیل حامدی: جادۂ منزل، الاتحاد الاسلامی العالمی للمنظمات الطلابیة، الکویت ۱۹۷۷ء

خلیل حامدی: الإخوان المسلمون - تاریخ دعوت وخدمات، طبع اول، مرکزی مکتبہ اسلامی، دہلی ۱۹۸۱ء

دائرة المعارف الإسلامية (اردو) ج ۴، طبع اول، ۱۹۹۰ پنجاب پاکستان

ڈاکٹر عبید اللہ فہد و ڈاکٹر صلاح الدین عمری: فولاد ہے مومن (سید قطب شہید حیات وخدمات) ہندوستان

پبلیکیشنز دہلی ۱۹۹۳ء

سلمان شمس ندوی: اسلام اور مستشرقین، مجلس تحقیقات و نشریات اسلام لکھنؤ

ڈاکٹر سید محمد احتیاء ندوی: تاریخ فکر اسلامی، المرکز العلمی، نئی دہلی ۱۹۹۹ء

ڈاکٹر محمد سمیع اختر: عالمی تحریکات اسلامی کی چند انقلابی شخصیات، طبع اول، ہلال پبلیکیشنز سنگا پور ۱۹۸۸ء

ڈاکٹر محمد سمیع اختر: حسن البنائ شہید داعی، امام، مجدد، طبع اول، ہلال پبل کیشنز کلکتہ ۱۹۹۱

(الكتب الإنجليزية)

Dunne J.H. Religious and political trends in modern Egypt, Washington, 1950

Richard P.Mitchell, The society of the Muslim Brothers, Oxford University press
London, 1969

T. Ushama: Impact of recent Islamic Movements on the modern Arabic
literature(Ph.D. Thesis)

Wilfred Cantwell Smith: Islam in modern History, iv, printing priction university
press 1957 .

The oxford encyclopedia of the modern Islamic world v.1,oxford university press
1995.U.S.A.

The oxford encyclopedia of the modern Islamic world v.2,oxford university press
1995.U.S.A.

The oxford encyclopedia of the modern Islamic world v.3,oxford university press
1995.U.S.A.

The oxford encyclopedia of the modern Islamic world v.4,oxford university press
1995.U.S.A.

(المجلات والجرائد)

جريدة الأهرام

جريدة الإخوان المسلمين

جريدة الجمهورية مصر

المجتمع

المسلمون

الدعوة

البعث الإسلامي

رسالة الإخوان

مجلة الفرقان

مجلة الأزهر

ايشيا لاهور

ترجمان القرآن اردو